جامعة النجاح الوطنية

كليّة الدراسات العليا

فنّ المقالة عند مصطفى الرافعي دراسة لغوية دلالية "وحي القلم" نموذجًا

إعداد

منير عايد محمود الصالح

إشراف

أ. د . أحمد حسن حامد

قدِّمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس – فلسطين

2016 م

فنّ المقالة عند مصطفى الرافعي دراسة لغوية دلالية

"وحي القلم" نموذجًا

إعداد

منير عايد محمود الصالح

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 24/ 7/ 2016م وأجيزت.

اعضاء لجنة المناقشة		التواقيع
أ. د. أحمد حامد	/ مشرفاً ورئيساً	.....
د. عمر عتيق	/ ممتحناً خارجياً	.....
د. مأمون مباركة	/ ممتحناً داخلياً	.....

الإهـــــــــداء

- إلى الشعاعين اللذين أمدّاني بالنور وغرسا فيّ حبّ المثابرة والجدّ أمي وأبي اللذين لم يبخلا عليَّ بالعطاء والدعاء...

- إلى إشراقة الأمل وبسمة الفؤاد زوجتي الغالية التي شاطرتني المشقة والعناء فسهرت وتعبت دونما كلل أو ملل...

- إلى من يضيق المقام بذكرهم إخواني وأخواتي الذين قدّموا ما بوسعهم بغية الوصول إلى لحظة القطاف وجني الثمرات...

- إلى من يشار إليهم بالبنان منارة العلم والتقى عمي الفاضل الأستاذ عمر عنيني أبو مصعب وأسرته الرائدة بالخلق والإيمان...

- إلى من تعجز الكلمة بحقه وتقف العبارة حائرة مديري الفاضل الأستاذ ماهر الرطروط الذي حفّزني وساندني طيلة دراستي...

- إلى ذوي البصائر والنُهى مفخرتي السرمدية وتيجان عزتي زملائي المعلمين في مدرسة أكاديمية القرآن الكريم...

وإلى كلّ ناهل من منهل العلم...أقدّم ثمرة هذا الجهد المتواضع.

شـــــكر وتقديـــــــر

الحمد والشكر والفضل كله لله الذي أعانني برحمة منه ومنّة على إنجاز هذه الدراسة، فالحمد لله ربّ العالمين أولا وأخيرا.

وامتثالا لهديه صلى الله عليه وسلم القائل:"لا يشكرالله من لا يشكر الناس" أتقّدم بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الأفاضل في قسم اللغة العربية بجامعة النجاح الوطنية وأخصّ بالذكر منهم صاحب الصدر الرحب ومنهل العلم الخصب أستاذي الدكتور أحمد حسن حامد المحترم الذي تفضّل بالإشراف على هذه الرسالة فوجّهني وصوّب عثراتي وأعطاني من وقته وعنايته ما تضيق العبارة عن شكره وتقديره.

وإلى أعضاء لجنة المناقشة أستاذي الفاضل الدكتور مأمون مباركة المحترم الذي لم يبخل عليّ بشيء أيضا أتوجه بعظيم الامتنان وخالص الشكر وفاءً وتقديرا لجهوده المباركة، والدكتور الفاضل عمر عتيق الذي كان لتوجيهاته وملاحظاته أثر عظيم في إخراج هذه الدراسة إلى عالم النور فله كلّ الشكر والتقدير أيضا على تصويباته وتوجيهاته.

ولا أنسى كلّ من أسهم في إنجاز هذه الدراسة، ومن كانوا خير سند بحرصهم ووقوفهم إلى جانبي طيلة مدة دراستي زملائي في العمل وكلهم أهل للاختصاص والذكر وعلى رأسهم الأستاذ نهيد سوالمة والأستاذ مؤمن عويسي والأستاذ مهند الحبش والأستاذ أيمن بني عودة والأستاذ علاء سلمان والأستاذ مهدي إسليم والأخ بلال الكرم أبو مجاهد وتطول القائمة بكلّ من أسهم في إنجاز هذه الدراسة، فعذرا لكلّ من سكن الفؤاد ولم يظهر على جبين هذه الصفحة البيضاء كبياض قلوبهم وما أكثرهم!!

إقـــــرار

أنا الموقع أدناه، مقدّم الرسالة التي تحمل عنوان:

فنّ المقالة عند مصطفى الرافعي دراسة لغوية دلالية

"وحي القلم" نموذجا.

Mustafa Al-Rafi's essays

A linguistic and semantic study "Wahi AL-qalam " as a model

أقرّبأنّ ما اشتملت عليه هذه الأطروحة هو نتاج جهدي الخاصّ، باستثناء ما تمّت الإشارة إليه حيثما ورد، وأنّ هذه الرسالة أو أي جزء منها لم يقدّم من قبل لنيل أي درجة أو لقب علمياً و بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

unless otherwise referenced is the ،The work provided in this thesis and has not been submitted elsewhere for any ،research's own work other degree orqualification.

Studant's Name: اسم الطالب: منير عايد محمود الصالح

Signature: التوقيع:

Date: التاريخ: ٢٤/٧/٢٠١٦

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ت
الشكر والتقدير	ث
إقرار	ج
قائمة المحتويات	ح
الملخص	د
المقدمة	1
التمهيد	5
الفصل الأول: الأبنية الصرفية ودلالاتها	20
أولاً: أبنية الأفعال	21
التجرد والزيادة	21
1 أبنية الفعل الثلاثي المجرد	21
2 الأفعال الثلاثية المزيدة	38
أ مزيد الثلاثي بحرف واحد	38
ب مزيد الثلاثي بحرفين	42
ت مزيد الثلاثي بثلاثة أحرف	47
التعدي واللزوم	49
البناء للمجهول والبناء للمعلوم	52
ثانياً: أبنية المصادر	58
ثالثاً: أبنية المشتقات	73
رابعاً: أبنية جموع التكسير	89
الفصل الثاني: التركيب الخبري وأثره الجماليّ في تقديم المعنى	102
أولاً: بناء الجملة واتّساعها	103

الموضوع	الصفحة
1 البناء اللغوي للجملة الصغرى	106
2 البناء اللغوي للجملة الكبرى	115
3 بين الجملتين الصغرى والكبرى دراسة تحليلية دلالية	126
ثانياً: جماليات استعمال الجملة الخبرية	133
ثالثاً: التقديم والتأخير	139
الفصل الثالث: الأساليب الإنشائية ودلالاتها البلاغية	147
القسم الأول: الأساليب الإنشائية الطلبية	148
أولاً: الاستفهام	148
ثانياً: الأمر	163
ثالثاً: التمني	168
رابعاً: النداء	170
القسم الثاني: الأساليب الإنشائية غير الطلبية	173
أولاً: أسلوب القسم	173
ثانياً: أسلوبا المدح والذم	175
ثالثاً: أسلوب التعجب	176
الخاتمة	179
قائمة المصادر والمراجع	183
الملخص باللغة الإنجليزية	b

فنّ المقالة عند مصطفى الرافعي دراسة لغوية دلالية

"وحي القلم" نموذجًا

إعداد

منير عايد محمود الصالح

إشراف

أ. د. أحمد حسن حامد

الملخص

يتناول الباحث في هذه الدراسة فنّ المقالة عند الرافعي من خلال كتابه "وحي االقلم"، ويبرز من خلالها براعة الرافعي في هذا الفن، ويحدد أسلوبه ولغته في الكتابة، ويبين أنواع المقالة التي كتبها الرافعي، ثم يقوم بدراسة لغوية تشمل المستويات الصرفية والنحوية والدلالية مبينا المقدرة الفنية عند الرافعي في توظيف الموروث الفكري واللغوي في مقالاته. وقد جاءت هذه الدراسة مكونة من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول.

تحدّث الباحث في المقدّمة عن أهمية الدراسة وأسباب اختيارها، والدراسات السابقة لها والمنهج المتّبع فيها، ثمّ أوجز محتوى هذه الدراسة. وفي التمهيد تحدث عن الرافعي فكشف عن مولده ونشأته وعلمه ثمّ نشاطه الأدبي وأبرز مؤلفاته وغيرها مما يتّصل به، كما تناول فن المقالة في دراسة نظرية، ووقف على مسائل عدة كالمقصود بها عند بعض الدارسين، ثمّ بين أنواعها وخصائصها، وأبرز أعلامها، وتحدث بإيجاز عن هذا الفن عند الرافعي ميدان هذه الدراسة من خلال كتابه "وحي القلم".

أمّا الفصل الأول من هذه الدراسة فقد قام الباحث بدراسة الأبنية الصرفية وإحصائها ضمن جداول، ثمّ دراسة النتائج التي تمّ التوصل إليها في كلّ جدول منها، فوقف عند الدلالات المختلفة لأبنية الأسماء والأفعال، وبين المجرد والمزيد من الأفعال، والبناء للمعلوم أو المجهول، وكذلك التعدي واللزوم، وأثر ذلك كله في أداء المعاني المقصودة، كما تحدث عن المصادر المختلفة وكيفية توظيفها في خدمة المعاني المصاحبة للسياقات الواردة فيها، وكذلك أبنية المشتقات والجموع بأنواعها.

وتحدث في الفصل الثاني عن البناء التركيبي للجملة الخبرية وامتدادها، إذ ركز على الجملة الكبرى عنده، وتناول الجملة الصغرى من خلالها، فوقف عند الجملة الخبرية المثبتة والمنفية والمؤكدة وأنماط كلّ منها، وكشف عن دلالاتها وفقا للسياقات المختلفة، ووقف عند دلالات الجملة الخبرية، ثم وقف عند ظاهرة من أبرز الظواهر اللغوية الجديرة بالدراسة وهي ظاهرة التقديم والتأخير، وبيّن أبرز الدلالات المصاحبة لها.

وفي الفصل الثالث وهو الفصل الأخير، تناول فيه الباحث الجمل الإنشائية وأنماطها، فبين أثر السياق اللغوي في توجيه الدلالة من خلال الأساليب التي أوردها في مقالاته من استفهام، وأمر، وتمنٍّ، ونداء، وقسم، وأساليب المدح والذم، وغيرها من الأساليب،. وأخيرا الخاتمة التي يرصد فيها أهم النتائج التي تمّ الوصول إليها في كلّ فصل من فصول هذه الدراسة.

المقدّمة:

الحمد لله الذي حفظ العربية بأن جعلها لغة كتابه المبين، وسرّ إعجازه للعالمين، وأصلي وأسلم على النبي الأميّ الذي توافرت له فنون الفصاحة والبلاغة فامتاز بها على سائر البشر أجمعين، وبعد.

تدور هذه الدراسة حول واحد من أدباء القرن العشرين، وهو الأديب المصري مصطفى صادق الرافعي، ويتناول الباحث فيها واحدا من أبرز الفنون الأدبية التي حظيت بإقبال القراء عليها في بدايات القرن العشرين وهو فن المقالة، فمن خلال هذا اللون الأدبي ومن خلال هذا الأديب جاءت هذه الدراسة بعنوان "فنّ المقالة عند مصطفى الرافعي دراسة لغوية دلالية، وحي القلم نموذجا".

حيث تناول الباحث فن المقالة من خلال الأجزاء الثلاثة الأولى من "وحي القلم"، للكشف عن دلالات المباني الصرفية والتراكيب الخبرية والإنشائية، وأثر السياق في توجيه المعاني المختلفة لها. وتنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تتناول البحث الصرفي والنحوي من خلال فن من الفنون الأدبية، إذ جمعت ثلاثة مباحث في دراسة واحدة وهي البنى الصرفية والتراكيب الخبرية والأساليب الإنشائية، ودلالات كلّ منها في سياقاته المختلفة، من خلال فن المقالة عند الرافعي، وأمّا ما دفعني لاختيار هذه الدراسة فعدة أسباب أهمها:

1- عدم وجود دراسات تتناول فنّ المقالة من حيث البنية اللغوية ودلالات التراكيب الواردة فيها فيما اطلعت عليه؛ إذ إنني وجدت كثيرا من الدارسين تناولوها من حيث الشكل والتركيب والنشأة والتطور وغيرها من الدراسات النظرية، وربما عمد البعض إلى دراسات تحليلية لنماذج قليلة عند أكثر من كاتب، مثل عبد اللطيف الحديدي في كتابه "فن المقال في ضوء النقد الأدبي"[1].

2- عدم وجود دراسة تتناول أدب الرافعي من الناحية اللغوية الدلالية، بحيث تكون شاملة للصرف والتركيب النحوي الخبري والأساليب الإنشائية، ودلالات كلّ منها، وإنما تناول بعضها

[1] الحديدي.عبد اللطيف محمد السيد: **فنّ المقال في ضوء النقد الأدبي**.ط1، 1417هـ - 1996م.

نظام الجملة فقط كما في كتابه "أوراق الورد" للباحث عادل باناعمة[1]، و"أساليب التوكيد في أدب الرافعي" للباحثة فاطمة حسين السيد.[2] وثمة دواعٍ وأسباب لهذه الدراسة حول فن المقالة دون غيره من الفنون النثرية، وعند الرافعي دون غيره من الأدباء الذين كتبوا مقالات عدة في المجالات المختلفة، وهذا ما ستكشف عنه الصفحات اللاحقة عند الحديث عن أسباب اختيار هذه الدراسة، والأسئلة التي ستجيب عنها.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات خاصة بـــ"وحي القلم" وهي قليلة، وهناك دراسات أخرى تناولت أدب الرافعي أو حياته من جوانب مختلفة، وهي كثيرة، أمّا فيما يتعلق بوحي القلم فلم أجد سوى:

1 – بحث عنوانه "المقالة العربية: وحي القلم الجزء الأول إنموذجا" للباحث علي سميسم،[3] حيث تناول فيه الباحث الحقول الرئيسة التي تمثلها المقالات الواردة في المجلد الأول من "وحي القلم"، وقد قسمها الباحث إلى أربعة حقول وهي المقالات الاجتماعية والوصفية والدينية والبوحية.

2 – وهناك بحث أخر وهو"الخصائص الأسلوبية في وحي القلم" وهو من إعداد مكارم الديري،[4] وهو بحث قصير جدا، وقف فيه الباحث على الأساليب التي استخدمها الرافعي في كتابه "وحي القلم" من خلال نماذج قليلة من الكتاب.

وأمّا الدراسات العامة التي لا تقتصر على كتاب "وحي القلم" فهي كثيرة منها: "حياة الرافعي" لمحمد سعيد العريان،[5] و"الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد" للبدري،[6] و"المقال وتطوره في

---

[1] باناعمة، عادل أحمد سالم: **بناء الجملة عند مصطفى صادق الرافعي من خلال كتابه أوراق الورد.** (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة أم القرى. السعودية.1421هـــ.

[2] حسين، فاطمة السيد حسين. **أساليب التوكيد في أدب الرافعي دراسة نحوية دلالية.** (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة القاهرة. القاهرة – مصر. 2009م.

[3] سميسم، علي: **المقالة العربية: وحي القلم الجزء الأول إنموذجا**، مجلة كلية التربية، بابل.ع4، 2009م ص 40 – 55

[4] الديري، مكارم: **الخصائص الأسلوبية في وحي القلم**، مجلة الأدب الإسلامي، الصعودية، م11،ع 43 و44، 2004م. ص51 – 59

[5] العريان، محمد سعيد:**حياة الرافعي**،ط3، مصر :المكتبة التجارية الكبرى،1955م

[6] البدري: مصطفى نعمان حسين: **الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد**، ط1. بيروت : دار الجيل. عمان : دار عمار. 1411هـــ – 1991م

الأدب المعاصر"،[1] و"الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية"[2]، ومنها أيضا "فن كتابة المقال في الأدب العربي"[3]، و"فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث"[4] وغيرها كثير من الدراسات التي لا يمكن إحصاؤها، ولا غنى لهذه الدراسة عن دراسات أخرى وهي كثيرة جدا أشير إليها في المواطن التي اقتبس منها كلّ حسب موضعه.

محتوى الدراسة:

جاءت هذه الدراسة مكونة من تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، تحدث الباحث في التمهيد عن الرافعي من حيث مولده ونشأته وعلمه ثمّ نشاطه الأدبي وأبرز مؤلفاته وغيرها مما يتّصل به، كما تحدث عن فنّ المقالة في دراسة نظرية، ووقف عند مسائل عدة كالمقصود بها عند بعض الدارسين، ثمّ بين أنواعها وخصوصا عند الرافعي والخصائص التي تميزها عن غيرها من الأجناس الأدبية ثم خصائص كتابة هذا الفن عند الرافعي.

أمّا الفصل الأول من هذه الدراسة فقد قام الباحث بدراسة الأبنية الصرفية وإحصائها ضمن جداول، ثمّ دراسة النتائج التي تمّ التوصل إليها في كلّ جدول منها، فوقف عند الدلالات المختلفة لأبنية الأسماء والأفعال، وبين المجرد والمزيد من الأفعال، والبناء للمعلوم أو المجهول، وكذلك التعدي واللزوم، وأثر ذلك كله في أداء المعاني المقصودة، كما تحدث عن المصادر المختلفة وكيفية توظيفها في خدمة المعاني المصاحبة للسياقات الواردة فيها، وكذلك أبنية المشتقات والجموع بأنواعها.

وتحدث في الفصل الثاني عن البناء التركيبي للجملة الخبرية وامتدادها، إذ ركز على الجملة الكبرى عنده، وتناول الجملة الصغرى من خلالها، فوقف عند الجملة الخبرية المثبتة والمنفية والمؤكدة وأنماط كلّ منها، وكشف عن دلالاتها وفقا للسياقات المختلفة، ووقف عند دلالات

---

[1] أبو ذكرى، السيد مرسي: **المقال وتطوره في الأدب المعاصر**، مصر: دار المعارف،1982م.

[2] الشايب، أحمد: **الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية**، ط8، مصر: مكتبة النهضة المصرية، 1411هـ – 1991م.

[3] درويش، مهجة محمد كامل: **فن كتابة المقال في الأدب العربي**، 1417هـ – 1997م.

[4] عبد الخالق، ربيعي: **فن المقالة الذاتية في الأدب العربي الحديث**، مصر، دار المعرفة الجامعية، د.ت

الجملة الخبرية، ثم وقف عند ظاهرة من أبرز الظواهر اللغوية الجديرة بالدراسة وهي ظاهرة التقديم والتأخير، وبيّن أبرز الدلالات المصاحبة لها.

وفي الفصل الثالث وهو الفصل الأخير، تناول فيه الباحث الحديث عن الجمل الإنشائية وأنماطها، فبين أثر السياق اللغوي في توجيه الدلالة من خلال الأساليب التي أوردها في مقالاته من استفهام، وأمر، وتمنٍّ، ونداء، وقسم، وأساليب المدح والذم، وغيرها من الأساليب. وأخيرا الخاتمة التي يرصد فيها أهم النتائج التي تمّ الوصول إليها في كلّ فصل من فصول هذه الدراسة.

المنهج المتبع في الدراسة:

والمنهج المتبّع في هذه الدراسة هو المنهج الإحصائي الوصفي التحليلي، إذ إن الباحث عمد إلى دراسة الأبنية الصرفية من خلال إحصائها في جداول، ثم قام بتحليلها بناء على النتائج الواردة فيها، مبيّنا النسب المئوية لكلّ حقل من حقول الدراسة مقارنة مع غيره، في المباحث المختلفة كمبحث الأفعال والمشتقات والجموع، وكذلك الأساليب الإنشائية بيّن في الحديث عنها الأساليب الأكثر دورانا والأقلّ، وقام ببيان الدلالات المصاحبة لانتشار أسلوب ما أو عدم انتشاره، وأمّا الجملة الخبرية فقد تناولها من خلال امتداداتها واتّساعها.

وأخيرا أتوجه بأكفّ الضراعة لله سبحانه الذي أعانني بفضله على إنهاء هذه الدراسة أن يتقبل مني، فإن كنت قد أصبت فيما قدمته من عمل وجهد فذلك الفضل من الله، وإن أخطأت فمن نفسي، وحسبي أني اجتهدت، وبذلت الغاية القصوى للوصول إلى الهدف، والحمد لله ربّ العالمين الذي تفرّد بالكمال وحده ولا تتمّ نعمة إلا بفضله سبحانه.

منير عايد الكرم

التمهيد

أولا: الأديب مصطفى صادق الرافعي.

"هو أبو السامي مصطفى صادق بن الشيخ عبد الرازق الرافعي الفاروقي العمري الطرابلسي"[1]. "ومصطفى صادق اسم مركب"،[2] "وقد لُقب بألقاب كثيرة منها: شاعر الحسّ المجنون، وأديب الشرق المفتون، ونابغة البيان، وزهرة شعراء العربية، وإمام الأدب، وحجة العرب"،[3] ولد الرافعي في أول رجب سنة 1298هـ. الموافق لمنتصف كانون الثاني- يناير1881م في بلده بهيتم،[4] "وهو سوريّ الأصل، مصري المولد، إسلامي الوطن، أسرته من طرابلس الشام لكن مولده بمصر".[5]

نشأ الرافعي نشأة دينية وثقافية، يقول العريان:"لأسرة الرافعي ثقافة يصحّ أن نسميها ثقافة تقليدية، فلا ينشأ الناشئ منها حتى يتناولوه بألوان من التهذيب تطبعه من لدن نشأته على الطاعة، واحترام الكبير، وتقديس الدين، وتجعل منه خلفا لسلف يسير على نهجه ويتأثر خطاه، والقرآن والدين هما المادة الأولى في هذه المدرسة العريقة التي تسير على منهاجها منذ انحدار أولهم من صلب الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه".[6] فليس غريبا أن ينشأ الأديب هذه النشأة الدينية، وليس غريبا أن ينقب نفسه منافحا عن الدين الإسلامي ومدافعا عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- في كبره.

---

[1] البدري، مصطفى نعمان حسين:**الإمام مصطفى صادق الرافعي**، بغداد: دار البصري. 1387هـ - 1968م.ص209.

[2] المصدر نفسه. ص255.

[3] المصدر نفسه. ص209.

[4] المصدر نفسه. ص209-110.

[5] العريان:**حياة الرافعي**. ص23

[6] المصدر نفسه ، ص28.

- أبرز مؤلفاته.

- ديوان الرافعي[1] – ثلاثة أجزاء، وقد قدّم لكلّ جزء منها بمقدمة في معاني الشعر، وبين مذهبه فيها، وهي مذيلة بشرح ينسب إلى أخيه المرحوم محمد كامل الرافعي.

- ديوان النظرات – جزء واحد، أنشأه بين سنتي 1906 و1908م.

- من روائع الرافعي – فن الشعر – ملكة الإنشاء[2]، وهو كتاب مدرسي يحتوي على نماذج من إنشائه.

- تاريخ آداب العرب[3]: صدر سنة 1911م من إنشاء الجامعة المصرية، وهو أكثر الكتب التي أبدعها الرافعي شهرة.

- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية[4]: وهو الجزء الثاني من تاريخ آداب العرب.

- حديث القمر[5]: أول ما أصدر الرافعي في أدب الإنشاء، وهو أسلوب رمزي في الحبّ تغلب عليه الصنعة.

- المساكين[6]: وهو عبارة عن فصول في بعض المعاني الإنسانية.

- رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب[7]: وهو كتاب على شكل رسائل تصور طبيعة الحب في رأيه، وأحوال المحبين، وما يعتور نفوسهم من تحولات بين الحب والبغض.

---

[1] الرافعي، مصطفى صادق: **ديوان الرافعي**، تحقيق: محمد كامل الرافعي،الإسكندرية: مطبعة جامعة الإسكندرية، 1322هـ،

[2] الرافعي: **من روائع الرافعي – فن الشعر – ملكة الإنشاء**، تحقيق: الشيخ أبو عاصم بشير ضيف المالكي الجزائري، ط1، مصر: دار ابن حزم.د.ت

[3] الرافعي: **تاريخ آداب العرب**،ط1، مصر: مكتبة الإيمان،1997م.

[4] الرافعي: **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ط9، مصر: دار الكتاب العربي، 1973م.

[5] الرافعي: **حديث القمر**،ط8، مصر :دار الكتاب العربي،1982م.

[6] الرافعي: **المساكين**، القاهرة: مؤسسة هنداوي للمعرفة والثقافة، 2012م.

[7] الرافعي: **رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب**، مصر: مطبعة الهلال، 1924م.

– السحاب الأحمر[1]: وهو الجزء الثاني من قصة حبّ فلانة، وفيه نظرته إلى الحبّ تجربة عاطفية ذاتية.

– أوراق الورد رسائلها ورسائله[2]: الجزء الأخير من قصة حبه، ويقوم على رسائل في فلسفة الحبّ والجمال، ونثر فيه أشواقه الروحية.

– تحت راية القرآن المعركة بين القديم والجديد[3]: وهو كتاب "الجديد والقديم"، وفيه حديث عما دار بينه وبين طه حسين بمناسبة كتابه "الشعر الجاهلي".

– ومنها أيضا: رسائل الرافعي. – نشيد سعد باشا زغلول: كتيب صغير عن نشيده "اسلمي يا مصر"، والنشيد المصري الوطني "إلى العلا". و"علي السفود: قصة الرافعي والعقاد"، وكذلك "أغاريد الرافعي".

– وحي القلم: ويتكون من خمسة أجزاء، نشر منها ثلاثة وبقي الرابع والخامس ينتظران النور، وهو آخر ما كتبه من مقالات في حياته، وقد كان ينشرها في صحيفة الرسالة.

* هذه الأعمال مطبوعة ومنشورة، وهناك أعمال تنتظر طباعتها، وهي:

– ديوان الرافعي الجزء الرابع.

– ديوان النظرات الجزء الثاني.

– الفؤاديات.

– الكتاب النبوي.

– الشعر العربي.

---

[1] الرافعي: مصطفى صادق: **السحاب الأحمر**، ط1، بيروت – لبنلن، دار الكتب العلمية ، 2002م.

[2] الرافعي: **أوراق الورد رسائلها ورسائله**، ط10،مصر: دار الكتاب العربي، 1402هـ– 1982م

[3] الرافعي: **تحت راية القرآن المعركة بين القديم والجديد**، بيروت: المكتبة العصرية، 1423هـ – 2002م.

- أسرار الإعجاز.

- فصح الكلام.

- قصص الرافعي.

- أغاني الشعب في الأناشيد والموشحات

وأسماء هذه هذه الكتب والمؤلفات مبثوتة في الدراسات والمؤلفات التي كُتبت عنه. منهم من ذكرها إيجازا، ومنهم من فصّل فيها القول[1]. وإنما حاولت أن أوجز لأنّ ثمة كتابا ينتظر الحديث عنه والإسهاب فيه، وهو كتابه "وحي القلم" الذي تدور هذه الدراسة حول أجزائه الثلاثة الأولى بشيء من التفصيل والإيضاح.

- رحيل الرافعي (وفاته).

توفي الرافعي –رحمه الله – في 10 مايو سنة 1937م في طنطا، وكان في السابعة والخمسين من عمره، بعد حياة حافلة بالتحصيل والنضال و الإنتاج السخيّ والعطاء الوفير،[2]

ثانيا: فنّ المقالة

جاء في المعجم الوسيط قال قولا ومقالا ومقالة : تكلم فهو قائل وقالٌ، جمع قائل:قالةٌ،[3] هذا من حيث المعنى اللغوي، أما من حيث المعنى الاصطلاحي فلا شكّ في أنّ الذين تحدثوا عن معنى هذا اللون الأدبيّ كثر، ولست أهدف إلى سرد آرائهم كلها، لكنني أقف عند عدد منها إيجازا بغية الوصول إلى معنى جامع لهذا الفنّ، فالدكتور محمد نجم يرى أنّ المقالة الأدبية

---

[1] ينظر: مصطفى البدري:**الإمام مصطفى صادق الرافعي**.. ص9–10. والرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد للكاتب نفسه. ص126 وما بعدها. وسعيد العريان:**حياة الرافعي**. ص349–353، وهناك رسالة ماجستير بعنوان **أساليب التوكيد في أدب الرافعي دراسة نحوية** للباحثة فاطمة حسين. ص21–22.

[2] ينظر: الشكعة: **مصطفى صادق الرافعي كاتبا عربيا ومفكرا إسلاميا**. الشكعة، ط3. الدار المصرية اللبنانية. 1999م. ص23.

[3] **المعجم الوسيط**، ط4، مصر: مكتبة الشروق الدولية،1425هـ – 2004م. ص767. مادة: ق و ل.

"قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق، وشرطها الأول أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب".[1] فمن خلال هذا القول نلاحظ أنه يدور حول شروط كتابة المقالة، إذ يشترط أن تكون محدودة الطول والموضوع، ولعلّ هذا ما جعل الدارسين يتحدثون عن أنواع مختلفة لفنّ المقالة، وشرطها الثاني ان تكون خالية من الكلفة والإرهاق والتصنع الزائد، فهي كما يرى عفوية وسريعة لا تحتاج إلى هندسة عباراتها وجملها، كما أنها لا بدّ ان تعبر بصدق عن شخصية كاتبها. وإلى مثل هذا المعنى يشير الباحثان: صالح أبو إصبع ومحمد عبيد الله بقولهما: "المقالة نوع من الأنواع الأدبية النثرية يدور حول فكرة واحدة، تناقش موضوعا محددا أو تعبر عن وجهة نظر ما، أو تهدف إلى إقناع القراء بفكرة معينة، أو إثارة عاطفة عندهم، ويمتاز طولها بالاقتصاد ولغتها بالسلاسة والوضوح، وأسلوبها بالجاذبية والتشويق".[2] وهنا أيضا لا يبتعد الكاتبان عن سلفهما محمد نجم سوى أنها عندهما تهدف إلى الإقناع بأفكار معينة، كما يضيفان عنصر التشويق إليها، وأمّا عبد اللطيف الحديدي فيرى أنّها "تعبير مكتوب عن نظرة أو رأي شخصيّ في أمر من أمور الحياة أو شيء من أشيائها، يتخذ الكاتب له فيه خط سير مرسوما –أيا كان شكل ذلك الخط– يتم بتمامه نقل ما في نفسه إلى المتلقي".[3] وواضح أنّ قوله "يتخذ الكاتب له فيه خط سير مرسوما يومئ إلى انّ نسق الكتابة عند كاتب من الكتاب لا بدّ أن يتخذ طابعا يميزه في نسجه لأعماله الكتابية. ورغم كثرة الأقوال في الحديث عن المعنى الاصطلاحي لهذا الفن يقول محمد الدروبي:" ليس هناك اتفاق عام وشامل بخصوص تعريف وتحديد دقيق للمقال، ولكنه يلاحظ أنّه شكل كتابي تحليلي يتناول مختلف جوانب ظاهرة أو حدث، أو مجموعة ظواهر وأحداث ذات حضور وثيق ومعنى اجتماعي هام، والمقال عنده يهدف بالدرجة الأولى إلى إصدار الأحكام وتفسيرها وتقييمها وإبراز البراهين الموضوعية التي لها أن تؤكّد افتراضاته الأساسية وتجعل القارئ أكثر يقينا بسلامتها"[4].

---

[1] نجم، محمد يوسف: **فنّ المقالة**، ط4، بيروت: دار الثقافة، 1996م.ص95.

[2] صالح أبو إصبع ومحمد عبيد الله: **فنّ المقالة أصول نظرية تطبيقات نماذج**. ط1، عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع. 2002م. ص12.

[3] الحديدي. عبد اللطيف محمد السيد: **فنّ المقال في ضوء النقد الأدبي**.. ص15.

[4] الدروبي، محمد: **الصحافة والصحفي المعاصر**،ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1996م. ص187.

من خلال هذه الآراء والأقوال يمكن أن نقول: إنّ المقالة فنّ يعالج فيه كاتبه قضية ما بطريقة تميزه ليقنع قراءه بفكرة يريد إيصالها لهم.

-أنواع المقالة.

النوع الأول: المقالة الذاتية: وهي المقالة التي تعبر عن مشاعر الكاتب وأحاسيسه تجاه مشهد من المشاهد أو حدث من الأحداث، أو قضية من القضايا، وتعكس في وضوح وصراحة رؤية صاحبها الخاصة للموضوع الذي تتناوله المقالة.[1] وثمة ألوان كثيرة لهذا النوع من المقالات، منها: مقالة الصورة الشخصية، ومقالة النقد الاجتماعي، ومقالة السيرة، ووصف الرحلات، والمقالة التأملية، والمقالة الوصفية، وهي ثلاثة أشكال: الوصفية الطبيعية، والوصفية الذاتية، والوصفية الخارجية، وهناك ألوان أخرى للمقالة الذاتية لكن هذه الأكثر انتشارا بين كتاب المقالة.

النوع الثاني: المقالة الموضوعية: وتعرف عند بعض الباحثين باسم المقالة العلّمية أو المقالة الرسمية والمنهجية.[2] يرى محمد نجم أن الغالب على هذا النوع من المقالات هو منهج البحث العلّمي، وما يقتضيه من جمع المادة وترتيبها وتنسيقها، وعرضها بأسلوب واضح جلي، لا يورط القارئ في اللبس، ولا يقوده إلى مجاهل التعمية والإبهام،[3] هذا يعني أن كاتبها لا بدّ من أن يكون موضوعيا، "لأنّ هناك صلة بين الكاتب والمضمون، وهذه الصلة تقوم بشكل أساسي على الموضوعية".[4] وكما أنّ للمقالة الذاتية ألوانا مختلفة فإنّ للمقالة الموضوعية ألوانا أيضا، منها: المقالة الموضوعية العلّمية، والمقالة الموضوعية الأدبية، والمقالة الموضوعية الاقتصادية، والمقالة النقدية، والمقالة التاريخية، والمقالة الفلسفية، واقتتاحيات الصحف والعمود الصحفي، ومقالة العلّوم الاجتماعية وغيرها.

---

[1] انظر: الحديدي،عبد اللطيف:**فنّ المقالة في ضوء النقد الأدبي**. ص27.

[2] انظر: صالح أبو إصبع ومحمد عبيد الله. **فنّ المقالة**. ص37.

[3] انظر: نجم، محمد: فنّ المقالة. ص130.

[4] إبراهيم عوضين: **في الأدب العربي المعاصر**. ج1. ص110-112.

- الخصائص الفنية للمقالة.

حتى تكون هناك حدود فاصلة بين لون أدبيّ وآخر لا بدّ من خصائص يمتاز بها كل لون بمزايا تجعله مختلفا عن غيره، ،وهذه أهم الخصائص التي يمتاز بها فن المقالة.

1- الاعتماد على التصوير والخيال المحلق في عرض الحقائق والأحداث، الأمر الذي يثير في القارئ المشاعر والأحاسيس، ويوقظ العاطفة المنفعلة بذلك التصوير الخيالي البديع المؤثر.[1] وهذا يتضح في المقالات الذاتية جليا؛ فمن يقرأ للرافعي على سبيل المثال يجد أن المقالة الواحدة تحشد فيها الصورة المعبرة، بل إنه سمي المقالات الواردة في "وحي القلم" مقالات بيانية، لكن هذه الميزة لا تكون حاضرة في المقالات العلّمية غالبا.

2- من حيث الطول "تكون المقالة قصيرة أو متوسطة الطول"،[2] وذلك حتى لا يعتري جمهورها الملل، فهم يتابعون هذه المقالات في الغالب بغية التسلية أو الحصول على المعلومة السريعة، وفي كلا الهدفين قد يصيبهم الملل إذا كانت المقالة تتسم بالطول، وهذه من أهم الخصائص الفنية للمقالة؛ "لأنّ الكاتب لا ينبغي أن يتناول جزئيات موضوعه بالبحث والتفصيل، ويعنيه في المقام الأول أن يقدّم للقارئ فكرة واضحة عن موضوعه دون اللجوء إلى المقدمات التي تضطرّ القارئ –أحيانا- إلى الإقلاع عن قراءة مقالته"[3].

3-الخطاب فيها يكون موجها للعاطفة، يناجي الوجدان، ويبدو أثر الانفعال فيه واضحا؛ لأنّ الكاتب يريد أن يقنع جمهوره بفكرة أو رأي، فلا بدّ من إثارة عواطفهم، ويخاطب وجدانهم حتى يكونوا أكثر استعدادا لقبول ما يريده، وإن كانت المقالة العلّمية تخلو من انفعال العاطفة.[4]

---

[1] انظر: الحديدي،عبد اللطيف:**فنّ المقال في ضوء النقد الأدبي**. ص124.

[2] صالح أبو إصبع ومحمد عبيد الله. **فنّ المقالة**.ص49.

[3] حامد، أحمد حسن: **السكاكيني في النهضة الفكرية المعاصرة**، ط2، نابلس: مكتبة خالد بن الوليد ومكتبة النجاح الحديثة، 1997م. ص158.

[4] انظر: الحديدي،عبد اللطيف:**فنّ المقال في ضوء النقد الأدبي**. ص125.

4 – "تجمع بين الإفادة والتأثير والإمتاع؛ لأن غايته إثارة نفوس المستمعين، وإفادة المتلقي تستلزم إيضاح المعنى، وتتصف بسهولة التركيب والنظم، وتحاشي التعقيد والمغالطة والإغراب، والتزام الدقة في صياغة الجملة، والسير على القواعد المشهورة للغة".[1]

5- "إنّ عنوانات المقالات يجب أن تتسم بالإيجاز، والتعبير عن الموضوع، وإثارة اهتمام القارئ بالموضوع"،[2] لكنّ بعض الكتاب ربما يرى في غموض العنوان وسيلة لتشويق القارئ، كما نجد عند الرافعي مقالته "أمير الشعر في العصر القديم"[3] في حديثه عن امرئ القيس.

6- يتسم عرض الأفكار بأسلوب له نظام خاصّ، ومبادئ ترتيب الأفكار ذات أساس منطقي، كأن ينتقل من الخاصّ إلى العامّ، أو من العامّ إلى الخاصّ، أو من المألوف إلى غير المألوف أو من البسيط إلى المعقد.[4] وهذا يحدده الكاتب لنفسه، بحيث يصبح عند القراء معروفا بطريقة معينة، وعادة ما كان كتاب المقالة يلتزمون بطريقة معينة في بناء مقالاتهم، كلٌّ بطريقته الخاصة.

7- "أن يكون أسلوب المقالة موسيقيا؛ لأنّ من شأن الأسلوب الموسيقي أن يحمل القارئ على التأثر بما يقرأ".[5]ولا يخفي ما للجانب الموسيقى من أثر في نفوس القراء؛ فهو يجذب الانتباه وتألفه النفوس في العادة.

8- "التكرار وإبراز الفكرة في صور متعددة"،[6] وهذه السمة معروفة في لغة الخطاب قبل فنّ المقالة، فالقران الكريم، والحديث النبوي الشريف، والرسائل القديمة، كانت تعمد إلى تكرار الفكرة بطرق مختلفة حتى تصل إلى متلقيها بصورة كاملة، لكن في فنّ المقالة نجد ذلك من

---

[1] انظر: الحديدي،عبد اللطيف:**فنّ المقال في ضوء النقد الأدبي**. ص125.

[2] صالح أبو إصبع ومحمد عبيد الله. **فنّ المقالة أصول نظرية تطبيقات نماذج**.ص49.

[3] الرافعي:**وحي القلم**.ج3.

[4] انظر: صالح أبو إصبع ومحمد عبيد الله. **فنّ المقالة أصول نظرية تطبيقات نماذج**. ص49.

[5] الحديدي،عبد اللطيف:**فنّ المقال في ضوء النقد الأدبي**. ص128.

[6] المصدر نفسه ص126.

خلال الإشارة إلى المعنى مرات عدة دون تكرار الألفاظ، وإنما بتعابير جديدة حتى تحافظ المقالة على سلامتها من التكرار.

9- لا بأس من الاعتماد على الأسلوب الساخر؛[1] وقد أشرت عند التعريف بالمقالة إلى هذه الخاصية، بل إن بعض الغربيين يعدّها شرطا للمقالة. لكن هذا الأسلوب يكون أكثر ملائمة في المقالة الذاتية ولا سيما في القضايا السياسية والاجتماعية.

10- تقدم المقالة عرضا لفكرة رئيسية واحدة في الأصل توحد مضمون هذه المقالة، وتسيطر على كيانها فلا تخرج عنه.[2]

11 -"عنصر التشويق"[3]، ولا شكّ في أنّ هذه السمة تحدّد مصير الكاتب عند القراء من حيث حجم إقبالهم عليه، فكتاب المقالة كثر، وليس من العسير أن يتجه القارئ نحو الكاتب الذي يروق له أسلوبه الخاص به.

- أعلام فنّ المقالة.

كثر الكتاب الذين تناولوا هذا الفنّ كثرة بالغة حتى غدت المقالة روح العصر عند كتابها من جهة، وعند القراء من جهة أخرى، فمنهم من ملأت مقالاته الصحف والمجلات، ومنهم من كان أقلّ شأنا، ومن أبرز أعلام هذا الفنّ عند الدكتور محمد نجم: الأديب المصري طه حسين، وأحمد امين، وأحمد حسن الزيات، والعقاد، والمازني، ومي زياده[4]. ومن مشاهير الكتاب أيضا: أحمد فارس الشدياق، ومصطفى لطفي المنغلوطي، ويعقوب صروف،[5] كما لا ننسى الأديب مصطفى صادق الرافعي الذي خلّف لنا مقالات كثيرة، وهي تلك التي جمعت في كتابه "وحي القلم"، وقد بلغت عدد صفحاته ما يربو على الف صفحة، وغير هؤلاء كتاب كثر، لكن هذه إشارة إلى الأعلام البارزين من كتاب المقالة في القرن العشرين.

---

[1] الحديدي،عبد اللطيف:**فنّ المقال في ضوء النقد الأدبي**. ص130.

[2] انظر: صالح أبو إصبع ومحمد عبيد الله. **فنّ المقالة أصول نظرية تطبيقات نماذج**.ص49.

[3] حامد، أحمد حسن: **السكاكيني في النهضة الفكرية المعاصرة**. ص158.

[4] انظر: نجم، محمد: **فنّ المقالة**. ص 78وما بعدها.

[5] انظر: صالح ابو اصبع ومحمد عبيدالله: **فنّ المقالة أصول نظرية تطبيقات نماذج**.ص50-56.

ثالثا: – فنّ المقالة عند الرافعي.

يمكن القول إن الرافعي لم يدع فنا من الفنون الأدبية إلا أجاد فيه؛ حيث أبدع في الشعر إبداعا بينّا، ولما اتجه نحو الأدب المنثور إذا به يصنع من نفسه أديبا يزاحم الأدباء نحو أولى المراتب في جودة الكلمة وبراعة الصورة، واناقة الجملة، وفي تقديم المعاني بأسلوب فذ باطنه فيه الحكمة وظاهره من قِبله الإبداع بكلّ صوره وأشكاله؛ كتب الرافعي في المقالة فأبدع، وفي فنّ الرسالة فأجاد، وفي فنّ القصة فأوفى، وفي الخطابة والتفسير أيضا، وما رأيناه في كل فنّ من هذه الفنون إلا والحكمة تجري بين السطور التي خطّها قلمه كتابة وإبداعا.

أمّا المقالة وهي محور هذه الدراسة فقد كان إسهامه فيها عظيما، وهي عنده "عمل الفكر وكدّ الذهن وجهد الأعصاب وحديث النفس في أسبوع كامل"[1]، فهو خلّف تراثا من المقالات التي جمع بعضها في كتابه "وحي القلم"، ولم يجمع بعضها الآخر لأكثر من سبب، لكنّ المقالة التي كتبها الرافعي كانت مصوغة بالحكم الفريدة، والعبارات الدالة، "فهو لم يكن يعتبر المقالة وقد انتظمت في خاطره معنى وفكرة مقالة تستحق أن تنشر وتكتب إلا أن يهيئ لها الثوب الأنيق الذي تظهر به لقرائها بعد أن يعود إليها غير مرة ليصححها قبل نشرها".[2]

لم تكن كتابة المقالة عند الرافعي متجهة صوب موضوع محدد، بل إنّه نوّع في مجالات الكتابة وتحدّث عن كلّ ما أتاحت له عبقريته الفذّة أن يتحدث عنه؛ وأكثر الألوان التي كتب فيها الرافعي مقالاته يمكن إجمالها فيما يأتي:

1 – المقالة الاجتماعية، إذ كتب حول الفقر والفقراء، وفي أولاد الشوارع، والجمال البائس، والزواج وغيرها في كتابه "وحي القلم".

---

[1]– العريان، سعيد :**حياة الرافعي**، ص227.

[2]– المصدر نفسه. ص220وما بعدها.

2 – المقالة العلّمية، يقول البدري :"ولعلّ من أخطر مقالاته كلامه في العرب الذي صدّر به كتابه "تاريخ آداب العرب "،[1] وبهذا الكتاب امتاز الرافعي، وقيل إنه لم يعرف إلا به.

3 – المقالة الفلسفية (الفكرية) ومن هذه المقالات تحليله الفلسفي لدرس الحياة الذي يبدو فيه كأنه أحد أساطين التربية العلّمية،[2] والمقالة الفكرية كان لها حظّ وافر عنده، يقول مصطفى البدري : "وقد يكون أدب الرافعي كله أو معظمه مقالة فكرية توزعتها أساليب القول على مدى الأيام". وأبرز ما يمثلها كتابه "حديث القمر"، وقد برز هذا النوع من المقالات في التعبير عن أفكاره حول العقائد المحدثة والأفكار المستجدّة.

4 – المقالة السياسية مثل مقالته " أحاديث الباشا "، ومقالته "الطماطم السياسي".

5 – المقالة البيانية، فهو يميل إليها وينزع لكتابتها دائما، بل إنه في مقدمة كتابه "وحي القلم " يعيب على الأدباء الذين لم يكتبوا في المقالة البيانية، وقد جاء في صدر كتابه "وحي القلم ": "لا وجود للمقالة البيانية إلا في المعاني التي اشتملت عليها، يقيمها الكاتب على حدود، ويديرها على طريقة، مصيبا بألفاظه مواقع الشعور، مثيرا بها مكامن الخيال، آخذا بوزن تاركا بوزن لتأخذ النفس كما تشاء وتترك"،[3] هذه دعوة صريحة إلى الكتّاب أن يصرفوا كتاباتهم نحو هذا اللون من المقالة، وقد جاءت مقالات الرافعي المختلفة بأسلوب بياني لا يخفى على من يقرؤها، وينعم النظر فيها، ودعوته الصريحة إلى الكتابة البيانية أيضا تجعلنا نقول إنّه رائد في كتابة المقالة البيانية.

6 – المقالة الأدبية، وهي الأكثر انتشارا من بين ألوان المقالة عند الرافعي، وقد اتخذت عنده أشكالا كثيرة؛ إذ كتب في التقرير والترجمة والتقويم بصوره المختلفة من تعريف وتقريظ ونقد، ومن أشكال المقالة الأدبية عنده أيضا المراسلة والتعقيب والمناظرة والتوثيق والمشاكسة

---

[1]– البدري:**الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد**. ص203.

[2]– المصدر نفسه. ص204.

[3]– الرافعي: **وحي القلم** ، ج1. ص9.

والتقويم، وقد أشار إليها جميعا الدكتور مصطفى البدري،[1] وضرب لها أمثلة مما كتبه الرافعي في مؤلفاته المنشورة.

7 – المقالة الدينية: وهي تعبر عن الفكر الذي يؤمن به الرافعي الذي تربى تربية إيمانية؛ إذ حفظ القرأن الكريم وهو في العاشرة من عمره، ومن هذه المقالات: "البلاغة النبوية" و"محمد" و"الأخلاق المحاربة".

8 – المقالة العاطفية، ومن أمثلة هذا النوع مقالته "انتصار الحب" و"القلب المسكين" ومقالته "عرش الورد"، وهو فيها يصف عواطفه ومشاعره فيمن يحبهم من أبنائه وأصدقائه وغيرهم.

9 – المقالة الوطنية، فالرافعي كتب بعض المقالات التي تدلل على وطنيته واعتزازه به وبأبنائه، مثل مقالته "أجنحة المدافع المصرية".

– اللغة عند الرافعي.

يقول الرافعي :"لا قيمة لكاتب لا يضع في اللغة أوضاعا جديدة"،[2] وهذه الجملة تكشف لنا أنّ له مذهبا رائدا في استخدام اللغة، ولعلّ هذا ما دفع العريان أن يقول عن لغته :" إذ كان مذهب الرافعي في الكتابة هو أن يعطي العربية أكبر قسط من المعاني، ويضيف ثروة جديدة إلى اللغة وقد بلغ ما أراد".[3] ولا يعني ذلك أن لغته كانت أقرب إلى التعقيد بل إنها تقوم على أصول؛ منها بساطة التعبير، ووضوح المعنى، والتوسع في مذاهب العربية، والعناية بالتراكيب أكثر من الألفاظ، والاحتفال بالمجاز والعناية به،[4] وقد أوجز البدري وصفا للغته بقوله :"أما لغة الرافعي فهي منتقاة بذوق وفنّ، فلا ترى فيها ذلك التعقيد والإغراب.. وإنما هو يؤثر السلامة باللفظة،

---

[1]– ينظر: البدري: **الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد**. ص141–193.

[2]– أبو رية، محمود:**من رسائل الرافعي**.ط2، مصر: دار المعارف، ص174.

[3]– العريان، سعيد :**حياة الرافعي**.ص223.

[4]– انظر: باناعمة، عادل أحمد سالم : **بناء الجملة عند مضطفى صادق الرافعي من خلال كتابه أوراق الورد**، (رسالة ماجستيرغير منشورة)، السعودية، جامعة أم القرى.1421هـ. ص21.

والكلمة المفردة يغرسها في عباراته، فتنبت فيها يمعنى هو منها، ولكنه يثمر فيها ويعطيها حياة جديدة".[1]

- أسلوبه وكيفية الكتابة عنده.

أمّا أسلوبه فهو أسلوب متين قوي حافل بالمعاني العظيمة، وزاخر بالتراكيب االرصينة، تأثر فيها بالقران الكريم، وكتب أهل الفصاحة والبيان كالجاحظ، والزمخشري، وعبد الحميد وغيرهم، وقد أشرت في موقع سابق لهذا، يقول البدري عن أسلوبه: "لم يكن انطباعيا في أخذه وإنّما يتحرى فُصَح الكلام يستعذبها ويستحليها، ويجعلها من بعض محفوظه ومادة موسيقا، ثم يحرّك في نفسه جهاز التوليد يبتكر في الإسناد، ويبدع في الصياغة، ويختال في الصنعة، ويعنى كلَّ العناية بالتهذيب وتدريب العبارة وانتظام الجملة بالتقديم والتأخير وترادف المفردات.[2] فما هذا الوصف إلا تفسير واضح لعظم الدراسات التي تناولت أدب الرافعي، ومازالت تترى تملأ رفوف المكتبات العربية من شرقها إلى غربها، ومن جنوبها إلى شمالها، ولعلّ عمر الدسوقي أوجز وأجاد في وصف أسلوبه، وعراقة أدبه يقول: " كان يستخدم ألفاظ اللغة في بناء صور جديدة، ولقد برع في هذا براعة أثرت اللغة ثراء عظيما".[3]وثمة خصائص تميز أسلوب الرافعي وهي:

1 –اعتماده على التداخل وتعقيد البناء والطول في بناء جمله، وذلك من خلال التوسع في اختراع التراكيب الجديدة، إذ إنّ بعض الجمل جاءت عنده مركبة من عشرين إسنادا، وقد أفردت مبحثا للحديث عن الجمل الكبرى في مقالاته.

2 – التنوع الأسلوبي من خلال استخدام الأساليب البلاغية المختلفة للتعبير عمّا يريده، فهو لا يدع أسلوبا من هذه الأساليب إلا استوفى منه في مقالاته، فرأيته يكثر من الاستفهام في مواطن الحيرة والقلق، ويكثر من الأمر على سبيل النصح والإرشاد في علاجه للأمراض الاجتماعية

---

[1]– انظر: باناعمة، عادل أحمد سالم : **بناء الجملة عند مضطفى صادق الرافعي من خلال كتابه أوراق الورد**، ص347.

[2]– انظر: البدري : **الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد** .ص348.

[3]– الدسوقي، عمر:**مع الرافعي الكاتب**، القاهرة : مطبعة جامعة القاهرة ، 1969. ص49.

والأخلاق الفاسدة، والتعجب عند استعظامه لشيء ما، وهكذا يظل ينوع في هذه الأساليب كل حسب حاجته.

3 – غلبة اللغة الشعرية والإحساس المرهف على كتابات الرافعي خصوصا في التعبير عمّا يدعو إليه من أفكار، وفي الحديث عمّن يحبهم من معاصريه كالبارودي وحافظ إبراهيم وغيرهم حتى غدت الكتابة عنده ممارسة لعملية نقد فني رفيع.

4 – الاعتماد على الأسلوب القصصي؛ حيث يعمد إليه الرافعي ليتخلص القارئ من الملل، ومن أجل توصيل أفكاره، كما في مقالته "أحاديث الباشا" و"الجمال البائس" و"الانتحار" وغيرها الكثير من مقالاته.

5 – الخيال الأدبي، حيث يستمد خيالاته من ذهنه غالبا بما يخدم فكره الديني الذي يؤمن به، وهذه من أكثر الخصائص التي تميز بها أسلوب الرافعي؛ فلا نكاد نقرأ مقالة من مقالاته إلا كان الخيال الأدبي حاضرا فيها.

6 – الاتكّاء على المعجم اللغوي الخاصّ به، وقد تكون هذا المعجم لديه من خلال لغة القرأن الكريم والحديث النبوي الشريف، وما ورثه عن الأجداد السابقين من أئمة الأدب وأساطين البيان، وهو ما مكنه من التعبير عن مراده بالألفاظ الجزلة والقوية الموحية، والدلالات المختلفة، معتمدا في ذلك كله على قوة العبارة وجودتها، من خلال الترادف والتضادّ والعبارات الموحية، والمجاز اللغوي وغيرها من مادة معجمه.

7 – الإكثار من الصور الفنية، إذ يقدم المعاني بأوصاف عظيمة تجليها وتظهرها بأدق صورة وأجمل وصف، ودعوة الرافعي إلى ذلك صريحة جاءت في صدر كتابه "وحي القلم"؛ إذ يعيب على الكتاب عدم النزوع إلى الكتابة البيانية.

8 – الميل الشديد للتجديد في الأسلوب والموضوع والمفردات مع المحافظة على اللغة العربية التي اكتسبها من القرأن الكريم والحديث النبوي الشريف، والتي ورثها من الأجداد السابقين كأبي حيان التوحيدي والجاحظ وغيرهم.

– كيفية الكتابة عند الرافعي.

وأمّا عن كيفية الكتابة عنده، فقد كان الرافعي شديد الاحتفال للكتابة، يهيئ لنفسه جوا علميا ويطوف بآفاق المعرفة قبل أن يشرع في كتابته، فيقرأ في كتاب لإمام من أئمة البيان كالجاحظ وابن المقفع، وينظر في مدخراته ويستقطر منها أفواف المعاني. ويستخرج من إشاراته الكثيرة ألوانا من المقابلة والموازنة والاستلهام، فيكون للخطوط عنده معاني النظر، ولعلّامات التعجب معنى الجدة والخطورة في الحكم، وغيرها الكثير من الإشارات الدالة، ولا يزال هكذا يزاوج ويستولد ويستنتج من كل معنى معنى حتى تستوي المقالة فكرة تامة، لكنه مع ذلك لم يكن يرى أنها استوت على سوقها حتى يلبسها ثوبا من البيان والزخارف اللفظية، والحكم الفريدة، ويضمنها مقالاته ثم يمليها على من يكتب له، وإذا فرغ من إملائه أخذ الورقة ممن يكتب له قبل أن يقرأها، ثمّ يودعها في درج مكتبه إلى الصباح، وأول عمله في الصباح أن يأتي إليها فيقرؤها ويصحّح ما فيها، ثم يسعى بها إلى حيث ينشر، وبهذا تكون المقالة قد استوت عنده قائمة،[1] وهي كما يقول العريان :"عمل الفكر وكدّ الذهن، وجهد الأعصاب، وحديث النفس في أسبوع كامل، ولكنها مقالة."[2]

[1] ينظر: العريان، محمد سعيد : **حياة الرافعي** ، ص220–228، ومضطفى البدري: **الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد**، ص364– 366.

[2] العريان، محمد سعيد : **حياة الرافعي**. ص227.

الفصل الأول

الأبنية الصرفية ودلالاتها

أولا: أبنية الأفعال.

1 – التجرد والزيادة

2 – التعدي واللزوم

3 – البناء للمعلوم والبناء للمجهول

ثانيا: أبنية المصادر.

ثالثا: أبنية المشتقات.

رابعا:أبنية الجموع.

يتضمن هذا الفصل دراسة إحصائية للمباني الصرفية وفق جداول تبين تكرار كل منها، ويعمد الباحث من خلالها إلى بيان الأثر الدلالي لانتشار صيغة من الصيغ أمام صيغة أخرى، كانتشار الفعل المضارع وندرة فعل الأمر، أو انتشار أحد المشتقات كاسم الفاعل أو اسم التفضيل أمام غيره كاسم الآلة مثلا، ويبين الباحث من خلال هذه الدراسة أنّ ثمة أسبابا وراء انتشار هذه الصيغة أو تلك، منها الحفاظ على موسيقى الجملة، ومنها طبيعة الموضوع الذي يعالجه؛ حيث تتطلب بعض الموضوعات استخدام فعل الأمر عندما يتناول قضية تاريخية، بينما يحتاج الحديث عن الموضوعات الآنية كالقضايا الاجتماعية والسياسية الفعل المضارع أكثر من الماضي والأمر، وهكذا في استخدام صيغ الجموع والمشتقات وغيرها من المباني الصرفية.

أولا:- أبنية الأفعال.

الحديث عن الأفعال يحتاج إلى قسمتها كي تسهل دراستها إلى مطالب بحيث تتم دراستها كاملة دون إهمال أيّ منها، لذا فإنّ هذه الدراسة تتناول الأفعال وما يتصل بها من التجرد والزيادة والمعاني التي تزاد لها الحروف على أبنيتها، ثم التعدي واللزوم، ثمّ البناء للمعلوم وللمجهول، وأثر استخدام كلّ منها على المعاني التي يريد الرافعي تقديمها لقرّائه.

أ - التجرد والزيادة.

الكتب القديمة والحديثة تمتلئ بالحديث عن هذين الأمرين، لذا أبدأ بالدراسة التطبيقية للمقالات الرافعية من خلال نماذج مختارة من هذه المقالات.

1 . أبنية الفعل الثلاثي المجرد. الأفعال المجردة إمّا أن تكون ثلاثية أو رباعية، ولا يوجد في العربية أفعال خماسية الأصول، يقول ابن السراج: "ولا يبنى من بنات الخمسة فعل البتة"[1]. وكي تكون الدراسة التحليلية لهذه الأفعال واضحة رأيت أن أجعل المباني المستخدمة في جداول تكشف عن أنواعها من حيث الصحة والاعتلال، والأزمنة التي جاءت فيها، ومن ثمّ بيان تكرار كلّ منها، وبعد ذلك تشرع الدراسة بتحليل هذه البيانات والوقوف عليها لمعرفة أبرز المظاهر

[1] ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل البغدادي: **الأصول في النحو**،ج3،تحقيق: عبد الحسين القتلي، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1417هـ - 1996م. ص226.

اللغوية فيها، والجدول الآتي يبين أبنية الفعل الثلاثي المجرّد، والصيغ المختلفة التي جاء عليها في مقالات الرافعي.

جدول رقم (1)

جدول أبنية الفعل الثلاثي المجرد، نماذج مختارة[1].

	الصحيح السالم	الصحيح المضعف	الصحيح المهموز	المعتل المثال	المعتلّ أجوف	المعتــلّ الناقص	اللفيف المقرون	المجموع
الماضي	204	31	31	38	275	48	3	630
المضارع	375	43	38	58	240	138	4	896
الأمــر	16	–	1	5	3	1	–	26
المجموع	595	74	70	101	518	187	7	1552

أولا: من حيث الدلالة الزمنية.

يتضح من خلال الجدول أعلاه انتشار الفعل المضارع الثلاثي بنسبة أكبر من الفعل الماضي، في حين جاء فعل الأمر قليل الانتشار في المقالة الرافعية عند مقارنته بالمضارع والماضي.

– **الفعل المضارع الثلاثي**، ورد الفعل الثلاثي المجرد بصيغة المضارع في المقالات المختارة (896) مرة بنسبة (7،57%) وهي تفوق الماضي والأمر معا، وقد جاءت صيغ المضارع موزعة بين الصحيح والمعتل، وهي الصيغة الزمنية الأكثر انتشارا عنده، وإنْ كان المضارع

[1] هذه المقالات هي : استنوق الجمل، عربة اللقطاء، تربية لؤلؤية، الله اكبر، حقيقة المسلم، درس من النبوة، يا شبابا العرب، الطماطم السياسي، انتصار الحب، البؤساء، ابو حنيفة ولكن بغير فقه، فيلسوف وفلاسفة. حيث تم اختيار أربعة مقالات من كل جزء في وحي القلم على الترتيب .

في معناه يدلّ على زمان التكلم[1] إلا أنّ استخدام الرافعي له جاء إلى هذه الدلالة وإلى غيرها، فهو كثيرا ما دلّ عنده على زمن الاستقبال متّصلا بالقرائن التي تخلصه إلى هذه الدلالة، إذ يصبح المضارع دالا على الاستقبال بها، وقد بينتْ كتب اللغويين هذه القرائن، "فهو يتخلص للاستقبال بظرف مستقبل وبإسناد إلى متوقع، وباقتضائه طلبا أو وعدا وبمصاحبته ناصبا أو أداة ترجٍّ أو إشفاق أو مجازاة أو لو المصدرية أو نون التوكيد أو حرف تنفيس وهو السين وسوف"،[2] كثيرا ما اقترن المضارع عنده بهذه الأدوات، وربما تتحول دلالته الزمنية إلى الماضي ببعض القرائن مثل (لم) إذ يؤدي دخولها على المضارع إلى تغير دلالته إلى الماضي[3].

كثيرا ما تحفل الجملة عند الرافعي بهذه الصيغة، ثمّ إنّ هذه الصيغة أي المضارع كثر اقترانها بالقرائن التي تصرف المضارع إلى الدلالات الزمنية جميعها، والاستخدام الأكثر للفعل المضارع في المقالات المختارة لهذه الدراسة جاء خاليا من هذه الأدوات، وقد يتضمن التركيب الواحد عنده عددا من الأفعال المضارعة التي كان الرافعي يكثر من استخدامها في المقالات التي يرمي من خلالها إلى تأكيد الحقائق والمبادئ التي يؤمن بها، ويعمد إلى ترسيخها في النفوس، من ذلك قوله:"وبالجلسة في الصلاة وقراءة التحيات الطيبات، يكون المسلم جالسا فوق الدنيا يحمد الله ويسلّم على نبيه وملائكته ويشهد ويدعو"،[4] فالأفعال المضارعة هنا تدلّ على استمرارية النتائج باستمرار مسبباتها، فهو يعمّق هذه المعاني في نفس المسلم من خلال صيغة المضارع، ويسعى إلى نشر الفكرة السامية حتى تعتاد النفوس على ممارستها، وجعلها سلوكا يقود صاحبه إلى فعل الخير والحرص عليه دائما.

---

[1] انظر: ابن كمال باشا، شمس الدين أحمد بن سليمان: **أسرار النحو**. تحقيق: الدكتور أحمد حسن حامد، ط2، عمان: دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، 1422هـ – 2002م. ص229.

[2] ابن هشام ، جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصاري : **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ج1. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا – بيروت : المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1411هـ – 1991م. ص230

[3] ينظر: ابن هشام الأنصاري: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**،ج2، شرح إميل يعقوب،ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 2002م. ص89.

[4] الرافعي: **وحي القلم** (حقيقة المسلم)، ج2. ص14.

- **الفعل الماضي**، يكون الفعل ماضياً إن دلّ على زمن سابق على زمن التكلم[1]، وهو عند اللغويين "كلمة تدل على مجموع أمرين معنى وزمن فات قبل النطق بهما"،[2] وقد استخدمه الرافعي بنسبة أقل من المضارع لكنها تفوق الأمر بأضعاف كثيرة، حيث ورد في المقالات المختارة (630) مرة، وهو ما نسبته (6،40%) وإن كانت الصيغة في الأصل تستخدم للدلالة على الزمن الماضي إلا أن بعض القرائن تغير الدلالة الزمنية، فكلمة (قد) التي تتصل بالماضي كثيرا تدلّ على الحدوث في الزمن القريب من الحال، على نحو ما نجده في قوله:"ولتاجر أميّ طاهر الاسم تتحرك سوقه وتحيا خير من تاجر متعلم نجس الاسم قد قامت سوقه وخمدت فما تتنفس من درهم أو دينار"، فالحرف قد وإن كان للدلالة التوكيد إلا أنه يجعل الفعل قريبا من الزمن الحاضر، فهي إذا دخلت عليه قربته من الحال ولهذا حسن أن يقع الماضي في موقع الحال[3]. أمّا حرف النفي (ما) فهو يدلّ على عدم الحدوث في هذا الزمن، أي الزمن القريب.

وفي أسلوب الشرط الجازم تتحول الدلالة الزمنية للفعل الماضي إلى معنى الزمن المستقبل، يقول الرافعي في حديثه عن الصحابة: وعرفوا به -صلى الله عليه وسلم- تمام الرجولة،ومتى تمّت هذه الرجولة في إنسان رجعت له الطفولة في روحه"،[4] (فالفعل عرفوا خالص في دلالته على الزمن الماضي، لكنْ الفعلين (تمت، ورجعت) يحملان دلالة المستقبل من خلال استخدام متى الشرطية الجازمة.

وفي صيغ الدعاء الذي يكثر منه الرافعي في كتاباته بما يدلّ على إنسانيته وسمو خلقه يدلّ الماضي على المستقبل بلا ريب، يقول:" إنّ قاسم أمين -رحمه الله- لم يكن يظنّ أنّ الخطأ لا يجعل الخطأ صوابا"،[5] فقوله (رحمه) الله دعاء له بأن يرحمه الله في أخراه يوم القيامة. وقد

---

[1] ابن كمال باشا: **أسرار النحو**. ص229.

[2] حسن، عباس: **النحو الوافي**، ج1. ط.3، مصر: دار المعارف، د.ت، ص47.

[3] الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى: **معاني الحروف**. تحقيق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي.ط2. جدة: دار الشروق. 1401هـ - 1981م.ص98.

[4] الرافعي: **وحي القلم** (حقيقة المسلم)،ج2، ص15.

[5] المرجع نفسه (تربية لؤلؤية)، ج1. ص185.

يصلح للدلالة على الزمن الماضي أو المستقبل ما لم تكن هناك قرينة تخصصه، وذلك عند وروده مع همزة التسوية، نحو سواء عليّ أقمت أو قعدت.[1]

غير أنّ الرافعي في أكثر استخداماته للفعل الماضي كان لمجرّد الدلالة على الزمن الفائت، وهو ينتشر كثيرا في المقالات التي تتناول قضايا تاريخية وأحداثا سبق أن حدثت في العصور الماضية، أو قبل مجيء الرافعي إلى الدنيا، إذ نجده يحشد عددا من هذه الأفعال في التركيب الواحد، يقول في حديثه عن نساء النبي –صلى الله عليه وسلم– وقد اجتمعن حوله يطالبنه بالتوسعة عليهن: "قالوا إنّه لمّا نصر الله تعالى رسوله وردّ عنه الأحزاب وفتح عليه قريظة والنضبر، ظنّ أزواجه أنّ اختص بنفائس اليهود وذخائرهم... وقلن يا رسول الله بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل ...ونحن ما تراه من الفاقة والضيق فآلمن قلبه.."،[2] فالرافعي في هذا التركيب يحشد عددا من الأفعال الماضية الثلاثية وغير الثلاثية، فالأفعال (قالوا، ونصر، وردّ، وفتح، ظنّ، وقلن) كلها ماضية وثلاثية، وقد جاء بها للحديث عن مجرد الماضي، أمّا من حيث الدلالة فيها فهي تدلّ على التحول والاعتقاد والبوح بما في الصدور، وكذلك الأفعال فوق الثلاثية كالفعلين (اختصّ وآلمن) جاءت للدلالة نفسها على الزمن الماضي المجرّد.

– **فعل الأمر**، وكان استخدامه قليلا عند مقارنته بالفعلين السابقين المضارع والماضي، حيث لم يرد سوى (26) مرة فقط من الفعل الثلاثي في النماذج المختارة لهذه الدراسة، وهذ الاستخدام نسبته ضئيلة جدا لم تتجاوز (7،1%) من مجموع استخدامات الأفعال الثلاثية، وهو كلمة تدلّ بنفسها على أمرين مجتمعين، هما: "معنى، وهذا المعنى مطلوب تحقيقه في الزمن المستقبل".[3] وهو لفظة يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب بحذف حرف المضارعة، ومن غير الفاعل المخاطب باللام، وقد تضمر اللام للضرورة،[4] وهذه اللام هي التي يسميها اللغويون لام الأمر، ومن أمثلة اسيتخدامها قوله في حديثه عن نساء النبي –صلى الله عليه وسلم– عندما اخترن الله

---

[1] ينظر: حسن، عباس: **النحو الوافي** ،ج1. ص52 – 54.

[2] الرافعي: **وحي القلم** (درس من النبوة)، ج2. ص57.

[3] حسن، عباس: **النحو الوافي** ،ج1. ص48.

[4] انظر: ابن كمال باشا: **أسرار النحو**. ص238.

ورسوله على زينة الدنيا ومتاعها:"هذه هي القصة كما تقرأ في التاريخ وكما ظهرت في الزمان والمكان، فلنقرأها نحن كما هي في معاني الحكمة، وكما ظهرت في الإنسانية العالية، فسنجد لها غورا بعيدا، ونعرف فيها دلالة سامية"،[1]إذ جاء الفعل المضارع (نقرأها) متصلا بلام الأمر التي تصرف دلالته إلى المستقبل، وتعطيه معنى الأمر إمّا إجبارا أو نصحا وإرشادا أو التماسا أو لدلالات أخرى[2]، وواضح أنّ الأمر هنا جاء لتنبيه الناس إلى أمر نساء النبي –صلى الله عليه وسلّم– والعظمة التي عُرفن بها، ثمّ للنصح والإرشاد للاقتداء بهن فيما أظهرنه من الحكمة العالية وسداد الرأي والثبات على الدين. وأكتفي بهذا العرض لجملة الأمر؛ لأنّ ثمة مبحثا يتناول هذه الصيغة ودلالاتها كما أشرت في الهامش أدنى الصفحة، حيث فصلت فيه القول توضيحا وتبيانا.

– الزمن الدلالي للفعل.

جاء استعمال الرافعي متفاوتا في الصيغة الزمنية للأفعال؛ إذ إنه حرص كثيرا على استعمال الفعل المضارع في المقالات التي أراد أن يتحدث فيها عن الواقع الذي تحياه أمته، والموضوعات التي أراد من خلالها توجيه الناس إلى الصواب، سواء أكانت دينية أم اجتماعية أم سياسية؛ بينما غلب استعمال الفعل الماضي في المقالات التي تحدثت عن قضايا تاريخية، أو عالجت أحداثا جرت في الزمن الماضي، وقد كان استعمال الرافعي للفعل الماضي أقل من المضارع بوجه عام، أمّا فعل الأمر فكان استعماله عند الرافعي قليلا، وأكثر استعمالاته جاءت في المقالات التي عبر من خلالها عن آماله وطموحاته التي عمد من خلالها إلى توجيه الشباب أو النساء للتمسك بالمبادئ الإسلامية والأخلاق الرفيعة التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم.

أ – الفعل المضارع: وهو أكثر الصيغ الزمنية انتشارا عند الرافعي، واستعماله جاء كثيرا في الموضوعات التي تعالج قضايا معاصرة تخصه أو تخص أمته عامّة، ففي مقالته "فلسفة القصة

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (درس من النبوة) ج2. ص57.

[2] هذه الاستخدامات أبينها مفصلا في الفصل الثالث من هذه الدراسة، حيث تتناول الدراسة مبحثا لجملة الأمر، وتقف على استخداماته وكيفية صياغته، وأبرز الدلالات التي يؤديها في سياقاته المختلفة.

ولماذا لا اكتب فيها"[1] التي يتحدث فيها عن زمنه الذي يحيا فيه، إذ يبين الرافعي الأسباب التي جعلته لا يحتفي بكتابة القصة كثيرا. فهو يقدم نظرته الفلسفية حول عدم النزوع إلى الإكثار من هذا الفن الأدبيّ منذ بداية المقالة بقوله:"لم أكتب القصة إلا قليلا... ولكني مع ذلك لا أراني وضعت كل كتبي ومقالاتي إلا في قصة بعينها، هي قصة هذا العقل الذي في رأسي، وهذا القلب الذي بين جنبي".[2] فالفعل (أكتب) يدلّ على ابتدائه من الزمن الماضي حتى اللحظة لاتصاله ب(لم) لكن عزوفه عن كتابة القصة يبرر عنده بأنه جعل كل ما يكتبه وما يبدعه قصة على غير ما نسميه نحن؛ لأن القصة التي يتحدث عنها في إبداعاته هي قصة العقل والقلب وما فيهما من خواطر ومشاعر.

إذن يعالج الرافعي في هذه المقالة قضية ذاتية آتية، ربما جاءت من سؤال أحد قرائه حول الأسباب التي جعلته يصرف نظره عن كتابة القصة، فهو يعلل ويفسر ذلك قائلا:" أنا لا أعبأ بالمظاهر والأعراض التي يأتي بها يوم وينسخها يوم آخر؟"[3]، فهذا التركيب القصير تكرر فيه المضارع ثلاث مرات، يبين من خلالها مبدأ يسير عليه في كتاباته، قوامه البعد عن الأعراض والمظاهر المتعاقبة يوما بعد يوم، والتي لا تعود في الغالب بالمنفعة على المجتمع، وإنما يجعل عنايته كلها إلى التوجيه والإرشاد والحرص على نشر الفضائل وتوضيحها للناس؛ لئلا يسيروا في التيه الذي يقود إلى الهزائم والإنحطاط ونشر الرذائل، يقول:"والقبلة التي أتجه إليها في الأدب إنما هي النفس الشرقية في دينها وفضائلها، فلا أكتب إلا ما يبعثها حية ويزيد في سموّ غايتها، ويمكن لفضائلها وخصائصها في الحياة، ولذا لا أمس من الآداب كلها إلا نواحيها العليا"[4]، وهنا يحشد الرافعي ستة أفعال كلها في صيغة المضارع، وهذا يتفق مع الدعوة إلى الدين والفضائل التي تحتاج أن تظل حية في النفوس والقلوب، ولا يكون ذلك إلا من خلال نشر الفضائل وإظهارها المتجدد للناس، فهو لتحقيق ذلك لا يمسّ إلا النواحي العليا من الآداب، وهذا ما يجعله

---

[1] وردت هذه المقالة في الجزء الثالث من "وحي القلم"، ص243–244 إذ بين فيها الأسباب التي جعلته لا يحفل بالفن القصصي في كتاباته وأعماله الأدبية.

[2] الرافعي: **وحي القلم**،ج3 (فلسفة القصة ولماذا لا أكتب فيها)، ص243.

[3] المرجع نفسه، ص243.

[4] المرجع نفسه، ص243.

يتمم القول السابق بقوله :" ثم إنه يخيل إليّ دائما أني رسول لغوي بعثت للدفاع عن القرأن ولغته وبيانه"[1]. وما دام هذا واجبه ورؤيته لنفسه فمن الطبيعي أن يعزف عن كتابة القصة إلا ما كان يخدم هذه الغاية التي وجد من أجلها.

يقول في موضع أخر من هذه المقالة :" فأنا أبدأ في موقف الجيش (تحت السلاح): له ما يعانيه وما يكلفه وما يحاوله ويفي به، وما يتحاماه ويتحفظ فيه"[2]، وهنا أيضا تتكرر صيغة المضارع ست مرات ليظهر لنا صورة حية كأننا نشاهدها بأعيننا، ويتبين من خلالها عظم المسؤولية التي تقع على عاتقه، فكما أنّ الجيش دائم المعاناة وتكلف المشقة، والمحاولة المستمرة لأداء واجبه، والوفاء لأمته، وما يتحاشاه ويتحفظ عليه دونما توقف عن ذلك، فكذلك الرافعي يجعل من نفسه واحدا من هذا الجيش إلا أن مسؤوليته الكاملة تتمثل بصورتها العظمى في كتابته، وبما يدعو إليه من الفضائل والمحاسن والخيرات بصورة متجددة تتكرر كل يوم، وهو ما نفهمه من خلال تكرار الأفعال المضارعة. ولا يعني عزوف الرافعي عن كتابة القصة إنكار فضلها وأثرها في الحياة، بل إنها ذات تأثير عظيم في نظره، يقول:"ولا ينبغي أن يتناولها غير الأفذاذ من فلاسفة الفكر... والأعلام من فلاسفة البيان"[3]، ولَهذا خير دليل على تقديره للدور العظيم الذي تحدثه القصة، فهو لا يبتعد عنها إنكارا لفضلها، وإنما لأنه جعل رسالته نشر الفكرة التي تعود على مجتمعه بما يسمو به في الآفاق.

أما الفعل الماضي في مثل هذه المقالات فهو عند الرافعي يتصل بالحاضر والمستقبل من خلال القرائن التي تسبقه، يقول "إذا قرأت الرواية الزائفة أحسست في نفسك بأشياء بدأت تسفل، وإذا قرأت الرواية الصحيحة أدركت من نفسك أشياء بدأت تعلو، تنتهي الأولى فيك بأثرها السيئ، وتبدأ الثانية منك بأثرها الطيب، وهذا عندي هو فرق ما بين فن القصة وفن التلفيق القصصي!!"[4]، ففي هذا السياق تكرر الفعل الماضي ست مرات، لكنها جميعا تحمل دلالة الزمن

---

[1] الرافعي: **وحي القلم**،ج3 (فلسفة القصة ولماذا لا أكتب فيها)، ص243.

[2] المرجع نفسه، ص243.

[3] المرجع نفسه، ص244.

[4] المرجع نفسه. ص244.

الحاضر والمستقبل التي يدل عليها المضارع، وهذا يعود لأداة الشرط التي تحول الدلالة الزمنية من الماضي إلى المضارع. وهو لا يكتفي بالمضارع لإيضاح فكرته، وإنما يعمد إلى المقابلة ليحقق معانيه التي يصبو إليها، فهو يقابل في التركيب الأول بين الزائفة والصحيحة، وأحسست وأدركت، وفي نفسك من نفسك، وتسفل وتعلو، وكل هذا لجلاء فكرته وإظهارها بصورة ناصعة مؤثرة، ثم يقابل في التركيب الثاني بين تنتهي وتبدأ، وفيك ومنك، والسيئ والطيب، وبهذه المقابلات يختم الرافعي مقالته، وهي خاتمة تفسر العنوان الذي الذي اختاره ومضمون المقالة التي صاغها بعده.

ب – الفعل الماضي: جاء استعماله عند الرافعي بنسبة أقل من الفعل المضارع، وكان حضوره غالبا في علاج القضايا التاريخية التي حدثت في زمن قبل زمنه، وهذا ينسجم مع هذه الموضوعات، ففي مقالته " أبو تمام الشاعر تحقيق مدة إقامته بمصر"[1] يعالج قضية تاريخية مهمة وهي الإدعاء بأن أبا تمام نشأ وترعرع في مصر منذ طفولته المبكرة، فهو يذكر الروايات التي تذهب إلى هذا الرأي كرواية ابن خلكان التي تشير إلى نشأنه بمصر بعد أن ولد بجاسم، وكذلك رواية الأنباري في كتابه "طبقات الأدباء"، والرافعي يرى أن هذه الرواية قد صنعت في مصر للغصّ من أبي تمام والزراية عليه، من هنا جاءت هذه المقالة النقدية الأدبية التاريخية غاصّة بالأفعال الماضية التي تنسجم مع العنوان، ومضمونها الذي يتحدث عما سلف، فالرافعي يكتب في العصر الحديث من عصور الأدب عن شخصية مشهورة عاشت في العصر العباسي أي قبله بمئات السنين.

يقول الرافعي بعد الفراغ من تفنيد الروايات حول نشأة أبي تمام بمصر:"وبعد، فإننا نقرر أنّ هذا الشاعر العظيم لم ينشأ بمصر، وأنه ولد وتأدب في الشام ثم قدم إلى مصر شاعرا ناشئا يتكسب بأدبه كما قدم عليها غيره"[2]، فالرافعي يأتي بأربعة أفعال ماضية وهي (ولد وتأدب وقدم المتكرر مرتين) تحقيقا لرأيه، وهو هنا يستخدم الفعل تأدب الذي يحتاج زمنا طويلا حتى يتحقق

[1] ينظر: الرافعي: **وحي القلم**، ج3،ص362 – 367. وهي قضية اختلف فيها المؤرخون ودارسو الأدب حولة نشأة أبي تمام.

[2] المرجع نفسه، ص363.

معناه في النفس، ويستخدم بعده حرف العطف ثم الذي يدل على الترتيب والتراخي أي البعد الزمني بين ما يأتي قبلها وما يأتي بعدها، وهذا ينسجم مع رأيه القائل بعدم نشأة أبي تمام في مصر؛ أما الفعل نقرر فقد جاء بصيغة المضارع التي يستعملها الرافعي لتأكيد الحقائق، والفعل ينشأ جاء مسبوقا بلم ولا يخفى أنها تنقل زمن الفعل إلى الماضي.

ثم يقول الرافعي:" وأنه لم يأت إلى مصر إلا في ولاية عبد الله بن ظاهر...وقد جعلت له ولاية مصر والشام والجزيرة في سنة 210 أو 211 على خلاف بين المؤرخين، وكانت سن أبي تمام يومئذ بين 21 و23 سنة"[1]، وهنا يستعمل الأفعال (لم يأت وحصلت وكانت) وكلها تدل على الماضي، وهذه الأفعال تدل على الحركة والانتقال وهي تنسجم مع النص الذي يعالج قضية كهذه، ويسوق أسبابا كثيرة تدلل على صحة رأيه، كالحديث عن الروايات التي تبين ولادته، ونشأته، وبداية قوله الشعر، ومدحه لبعض معاصريه من أهل الشام، وغيرها من الأسباب، ويقول بعد توضيحها وجلائها: "يخلص من كل ما تقدم أن أبا تمام ولد في الشام وتأدب فيها وقدم إلى مصر كبيرا ... فأقام بها بين خمس سنين وست، ولم يجد له عيشا بها بعد قتل عمير بن الوليد الذي قتل في سنة 214، فإنه كان يعيش في كنفه، وقد صرح في قصيدته النونية التي رثاه بها أنه يأمل من بعده في ابنه محمد"[2]، وعند الإمعان في هذا النصّ يظهر تكرار صيغة الماضي وما يدلّ عليه عشر مرات، وهذه الأفعال جاءت متتابعة لا يمكن أن تحدث في زمن قصير بل تحتاج مدة زمنية طويلة أسهمت في رسم معانيها الأحوال والظروف والأحداث التي تحتاج زمنا حتى تتحقق، فمن الأحوال كلمة (كبيرا) في قوله :"ولد في الشام ... وقدم إلى مصر كبيرا" فكلمة (كبيرا) الواقعة حالا تبين البعد الزمني بين الفعلين ولد وقدم؛ لأن الإنسان لا يولد كبيرا، ومن الظروف التي تعمق معنى الزمن الماضي كلمة (بعد) في قوله :" ولم يجد له عيشا بها بعد قتل عمير بن الوليد"، ومن الأحداث الدالة الفعل (يعيش) الوارد في الجملة السابقة، فهو لايمكن أن يتم في زمن قصير، وإنما يحتاج مدة طويلة، وهذا ينسجم مع القضية التي يعالجها الرافعي وهي تحقيق مدة إقامة أبي تمام في مصر.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم**،ج3 ،ص363.

[2] المرجع نفسه، 367.

ت – الفعل الأمر: جاء استعمال الرافعي لصيغة الأمر قليلا جدا عند مقارنته بالصيغتين الأخريين الماضي والمضارع، ومع ذلك نجده مكررا في بعض مقالاته، وخصوصا المقالات التي يبثّ فيها اماله وطموحاته في أبناء أمته، والتي يقف فيها موقف الناصح المرشد لهم، ومن ذلك مقالته "احذري"[1] وهي قصيدة مترجمة عن الملك صاغها الرافعي بأسلوبه، وواضح من خلال العنوان أنها تقوم على صيغة الأمر، حيث يقف الرافعي من خلالها موقفا حادا من الدعوات الهدامة التي تدعو إلى تقليد المرأة الأوروبية، إذ جاءت هذه الدعوة من بعض المفكرين وممن يحذو حذوهم من عامة الناس، فهو في هذه المقالة يوجه المرأة الشرقية نحو السبيل الذي يوصلها إلى العفاف والطهر والنجاة من ظلمات التمدن المزعوم الذي ينتهي فيها إلى الرذيلة والسفور، يقول الرافعي :" احذري أيتها الشرقية وبالغي في الحذر واجعلي أخصّ طباعك الحذر وحده"[2]، فالنداء الذي ابتدأ به الرافعي جاء بعده ثلاثة أفعال كلها في صيغة الأمر، وهو أسلوب يستخدمه الخطاب القرآني، لكن ثلاثة الأفعال لا يتضح معها ما الذي ينبغي أن تحذر المرأة منه، وهذا من شأنه التشويق للبحث عن هذا الأمر الذي ينبغي أن تحذر وتبالغ في الحذر منه، فهو يريد أن يجعل المرأة تفكر بكل شيء يمكن أن يعيبها لتحذر منه.

ثمّ يقول:" احذري تمدن أوروبا أن يجعل فضيلتك ثوبا يوسع ويضيق ...اذري فنهم الاجتماعي الخبيث ... احذري تلك الأنوثة الاجتماعية الظريفة ... احذري تلك النسائية الغزلية... أيتها الشرقية احذري احذري"[3]، فهو من خلال هذه التراكيب يوضح الأمور التي ينبغي على المرأة أن تحذر منها لما لها من عقبات تفتك بها وبمجتمعها؛ فالتمدن المزعوم يجعل الفضيلة رهنا له، ويؤثر فيها أسوأ تأثير حتى تغدو كالثوب يضيق ويوسع كما يريده صاحبه، وعليها أن تذر الفن الاجتماعي الخبيث الذي لا يأتي إلا بكشف جسمها أمام الرجال كضريبة لهذا الفن، وعليها الحذر من تلك الأنوثة التي لا تتحقق إلا بالفضيحة، كما عليها الابتعاد عن الغزلية النسائية التي تفرض عليها أن تشارك البغِيّ في نصف عملها، فهذه المضارّ ينبغي أن تحذر منها

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (احذري)، ج1، ص251 – 255.

[2] المرجع نفسه (احذري)،ج1،ص251.

[3] المرجع نفسه، ص251.

المرأة الشرقية، ولعلّ هذه المفاسد هي التي جعلته يبدأ جملته الأولى بثلاثة أفعال كلها في صيغة الأمر، ولا شكّ في أن الأمر للنصح والإرشاد ولتنبيه المرأة إلى عظم الفساد الذي تجنيه من هذه الدعوات المزعومة التي تنادي بتمدن المرأة وتحررها.

يقول في موضع أخر:" احذري التمدن الذي اخترع لقتل لقب الزوجة المقدس لقب المرأة الثانية"[1]، ويقول أيضا:" احذري وأنت النجم الذي أضاء منذ النبوة أن تقلدي هذه الشمعة التي أضاءت منذ قليل"[2]، فهو هنا يذكر المرأة بمكانتها العظيمة، ودورها المعطاء كي تكون على قناعة في محاربة الرذائل التي تواجهها نتيجة تقليد المرأة الأوروبية، وهكذا تتوالى أفعال الأمر في النص، وكلّ منها يدعو إلى ترك رذيلة من الرذائل لتحلّ محلها فضيلة من الفضائل، حتى ليدرك من يقرأ هذه المقالة أن الرافعي يريد من المرأة الشرقية أن ترفع لواء الدين، وتجعله نصب عينيها بمحاربة كل فاسد وخبيث، كي تغدو المرأة منارة مرفوعة كلافتة يظهر عليها شعارات ينبغي أن تتسلح بها كل امرأة في الشرق، لتظل شمعة مضيئة كما أضاءت منذ فجر النبوة، وهذه الشعارات تلخصها أفعال الأمر المتكررة في النص: الشعار الأول: لا شيء يرفع قدر المرأة كعفتها، والثاني: لا شيء يرفع من قيمتها مثل أخلاقها، والثالث: لا شيء يرفع من درجتها إلا تقواها. فكل امرأة تحقق هذه الشعارات مجتمعة حتما تكون اللؤلؤة التي ينتظرها المجتمع لبنائه ورفعته وسموه بين المجتمعات، ولا يتحقق هذا للمرأة إلا إذا بالغت في الحذر من كل ما يشينها، وهو ما تفسره صيغة الأمر المنتشرة في هذه المقالة وخصوصا الفعل (احذري) الذي تكرر غيرة مرة فيها.

ثانيا: من حيث الوزن الصرفيّ.

وهي تكون في الماضي والمضارع والأمر، والماضي الثلاثي يحتمل اثني عشر وزنا إلا أنّ ثقل الفعل حال دون التصرف الكثير في أوزانه فلم يأت منها إلا ثلاثة،[3] والمضارع لا يخلو

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** ، ص252.

[2] المرجع نفسه، ص252.

[3] انظر: قباوة، فخر الدين: **تصريف الأسماء والأفعال**. ط2. بيروت: مكتبة المعارف. 1408هـ - 1988م ص 85 - 86.

من الحركات الثلاث (الضم والفتح والكسر)، وبالجمع بين عين الماضي وعين مضارعه تكون لكلّ حركة من حركات الماضي ثلاث حركات في المضارع؛ أي أننا أمام تسعة أبنية، وباستقراء آراء اللغويين يتبيّن أن المشهور منها ستة أبنية وهي : (فعَل يفعُل)، (فعَل يفعِل)، (فعَل يفعَل)، (فعُل يفعُل)، (فعِل يفعِل)، (فعِل يفعَل)[1]، وثمة ملاحظات للصرفيين تبيّن هذه الأبنية، لكنني في هذه الدراسة أقف عند استخدام الرافعي لهذه الأبنية وحضورها عنده، ومدى التزامه بملاحظات الصرفيين، وهو ما أبيّنه فيما يأتي من ملاحظات حول استخدامات الفعل الثلاثي المجرّد في المقالات المختارة عند الرافعي.

1- باب (فعَل يفعُل) بفتح عين الماضي وضمّ عين المضارع، "أفعال هذا الباب كثيرا ما تدلّ على الطلب والحركة والسير والاضطراب والجوع والعطش والدنوّ والابتعاد والحسن والأخذ والعطاء وغيرها"،[2] ولم تكن استخدامات الرافعي لهذه الصيغة بعيدة عن هذه المعاني، فهو باب واسع جدا، وله معان كثيرة، يقول الرافعي:"ولست أرى هذه اللجاجة التي ثارت بفتياتنا إلا تمردا من طبيعتهن على الأحوال الظالمة المتصرفة بها" فالفعل ثار الدالّ على الاضطراب جاء ليخدم المعنى الذي يبينه السياق، فحال المرأة الذي تمرّ به وما هي فيه من الضيق والقلق يفرض عليها الثورة على وضعها المضطرب.

وقد كثر مجيء هذه الصيغة في الكلام العربي ففي قوله:"لمّا نصر الله رسوله وردّ عنه الأحزاب... ظنّ أزواجه أنّه اختصّ بنفائس اليهود وذخائرهم، وكنّ تسع نسوة ... فقعدن حوله وقلن يا رسول الله بنات كسرى في الحلي... ونحن ما تراه من الفاقة والضيق... فأمره الله أن يتلو ما نزل في أمرهن"[3]، تكررت أفعال هذا الباب مرارا وهي: (نصر وردّ وظنّ وقعد وقلن وأمر ويتلو) وقد جاءت لدلالات مختلفة كالغلبة والتحول والاعتقاد والطلب والتصويت، ومما يفسر كثرة انتشار هذا الباب قول ابن عصفور :""إذا كان معتل العين أو اللام بالواو كان المضارع أبدا على يفعُل بضم العين، وإذا كانت عينه ولامه من جنس واحد فمضارع المتعدي

[1] انظر: الحديثي، خديجة عبد الرزاق: **أبنية الصرف في كتاب سيبويه**.ط1،بغداد: مكتبة النهضة، 1965م. ص378.

[2] الحديثي، خديجة عبد الرزاق: **أبنية الصرف في كتاب سيبويه**. ص381.

[3] الرافعي: **وحي القلم** (درس من النبوة)، ج2. ص57.

منه تكون عينه مضمومة، وإذا كان الفعل الماضي مفتوح العين للمغالبة فمضارعه أبدا على يفعُل"،[1] ومن هذه الأفعال المستخدمة بكثرة عند الرافعي: (قال يقول، عاد يعود، كان يكون، دارت تدور، ظنّ يظن، أخذ يأخذ، سكت يسكت)، حيث جاءت أكثر الأفعال التي أوردها الرافعي في مقالاته من هذا الباب.

2- باب (فعَل يفعِل) بفتح عين الماضي وكسر عين المضارع، وهذا الباب يأتي من الماضي الصحيح يقول فخر الدين قباوة: " الماضي (فعَل) إذا كان صحيحا غير مضعف جاء مضارعه على يفعُل أو يفعِل"،[2] وإن كان هذا البناء مضعفا فلا يخلو أن يكون متعديا أو لازما فإن كان لازما فمضارعه أبدا على(يفعِل)[3]، ومن أبرز الدلالات التي حملتها هذه الصيغة عنده الطلب والأخذ والثبات والسير والمجيء والحركة والاضطراب، وهي لا تبتعد عن المعاني التي تستخدم لها هذه الصيغة كما يحددها الصرفيون. يقول الرافعي:"لا يعرف التاريخ غير محمد صلى الله عليه وسلم رجلا أفرغ الله وجوده في الوجود الإنساني كلّه"،[4] فالفعل (يعرف) يقع ضمن هذا الباب،

ومن أمثلة استخدام الرافعي لهذا الباب قوله في حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلّم:" وهذا الوجود الروحي هو مبعث الحالة العقلية التي جاء الإسلام ليهدي الإنسانية إليها"[5]، فالفعلان (جاء ويهدي) الدالان على الحركة (المجيء) والثبات من خلال الهداية حيث يكون ثباتا على المبادئ يقعان ضمن هذا الباب، وهذا بناء مضطرد لهذه الأفعال، فمما سجّله الصرفيون حول هذا الباب أنّ بناء (فعَل) إذا كان فاؤه أو عينه أو لامه ياء كان مضارعه على (يفعِل)[6]، وقد جاءت أفعال

---

[1] ينظر: ابن عصفور، أبو الحسن عليّ بن مؤمن الإشبيلي: **الممتع في التصريف**، ج1، تحقيق فخر الدين قباوة، ط1، بيروت-لبنان: دار المعرفة، 1407هـ - 1987م. ص173-176.

[2] قباوة: **تصريف الأسماء والأفعال**. ص88 -89.

[3] ابن عصفور: **الممتع في التصريف**. ص174.

[4] الرافعي: **وحي القلم**، ج2. ص12

[5] المرجع نفسه، ص13.

[6] قباوة، فخر الدين: **تصريف الأسماء والأفعال**.ص90

هذا الباب في مقالات الرافعي من المعتل بأقسامه كافة عدا المفروق، كما جاءت من الصحيح بأشكاله المختلفة، مثل الأفعال: (بغت تبغي، جرى يجري، ضاع يضيع، جاء يجيء، كشف يكشف، عرف يعرف، سرق يسرق، نزل ينزل) وهي كثيرة أيضا، وقد جاءت من من الصحيح والمعتلّ، ومن اللازم والمتعدي، والأفعال المعتلة أكثر من الصحيحة في هذا الباب عنده.

3- باب(فعَل يفعَل) بفتح عين الماضي والمضارع، وهذا أقلّ استعمالا من البابين السابقين في مقالات الرافعي، وكثيرا ما يأتي هذا الباب مما كانت عينه أو لامه حرفا من أحرف الحلق، وهي: (الهمزة، والهاء، والعين، والغين، والحاء، والخاء)،بل إنّ بعض الصرفيين يرى أنّ "ما جاء على هذا الوزن ولم تكن عينه أو لامه من أحرف الحلق يحمل على الشواذّ"،[1]، ومن أبرز المعاني التي تدلّ عليها هذه الصيغة الخوف والذعر، والإيذاء والاعتداء، والصوت والقطع أو الفتح، والإعطاء، والذهاب أو الابتعاد، والكره والامتناع،[2] وهو كثيرا ما جاء عند الرافعي دالا على الإعطاء والذهاب أو الابتعاد، يقول الرافعي عن شيخ رآه في صلاة العيد وقد حاول أن يقترب منه :" فلمّا حاذيته جمع نفسه وانكمش، وأنا أعجب للرجل كيف ضاق على نفسه ولم أضيّق عليه، وأين ذهب نصفه الضخم وقد كان بعضه على بعضه..."،[3] فالفعلان (جمع) و(ذهب) جاءا ضمن هذا الباب، وقد دلا على الالتئام (الجمع) والذهاب على الترتيب.

ومن أفعال هذا الباب أيضا عند الرافعي:(رفع يرفع، قرأ يقرأ، جعل يجعل، سعى يسعى، بدأ يبدأ، ظهر يظهر)، وكلها تدلّ على الحركات الصادرة عن الإنسان وما يؤديه من نشاطات في حياته، وقد جاء هذا البناء عند الرافعي من الصحيح السالم والمهموز كثيرا ومن المعتلّ الناقص قليلا، وكانت الأفعال الصحيحة في هذا البناء أكثر استعمالا من الأفعال المعتلة.

---

[1] ينظر: الحديثي، خديجة عبد الرزاق: **أبنية الصرف في كتاب سيبويه**. ص386.

[2] ينظر: المصدر نفسه. ص386-387.

[3] الرافعي: **وحي القلم**، (الله أكبر)ج1. ص303..

4- باب (فعُل يفعُل) بضمّ عين الماضي والمضارع، وهذا الباب "لا يأتي إلا من الفعل اللازم"،[1] يقول ابن عصفور: "يجيء مضارع (فعُل) على يفعُل أبدا"،[2] وهو ما يؤيده الرضي بقوله: "اعلم أن ضمّ عين مضارع فعُل المضموم العين قياس لا ينكسر"[3]، وتدلّ أفعال هذا الباب على الحسن والقبح والكبر والصغر واللين والضعف والرفعة والضعة،[4] وتحمل هذه الصيغة معاني متعاكسة في الغالب، ويغلب في هذه المعاني أن تكون أوصافا يتصف بها البشر أو غير البشر، لذا كثر اشتقاق الصفة المشبهة من هذا الباب كما سيتضح لاحقا.

وقد جاء استخدام هذا الباب قليلا عند الرافعي دالا على أوصاف مخلوقة أو أمور فيها معنى الثبات، ومن الأمثلة على استخدامه قول الرافعي: في تفريقه بين الدين والعرف يقول عن العرف:" فهو دائم التغيير، لا يصلح أبدا قاعدة للفضيلة"[5]. فالفعل صلح يأتي من هذا الباب وفيه معنى الثبات على شيء ما، لأن الشيء إذا صلح لأمر ما لا يتغير بسرعة، ومن أفعال هذا الباب عنده: (كثر يكثر، صلُح يصلح، عسُر يعسر)، وهي أفعال لازمة وتدل على صفات ثابتة غالبا، ولم أعثر عليه من المتعدي عند الرافعي البتة، وهذا يتفق تمام الاتفاق مع أقوال الصرفيين.

5- باب (فعِل يفعَل) بكسر عين الماضي وفتح عين المضارع، ويغلب على الفعل الماضي المكسور العين ان تكون عين مضارعه مفتوحة، يقول المبرد :" فأما ما كان على فعِل فاللازم في مستقبله يفعَل".[6] ويأتي هذا الباب من الفعل المتعدي كـــ(شرِب) ومن اللازم كـــ(بطِر)[7]، ويأتي هذا الباب من الصحيح السالم والمعتلّ والمضعّف، ويدلّ هذا البناء على معانٍ كثيرة،

---

[1] الحديثي، خديجة عبد الرزاق: **أبنية الصرف في كتاب سيبويه**. ص387.

[2] ابن عصفور: **الممتع في التصريف**. ص173.

[3] الإستراباذي، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن: **شرح شافية ابن الحاجب**،ج1، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون، بيروت: دار الكتب العلمية، 1402هـــ-1982م..ص138

[4] انظر: الحديثي، خديجة عبد الرزاق: **أبنية الصرف في كتاب سيبويه**. ص385-386.

[5] الرافعي: **وحي القلم**،ج1. ص178.

[6] المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: **المقتضب**،ج1. تحقيق عبد الخالق عضيمة،القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1415هـــ - 1994م. ص209.

[7] المرجع نفسه. ص209.

منها:"الداء والخوف أو الذعر والحزن أو الغمّ والعيب وترك الشيء أو التعلق به والاضطراب وغيرها"[1]، وهو عند الرافعي لم يخرج عن واحد منها، يقول الرافعي في حديثه عن شاب مصري مسلم يتتبع خطا فتاة مسيحية:"وهو من شبابه كالماء يغلي، ومن أناقته بحيث لم يبق منه إلا أن تلحقه تاء التأنيث... وقد ألفته الطرق حتى لو تكلمت لقالت: هذا ضرب عجيب من عربات الكنس"[2]، فالأفعال (لم يبق) وهو معتل ناقص وغير متعدٍّ، والفعل(تلحقه) وهو صحيح سالم متعدٍّ، والفعل (ألفته) وهو صحيح مهموز الفاء ومتعدٍّ تكشف عن سعة هذا الباب، وبالنظر في المعاني التي تؤديها هذه الأفعال نجد أنها تدلّ على التعلق بالشيء، وهذه ينسجم مع السياق، فالطرقات تألف هذا الشاب وتتمسك به لأنها اعتاددت عليه ، فالرافعي لا يأبه لهؤلاء الشباب لكنه يعزز فكرته من خلال الأفعال التي يستخدمها في مقالاته.

وبالنظر في مقالات الرافعي يلاحظ أّن الأفعال الصحيحة من هذا الباب أكثر من المعتلة وقد جاءت من الصحيح السالم غالبا؛ إذ إنّ الأفعال المضعفة والمهموزة في هذا الباب لا تكاد تذكر عنده.وأمثلة استخدامه لهذا الباب قليلة عند مقارنتها بالأبواب السابقة وخصوصا الثلاثة الأوَل، يقول الرافعي : "وقد نسيَ أنّ المرأة التي تخالط الرجل ليعجبها وتعجبه فيصيران زوجين إنما تخالط غرائزه قبل إنسانيته"[3]، فنلاحظ أنّ الفعل نسي يدلّ على عرض من الأعراض التي تصيب الإنسان، وقوله أيضا في حديثه عن الوطن:" وما كان يعوزه إلا القائد الحازم المصمّم، فلّما ظفِر بقائده جاء بالمعجزة "، فالفعل ظفِر يظفَر جاء من هذه الباب أيضا، وفيه دلالة على الخوف والذعر ممن يتعرض له، ومن الأفعال المستخدمة في هذا الباب (جهلت يجهل، علم يعلم، برح يبرح، عمل يعمل، فهم بفهم، بقي يبقى، قبل يقبل، حسِب يحسب،رحِم يرحم)، وهي في الغالب دلالات تتعلق بالنفس الإنسانية وما يصدر عنها مما يبعث على الشك أو اليقين أو المعرفة والإدراك وغيرها من هذه المعاني.

---

[1] الحديثي، خديجة عبد الرزاق: **أبنية الصرف في كتاب سيبويه**.ص384.

[2] الرافعي: **وحي القلم**،ج1. ص300.

[3] المرجع نفسه.ج1. ص177.

6- باب(فعِل يفعِل) بكسر عين الماضي والمضارع، وهذا الباب يكاد ينحصر في أفعال معدودة لقلته، ويدلّ على قلة هذا الباب ما أوردته الباحثة خديجة الحديثي بقولها: "وقد أورد سيبويه على هذا البناء أفعالا معدودة يدلّ كل منها على معنى منفرد"[1]، فقولها "أفعالا معدودة ومعنى منفرد" يدلّان دلالة واضحة على قلة هذا الباب، بل إنّ ما قاله الإستراباذي يوحي بعدم وجوده إلا فيما يُحمل على الشواذّ: "واعلم أن القياس في فعِل مكسور العين فتحها، وشذّ عن ذلك أربعة أفعال جاز فيها الفتح والكسر والفتح أقيس، وهي: حسب ونعِم ويئس ويبس"[2]، لكنّ العربية استخدمت افعالا غير هذه الأربعة مثل الفعلين : (يقدِر يعقِل)، يقول الرافعي مخاطبة شباب العرب:"من غيركم يجعل النفوس قوانين صارمة، تكون المادة الأول فيها قدرنا لأننا أردنا"[3]، فالفعل (قدر) اللازم ومضارعه يقدر يقع ضمن هذا الباب، وهو يدلّ على صفة من صفات الإنسان، ولا غرابة أن يكون استعماله نادرا لما رأيناه من ملاحظات حوله تذكرها كتب الصرفين.

وخلاصة القول أن باب فعل مفتوح العين هو الأكثر انتشارا عند الرافعي بينما باب فعُل بضم العين هو الأقل انتشارا ويتوسط بينهما فعِل بكسر العين في صيغة الماضي.

2 – الأفعال الثلاثية المزيدة.

أ – مزيد الثلاثي بحرف واحد.

تأتي الأفعال الثلاثية المزيدة بحرف واحد على ثلاثة أشكال: أفعال مزيدة بهمزة في أولها، أو مزيدة بالألف بعد فائها، أو مضعفة العين.[4] وما يهمنا في هذه الدراسة استخدام الرافعي لها، فقد استخدمها جميعا، وجاء استخدامه لها بالأزمنة المختلفة الماضي والمضارع بكثرة، أمّا الأمر ففي حالات قليلة ونادرة، لكنّ الصرفيين أوضحوا أنّ لكل صيغة من هذه الصيغ معاني

[1] الحديثي، خديجة عبد الرزاق: **أبنية الصرف في كتاب سيبويه**.ص387.

[2] الإستراباذي، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن: **شرح شافية ابن الحاجب**،ج1،..ص135.

[3] الرافعي: **وحي القلم**.ج2. ص216.

[4] ينظر: الراجحي، عبده: **التطبيق الصرفي**. بيروت: دار النهضة العربية. 1983م.ص30 وما بعدها.

مختلفة أو مشتركة، وهذه المباني وتكرارها في الأزمنة المختلفة يوضحها الجدول الآتي في نماذج من مقالات الرافعي:

جدول رقم (2)

الأفعال المزيدة بحرف واحد، نماذج مختارة[1].

	أفعل، يفعِل	فاعل، يفاعِل	فعّل، يفعِّل	المجموع
الماضـــــي	109	12	74	195
المضارع	156	42	82	280
الأمـــــــــــر	1	2	4	7
المجموع	**266**	**56**	**160**	**482**

من خلال الجدول أعلاه نلاحظ:

غلبة الفعل المضارع في الانتشار وندرة وجود الأمر، بينما يأتي الماضي في المرتبة الثانية بعد المضارع، وهذا يتفق مع الموضوعات التي يتناولها الرافعي في مقالاته؛ فهو كثيراً ما يتحدث عن الجوانب الاجتماعية والدينية، ويبثّ من خلال ما يكتبه طموحاته، ويعبر عن آماله بحصول ما لم يكن من قبل، فهو لا يؤكد حقائق بقدر ما يوجه نصائح بأسلوب لطيف لا يظهر فيه آمراً وناهيا، وإنّما يوضّح أفكارا ليقنع القارئ بما يوجهه إليه، لعلّ هذا ما جعله يصرف النظر عن فعل الأمر غالبا، ويكثر من المضارع الذي يعبّر عن هذه المعاني.

وأمّا الأوزان المستخدمة عنده من خلال الجدول أعلاه، فواضح أنّ صيغة (أفعل) أكثر انتشارا من الصيغتين (فاعل وفعّل)؛ فقد وردت هذه الصيغة (266) مرة بنسبة 1،55%، ولا شكّ في انّ لهذه الصيغة عند الصرفيين معاني كثيرة؛ فهي للتعدية غالبا، وللتعريض نحو أبعته،

[1] وهي النماذج التي أشرت إليها في الجدول رقم (1).

ولصيرورته ذا كذا نحو أحصد الزرع، ولوجوده على صفة نحو أنحلته، وللسلب نحو أشكيته، وبمعنى فعل نحو قلته وأقلته،[1] ويضيف إليها آخرون معنى "الدخول في الشيء زمانا أو مكانا، ومعنى الاستحقاق واستفعل والتمكين"[2]. ومهما تكن هذه المعاني كثيرة في كتب الصرفيين فإنّ للسياق الدور الأول والأخير في الكشف عن المعنى الذي تؤديه هذه الصيغة أو تلك.

والأمثلة على استخدامه لهذه الصيغة كثيرة جدا، من ذلك قوله: "وللفتاة تبّرج وتهتك... وقد أخرجتها فنون هذا التأنث الأوروبي القائم على فلسفة الغريزة"[3]، فالفعل أخرج أصبح متعديا إلى مفعول به واحد بعد أن كان لازما قبل زيادة الهمزة. ومن الأمثلة على معنى التعدية أيضا قوله: "ومن سقوط النفس أن يغترَّ الشابّ فتاة حتى إذا وافق غرتها مكر بها، وتركها بعد ان يُلبسها عراها الأبدي"،[4] فالفعل يُلبس وماضيه ألبس جاء مزيدا بحرف واحد في أوله وهو همزة القطع، وقد أدت هذه الزيادة معنى التعدية.

وتأتي هذه الصيغة حاملة معنى الدعاء من ذلك قوله في الشباب غير المقبلين على الزواج: "كأنهم أصلحهم الله لا يعلمون أنَّ ذلك يضيع بإخواتهم بين الفتيات"[5]، فالفعل أصلح وإن أدّى إلى تعدية الفعل لكنه لا يخلو من معنى الدعاء. ومن معانيها أيضا اعتقاد الشيء على صفة ما، ففي حديثه عن موقف الناس من الشاعر الهندي طاغور يقول: "وكل ما أعظموه من أمره صغّر من أمرهم"[6]، حيث جاء الفعل أعظموه مزيدا بالهمزة دالا على اعتقاد صفة العظمة في الشاعر الطاغور.

---

[1] الإستراباذي: **شرح الشافية**. ج1، ص83.

[2] الحملاوي، أحمد بن محمد بن أحمد: **شذا العرف في فن الصرف**. ط17. القاهرة: مطبعة مصطفى.1965م.ص77-78.

[3] الرافعي: **وحي القلم**، ج1. ص300.

[4] المصدر نفسه ، ج1. ص203.

[5] المصدر نفسه،ج1، ص202.

[6] المصدر نفسه. ج3. ص236.

تلي صيغة أفعل في الانتشار صيغة (فعّل) بتضعيف العين، إذ تكرّرت في النماذج المختارة (160) مرة بنسبة 2،33% من مجموع الصيغ المزيدة بحرف واحد، وهذه الصيغة تحمل دلالات مختلفة أيضا، أهمّها المبالغة والكثرة في الشيء، ومنها التعدية، والدلالة على النسبة، أو السلب واختصار الحكاية وغيرها. وأكثر المعاني التي تخرج إليها هذه الصيغة الدلالة على المبالغة والتكثير، ومن ذلك قوله:"إنّ جبابرة العقول هؤلاء يأبون إلا أن يكونوا علماءنا وسادتنا ليصرّفوا عقولنا ويغيّروا عقائدنا"، فالفعلان يصرّفوا ويغيّروا المزيدان بتضعيف العين يحملان معنى المبالغة والتكثير في الحدث مع رائحة معنى التحكم والتصرف أيضا.

ومن أمثلة استخدامه لهذه الصيغة قوله في حديثه عن صلاة العيد: "ثم أقيمت الصلاة وكبّر أهل المسجد"[1]، فالزيادة في الفعل كبّر كانت بتضعيف عين الكلمة، وقد أفادت الزيادة معنى اختصار الحكاية، إذ إنّ المقصود بها قالوا الله اكبر، وهذا الغرض من الأغراض المستخدمة لصيغة فعّل كما يقول الصرفيون[2]. وقد تأتي هذه الصيغة لتؤدي معنى معجميا كقوله: "ما احكم الشرع الذي لم يرخّص في كشف وجه المرأة إلا لضرورة"[3]، فالفعل يرخّص جاء مزيدا بتضعيف عينه، ليدلّ على معنى معجمي وهو بمعنى يسمح.

واستخدم الرافعي هذه الصيغة للدلالة على الدعاء، يقول:""قبَّح الله عصراً يجهل الشابُ فيه أنّ الرجل والمرأة في الوطن كلمتان تفسّر الإنسانية إحداهما بالأخرى تفسيراً إنسانيا دينيا بالواجبات والقيود والأحمال، لا بالأهواء والشهوات والانطلاق كما تفسِّر الحيوانية الذكر والأنثى"[4]، فهو يدعو على هؤلاء الشباب الجهلة من خلال تضعيف عين الفعل بأن يقبّح الله العصر الذي وجدوا فيه مظهرا كرهه وتشاؤمه منهم.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** ،ج1. ص303

[2] ينظر: الراجحي:**التطبيق الصرفي**.. ص37.

[3] الرافعي: **وحي القلم**، (استنوق الجمل) ج1.ص200

[4] المرجع نفسه ،ج1. ص202.

وأقلّ صيغ مزيد الثلاثي بحرف واحد انتشارا صيغة (فاعَلَ) الواردة (56) مرة فقط بنسبة (6،11%)، وتدلّ هذه الصيغة على المشاركة والموالاة حيث يكثر استعمالها لهذين الغرضين[1]. وقد تدلّ على معنى فعل مثل هاجر وسافر[2]. ومن أمثلة استخدامه لها قوله:"ناقشوا الحبّ؛ فقالوا: "أصبحت الزيادة دنيا المادة، والروحانية اليوم كالعظام الهرِمة لا تكتسي اللحم العاشق"[3]، فالفعل ناقش لا يتمّ إلا بمشاركة أطراف مختلفة، فهو جاء حاملا دلالة المشاركة، وهي أكثر المعاني التي يؤديها هذا البناء. ومن الأمثلة عليها أيضا قوله: "ومن البلاء على هذا الشرق أنه ما برح يناهض المستعمرين ويواثبهم، غافلا عن معانيهم الاستعمارية التي تناهضه وتواثبه"[4]. فالفعلان تناهض وتواثب يحملان معنى المشاركة أيضا، وهما هنا للدلالة على المشاركة في النهضة، وإن كانت في الفعلين رائحة الرغبة والتقليد.

وبعد استقراء الأفعال المزيدة بحرف واحد والدلالات المصاحبة لها ، وبيانها كما اتّضح من خلال الجدول السابق، يمكن أن نسجل الملاحظات الآتية:

أولا: نلاحظ انتشار صيغة أفعَل يُفعِل أكثر من الصيغتين الأخريين.

ثانيا: غلبة انتشار الفعل المضارع، وقلة ورود فعل الأمر؛ إذ لم يورده الرافعي في باب المزيد بحرف واحد إلا سبع مرات فقط.

ثالثا: كان الغالب على معنى أفعَل يُفعِل التعدية ، وهو موافق لقول الصرفيين.

رابعا: كثيرا ما جاءت الزيادة على بنى الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد لمعنى معجمي.

---

[1] انظر: الحملأوي. **شذا العرف في فن الصرف**. ص78-79.

[2] الراجحي، عبده: **التطبيق الصرفي**. ص36.

[3] الرافعي: **وحي القلم**، ج3. ص149.

[4] المرجع نفسه، ج1. ص200.

ب- مزيد الثلاثي بحرفين.

تبيّن كتب الصرفيين أنّ للفعل الثلاثي المزيد بحرفين خمسة أوزان[1]، وهذه الأوزان هي: افتعل يفتعِل، تفعَّل يتفعَّل، تفاعل يتفاعل، انفعَل ينفعِل، افعلّ يفعلّ، وقد ورد من هذه المباني الأربع الأولى بالأزمنة ووفقا لدلالات متنوعة، أمّا بناء (افعلّ يفعلّ) فلم يستخدمه الرافعي في النماذج المختارة، وهذه المباني وتكرارها يوضحها الجدول رقم (3).

جدول رقم (3)

الأفعال الثلاثية المزيدة بحرفين، نماذج مختارة.[2]

المبنى / الصيغة	تفعّل يتفعّل	افتعل يفتعل	تفاعل يتفاعل	انفعل ينفعل	المجموع
الماضـــــي	31	52	15	23	121
المضارع	88	112	18	36	254
الامـــــــــــر	-	3	2	-	5
المجموع	119	167	35	59	380

نلاحظ من خلال الجدول ما يأتي:

1- أنّ مزيد الثلاثي بحرفين أقلّ انتشارا من المزيد بحرف واحد أو من المجرد في المقالات المختارة.

[1]- انظر: الراجحي، عبده: **التطبيق الصرفي** ، ص36.

[2] وهي النماذج المختارة التي أشرت إليها في النماذج السابقة.

2- الفعل المضارع في هذا الباب أكثر انتشارا من الماضي، إذ جاء أكثر من الضعِف. بينما لم يكن للأمر حضور سوى خمسة أفعال، حيث تكرر المضارع (254) مرة بنسبة 8،66% مقابل فعل الامر الذي جاء بنسبة 3،1% فقط، في حين جاء الماضي بنسبة 8،31% ونسبة المضارع إلى الماضي قريبة في جميع المباحث عنده، لأنّ ما يرمي إليه الرافعي في مقالاته الاستمرارية في الأحداث التي يريد تحقيقها.

3- أمّا البنى الصرفية للأفعال الثلاثية المزيدة بحرفين فيتضح من خلال الجدول السابق ما يأتي:

أولا:- صيغة افتعل: وهي الأكثر دورانا في هذا الباب، حيث وردت (167) مرة بنسبة (9،43%) من مجموع صيغ هذا الباب، وقد جاءت لدلالات مختلفة، حيث تدلّ هذه الصيغة عند الصرفيين على معانٍ عدة أشهرها ستة وهي: الاتخاذ، والاجتهاد والطلب، والتشارك، والإظهار كـــ(اعتذر) أي أظهر العذر، والمبالغة في معنى الفعل، ومطاوعة الثلاثي كثيراً كـــ (جمعته فاجتمع)[1]. ويضيف الاستراباذي معنى "التصرف نحو اكتسب"[2]. هذه هي أبرز المعاني التي يخرج إليها هذا البناء، كما "يكثر إغناء افتعل عن انفعل في مطاوعة ما فاؤه لام أو راء أو واو أو نون أو ميم نحو لأمت الجرم فالتأم، ولا نقول انلأم"[3]. ولم يستخدم الرافعي هذا البناء للمعاني كلها حسب اطلاعي وانما لبعضها فقط.

ومن أمثلة استخدامه لهذه الصيغة قوله:، "فاقرأ الفصل الذي انتزعته لك من مجلة وستعرف منه وتنكر"[4]، فالفعل انتزعته جاء حاملا معنى المطاوعة للفعل نزع. ومن أمثلة استخدام هذه الصيغة أيضا قوله عمّن يعرف عن الزواج وينظر إلى النساء ولا يتزوج:" ولا يكون في بعض

---

[1] الحملأوي: **شذا العرف في فن الصرف**. ص81.

[2] الاستراباذي: **شرح شافية ابن الحاجب**. ج1. ص108.

[3] المرجع نفسه. ج1. ص108.

[4] الرافعي: **وحي القلم** (تربية لؤلؤية)،ج1.ص83.

الاعتبار إلا كالمريض يعيش بمرضه حميلة على ذويه، نومة لا ينتهض، مستريحا لا يعمل"[1]، فالفعل ينتهض بمعنى ينهض في هذا السياق، أي أنّه جاء بمعنى فعل.

كما أنّ هذه الصيغة تأتي للدلالة على معنى الاتّخاذ من ذلك قوله عن الشباب الذين لا يقبلون على الزواج:"وبهذه المكسلة الاجتماعية في الشباب يبدأ الشعب يتحوّل من داخله فينصرف عن فضائله، ويتّخذ في مكانها فضائل استعارة يقلّد فيها قوما غير قومه"[2]، فلا شكّ في أنّ الفعل يتّخذ جاء للدلالة على الاتّخاذ كما يتّضح، ومن معاني هذه الصيغة البدل يقول: "وهل في ذهب الدنيا وملك الدنيا ما يشتري الأسرار والإحساس وذلك النور الحي"[3]، فالفعل يشتري وماضيه اشترى مزيد بهمزة الوصل والتاء وجاء هنا بمعنى البدلية أي استبدال شيء بشيء آخر.

ثانيا:- صيغة تفعّل:) حيث تكررت هذه الصيغة (119) مرة بنسبة (3،31%)، وتحمل هذه الصيغة معاني عدة؛ فهي تأتي لمطاوعة فعّل، وللتكلف نحو تشجّع، وللاتخاذ نحو توسّد، وللتجنب نحو تأثّم، وللعمل المتكرر في مهلة نحو تجرّعته، وبمعنى استفعل نحو تكبّر[4]. وقد جاءت عند الرافعي للمطاوعة في غير موطن. ومن أمثلة استخدامه هذه الصيغة قوله: "ومن منهم إذا تألّم سيذهب فيشكو لأبيه؟"[5]، إذ جاء الفعل تألم مزيدا بحرفي التاء وتضعيف العين، وقد أدّت الزيادة معنى المبالغة والتكثير، فهم لم يشعروا بالألم فحسب وإنما قاسوه وذاقوا ويلاته بما لا يطاق.

يقول: "وما الجبل لو حقّقت في وجوه التناسب الطبيعي إلا بحر قد تحجّرفانتشرت أمواجه من صخوره"[6]، إذ جاء الفعل (تحجّر) مزيدا بحرفين وهما التاء وتضعيف عين الكلمة، وقد

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (تربية لؤلؤية)،ج1. ص201.

[2] المرجع نفسه.ج1. ص201.

[3] المرجع نفسه(انتصار الحب)،ج3. ص148.

[4] الاستراباذي: **شرح شافية ابن الحاجب**. ج1. ص.104

5 الرافعي: **وحي القلم** (عربة اللقطاء)،ج[7]، ص292.

[6] المرجع نفسه (البؤساء)،ج3. ص340.

أفادت الزيادة معنى الصيرورة والتحول أي صار كالحجر، وكذلك الفعل انتشر جاء مزيدا بهمزة الوصل والتاء والغرض من هذه الزيادة المطاوعة إذ إنّه يطاوع الفعل نشر.

ثالثا:- صيغة انفعل: وأمّا صيغة (انفعل) فقد أوردها الرافعي بنسبة اقلّ، إذ تكررت في المقالات المختارة (59) مرة ما نسبته (5،15%)، ولا يكون هذا الوزن إلا لازما مثل: انطلق، فإذا كان الثلاثي المجرّد متعدياً وزيدت الالف والنون صار لازما، وفائدة المطاوعة أنّ أثر الفعل يظهر على مفعوله فكأنه استجاب له، ولذلك سميت هذه النون نون المطاوعة[1]. والأمثلة على استخدامها كثيرة، ففي حديثه عن عربة اللقطاء يقول: "وقفتْ في الشارع لتُنزِل ركبها إلى شاطئ البحر، أولئك ثلاثون صغيراً من كل سفيج لقيط ومنبوذ. قد انكمشوا وتضاغطوا إذ لا يمكن أن تُمطّ العربة فتسعهم"[2]، فالفعل انكمشوا جاء مزيدا بالالف والنون وهذه الزيادة لا تكون إلا للمطاوعة فالنون تسمى في عُرف الصرفيين نون المطاوعة.

رابعا:- صيغة تفاعل: وهي أقلّ صيغ مزيد الثلاثي بحرفين انتشارا، حيث وردت (35) مرة فقط بنسبة (2،9%)، وهي تأتي للدلالة على التشريك بين اثنين فأكثر، فيكون كلٌ منهما فاعلا في اللفظ مفعولا في المعنى، وتدل على التظاهر بالفعل دون حقيقته، ومن معانيها حصول الفعل تدريجيا، وكذلك مطاوعة فاعل، كـــ(باعدته فتباعد)[3]. ومن أمثلة استخدامه لهذ الصيغة قوله: "وتحاور الأدهم والكميت"[4]، فالزيادة في الفعل تحاور أدَّت معنى المشاركة، إذ لا يمكن أن يحصل هذا الفعل إلا بمشاركة أكثر من طرف. ومن ذلك أيضا قوله في حديثه عن الصحابة وموقفهم من النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول الرافعي عنهم: "ورأوا في إرادته –صلى الله عليه وسلم– النقطة الثابتة فيما يتضارب من خيالات النفس؛ فكانوا أكبر علماء الأخلاق على الأرض لا من كتب ولا علم ولا فلسفة بل من قلب نبيهم وحده"[5]، فالفعل يتضارب جاء مزيدا

---

[1] انظر: الراجحي، عبده: التطبيق الصرفي. ص37.

[2] الرافعي: **وحي القلم** (عربة اللقطاء)،ج1. ص292>

[3] الحملأوي: **شذا العرف في فن الصرف**. ص83.

[4] الرافعي: **وحي القلم** (عربة اللقطاء)،ج1. ص293.

[5] المصدر نفسه ، (حقيقة المسلم) ج2.ص15.

بحرفي التاء والألف لمعنى المشاركة أيضا، إذ إنّ التضارب لا يحصل من طرف واحد بل لا بد فيه من طرفين.

وفي حديثه عن المصلين في العيد يقول: "وأراهم تتابعوا صفا وراء صف ونسقاً على نَسق"[1]، إذ جاء الفعل تتابع المتصل بواو الجماعة مزيدا بحرفي التاء والألف. وقد أفادت الزيادة هنا معنى المتابعة والموالاة، حيث جاءت صفوف المصلين صفا وراء الاخر متتابعين متوالين، ومن الأمثلة على تنوع الدلالات لهذه الصيغة قوله في حديثه عن فتاة اليوم:"لا تشمس على الريبة ولا تريد ان تنتفي منها بل هي تعمل لتحقيقها، وتبغي مع تحقيقها ان يتعالم الناس ذلك منها"[2]. فالزيادة في الفعل يتعالم جاءت لتعطي معنى معجميا، وهي هنا بمعنى يعرف.

ت – مزيد الثلاثيّ بثلاثة أحرف.

تبيّن كتب الصرفيين أنّ مزيد الثلاثي بثلاثة أحرف له أربعة أوزان ، وهي : استفعل وافعوعل وافعولّ وافعالّ[3]، وهذه الأوزان الثلاثة الأخيرة لم يستخدمها الرافعي في مقالاته، أمّا بناء (استفعل) فهو كثير الدوران عنده، وقد أشار الصرفيون إلى الأغراض التي يؤديها هذا البناء، وهي كثيرة منها: الطلب والاستعانة، والصيرورة أو التحوّل، والمصادفة، واعتقاد صفة الشيء[4]، أو للاعتقاد أنّه على صفة أصله، نحو استكرمته، أي اعتقدت فيه الكرم[5]، ويضيف الراجحي إلى هذه المعاني المطاوعة، واختصار الحكاية، ومعنى الفعل الأصلي الثلاثي، ومعنى أفعل، ويمثل له بالفعل أجاب والفعل أيقن وهما بمعنى استجاب واستيقن[6].

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (الله أكبر)،ج1. ص302

[2] المصدر نفسه (تربية لؤلؤية)ج1.ص83.

[3] قباوة، فخر الدين: **تصريف الأسماء والأفعال**. ص102.

[4]– انظر: الحملاوي ، **شذا العرف في فن الصرف** ، ص44–45

[5] نور الدين، عصام: **أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب**، ط1، بيروت: دار الفكر، 1418هـ–1997م. ص226–228.

[6]– انظر: الراجحي، عبده: **التطبيق الصرفي**، ص44.

وصيغة (استفعل) قد تكررت عنده (59) مرة، في حين بلغ العدد الكلي لمزيد لثلاثي (921) فعلا، جاء المزيد بحرف واحد (482) مرة، والمزيد بحرفين (380) مرة، وهذا يبين أنّ نسبة الفعل الثلاثي قليلة بالمقارنة مع باقي الأفعال المزيدة، حيث إنّ استخدامها جاء بنسبة (4،6%) فقط، وغلب استعماله لها في صيغة المضارع الذي يعد أكثر الصيغ الزمنية انتشاراً للأفعال عند الرافعي.، ولم يستخدمها الرافعي للدلالات جميعها، وإنما لبعض المعاني فقط. وأبرز هذه المعاني التي دلت عليها هذه الصيغة عند الرافعي، وأكثرها دورانا في مقالاته أبيّنها فيما يأتي:

– **الطلب والاستعانة،** يقول عن هدى الشعراوي عندما أخذت تطالب بحرية المرأة: "ما ظنَّت أنّ ثورة المرأة ستتطور إلى حدّ أن تقف آنسة مهذبة تكشف عن رأسها تبكي وتستبكي سواها معها من اجل الزواج"[1]، فالفعل تستبكي جاء مزيدا بثلاثة أحرف لتؤدي معنى الطلب أي تطلب من غيرها أن يبكي معها.

– **الصيرورة والتحوّل،** في حديثه عن الشباب الذين يرضون كساد الفتيات يقول واصفا لهم بالجمل الذي يصير كالناقة: "إنَّ الجمل إذا استنوق تخنّث ولان وخضع لكنه يحمل وهؤلاء إذا استنوقوا وتخنثوا ولانوا وخضعوا أبوا أن يحملوا"[2]، حيث جاء الفعل استنوق مزيداً بثلاثة أحرف دالا على التشبيه والصيرورة حيث أصبح كالناقة.

– **لمعنى المطاوعة،** ففي حديثه عن الشباب الذين استوطأهم العجز والخمول يقول: فلا يكون إلا قاعد الهمة، رخو العزيمة قد استنام إلى أسباب عجزه وتخاذله"[3]. فالفعل استنام جاء لمطاوعة الفعل أنام.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (تربية لؤلؤية)، ج1. ص184.

[2] الرافعي: **وحي القلم** (استنوق الجمل)،ج1.ص203.

[3] المصدر نفسه (استنوق الجمل)،ج1.ص201.

– **الدلالة على معنى معجمي،** "ونجمت الناجمة من كل علة ويزين لهم أنها القوة قد استحصفت واشتدت"[1]، إذ إنّ الفعل استحصفت جاء مزيدا بثلاثة أحرف، وقد جاء على هذا المبنى لمعنى معجمي بمعنى أوجدت رأيا رزيناً.

– **بمعنى (تفعّل) للتكلف،** وفي حديثه عن الأخلاق يقول: "فإن هي استمسكت ولم تتحول فها هنا موضع النزاع ومحلُ الخلاف"[2]، فالفعل استمسك جاء مزيداً بثلاثة أحرف وقد جاءت الزيادة هنا بمعنى التكلف حاملة دلالة صيغة تفعّل.

الفعل الرباعي كالثلاثي يكون مجرداً كما يكون مزيداً، ويأتي الفعل الرباعي مزيدا بحرف واحد أو بحرفين؛ والرباعي المزيد بحرف واحد له وزن واحد هو (تفعلل) أمّا المزيد بحرفين فله وزنان وهما (افعلّ وافعنلل)[3]، وقد استخدم الرافعي هذه المباني بنسبة قليلة عند مقارنتها بمزيد الثلاثي عدا البناء افعنلل فإنه لم يستخدمه في المقالات المختارة للدراسة، لكنّ حضوره لم يشكل ظاهرة في المقالات المختارة، لذا أكتفي بالإشارة إليه عند دراسة ظاهرتي التعدي واللزوم، حيث جاء استخدامه قليلا ولم يستوف الرافعي جميع الصيغ التي يأتي عليها بين التجرد والزيادة.

2 – الأفعال من حيث التعدّي واللزوم.

وقد أوردهما –أي الفعل اللازم والفعل المتعدي– الرافعي في مقالاته من الأفعال الثلاثية وفوق الثلاثية، وكان استخدامه للمتعدي أكثر من اللازم، فهو –كما ذكرتُ في موطن سابق– يعمد إلى اتساع الجملة وامتدادها؛ لذا يبحث عن الفعل المتعدي الذي لا يكتفي بالمرفوع بعده، وقد جاء استخدامه لهذه الأفعال من الثلاثي ومن غير الثلاثي، والجدول الآتي يبين استخدام الرافعي لهذه الأفعال من خلال نماذج مختارة من مقالاته.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (أبو حنيفة ولكن بغير فقه)،ج1. ص198.

[2] المصدر نفسه (فيلسوف وفلاسفة)،ج3. ص237.

[3] – الراجحي: **التطبيق الصرفي**، ص42

جدول رقم (4)

الأفعال اللازمة والأفعال المتعدية، نماذج مختارة.[1]

المبنـــــــــــى	اللازم	المتعدي
فعل – يفعَل	176	292
أفعل – يُفعِل	11	72
فاعل – يفاعل	3	10
فعّل – يفعَّل	20	34
تفعّل – يتفعّل	32	7
افتعل – يفتعل	58	22
تفاعل – يتفاعل	10	3
انفعل – ينفعل	19	–
استفعل– يستفعل	5	14
تفعلل – يتفعلل	4	–
افعلَّ – يفعلّ	2	–
المجموع الكليّ	**340**	**454**

وأكثر أبواب الفعل الثلاثي انتشارا باب (فعَل يفعُل) في كلا نوعي الفعل اللازم والمتعدي، ومن أمثلة اللازم عند الرافعي قوله: "ولكلّ كلمة إذا أفردت معنى صحيح يقوم بها وتقوم به"[2]، فالفعل يقوم الذي تكرر مرتين وهو فعل لازم، ومن أمثلة المتعدي في هذا الباب قوله عن قاسم امين في دعوته لتحرير المرأة: "ولا نزعمُ أنَّ له خفية سوء أو مضمر شرّ فيما دعا إليه من تلك

[1] النماذج المختارة لهذه الدراسة من مقالات الرافعي هي:حقيقة المسلم، يا شباب العرب، انتصار الحب، البؤساء، الطمام السياسي، الله اكبر.

[2] الرافعي: **وحي القلم**، ج2. ص247.

الدعوة"[1]، فالفعلان (زعم، دعا) من هذا الباب، وهما متعديان؛ حيث ينصب الفعل زعم مفعولين، وقد سدّ المصدر المؤول مسدّهما، وهو لا شكّ مفتوح العين في الماضي مضمومها في المضارع، أمّا الفعل (دعا) فهو متعدٍ أيضا إلا أنه أخفى مفعوله لوضوحه أي دعا النساء إليه، وهو من الباب السابق نفسه..

أما باب (فعُل يفعُل) بضم عين المضارع، فلا يأتي منه إلا اللازم كما يقول الصرفيون[2]، وهو ما يؤيده استخدام الرافعي له، حيث لم يأت منه أي فعل متعدٍّ، ومن أمثلة استخدامه له قوله: "وأيسر ما يفهم من هذه المبالغات أنّ هذا الشعب لا يصلُح في شيء إلا بالحكومة"[3]، وبالنظر في الجملة مرة أخرى نلاحظ استخدام الفعل (فهم) وهو من باب (فعِل يفعَل) وهو مكسور العين في الماضي مفتوحها في المضارع، وقد جاء متعديا حيث نصب مفعولا به وهو المصدر المؤول بعده، واللازم من هذا الباب مثل الفعل ندم يندم.

كما جاء الفعلان اللازم والمتعدي من غير الثلاثي بنسبة أقلّ من الأفعال الثلاثية حاملاً دلالات مختلفة، حيث تكررت الأفعال المزيدة (326) مرة بنسبة (41,2%)، وأكثر أوزان فوق الثلاثي انتشاراً البابان (أفعل يفعل وافتعل يفتعل) حيث ورد (83) مرة بنسبة (4،25%) من مجموع الأفعال المزيدة، حيث جاءت هذه الصيغة (71) مرة من المتعدي و(11) مرة من اللازم فقط. وأمّا الباب (افتعل يفتعل) فقد ورد (80) مرة أي ما نسبته (5،24%) من مجموع الأفعال المزيدة في بابي اللزوم والتعدي ، وقد جاءت هذه الصيغة (58) مرة من المتعدي و(22) مرة فقط من اللازم، ومن أمثلة استخدامه لها متعدية قوله في حديثه عن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم: "فابتعث الله تاريخ العقل بآدم جديد بدأت به الدنيا في تطورها الأعلى من حيث يرتفع الإنسان على ذاته"[4]، ومن أمثلة هذه الصيغة لازمة قوله "لم يكن الإسلام في حقيقته

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (تربية لؤلؤوية)،ج1. ص183.

[2] ينظر: المبرد: **المقتضب**. ج1، ص71.

[3] الرافعي: **وحي القلم** ،ج2. ص248.

[4] الرافعي: **وحي القلم**.(حقيقة المسلم)ج2، ص13..

إلا إبداعا للصيغة العملية التي تنتظم الإنسانيةُ فيها"[1]. فالفعلان (ابتعث، تنتظم) من البناء نفسه لكنه جاء متعديا في الأولى ولازما في الثانية.

وأقلّ الصيغ المشتركة في التعدي واللزوم الصيغتان (فاعل، يفاعل) و(تفاعل يتفاعل) حيث وردت كلّ منهما ثلاث عشرة مرة، أي ما نسبته (4%) فقط لكلّ منهما، أمّا البناء (فاعل، يفاعل) فقد جاء لازما في ثلاثة مواضع ومتعديا في عشرة مواضع مثل الأفعال (يعامل ويعانق ويحارب)، وعكسه صيغة (تفاعل، يتفاعل) التي وردت لازمة في عشرة مواضع ومتعدية في ثلاثة فقط مثل الأفعال (تعالى ويتعاور ويتضارب)[2].

وثمة صيغ من فوق الثلاثي لا تكون إلا لازمة منها صيغة (انفعل يتفعل) التي تكررت (19) مرة بنسبة (5,8%)، ومن أمثلة استخدامه لها قوله: "وعلى قاعدة الانفراد انفردَ كلّ شيء، فآثر الشرقي حياته على وطنيته"[3]، ومن هذه الصيغ التي لم ترد إلا لازمة عند الرافعي صيغة (تفعلل يتفعلل) حيث تكررت أربع مرات فقط، يقول: "ورأيت صاحبي يذهل عن نفسه ويتلألأ على وجهه نور لكلّ تكبيرة"[4]. وأقلّ هذه الصيغ صيغة (افعللّ يفعللّ)، حيث لم ترد في النماذج المختارة سوى مرتين، من ذلك قوله: "وضجّ الناس في صوت تقشعر منه جلود الذي يخشون ربهم"[5].

3 – البناء للمجهول والبناء للمعلوم.

الأفعال من حيث ذكر الفاعل أو إخفاؤه قسمان : مبني للمعلوم ومبني للمجهول والأفعال المبنية للمعلوم كثيرة الانتشار، ولا يختلف هذا الحكم عند الرافعي عن غيره، وقد بيّنت الأبنية

---

[1] الرافعي: **وحي القلم**.(حقيقة المسلم).ص14.

[2] ينظر: المصدر السابق ،مقالة (حقيقة المسلم)،ج2. ص12 وما بعدها.

[3] الرافعي: **وحي القلم** ج2. ص247

[4] المصدر نفسه.(حقيقة المسلم)ج2، ص303.

[5] المصدر نفسه ج1، ص303.

التي تأتي عليها الأفعال المبنية للمعلوم في الجداول السابقة، وأشرت إلى الدلالات والمعاني التي تؤديها، لذا فإني أكتفي بالحديث عن الأفعال المبنيّة للمجهول عنده.

الفعل المبني للمجهول يقوم على حذف الفاعل، "وهو ما يترتب عليه أمران محتومان تغيير يطرأ على فعله"،[1] ويكون هذا التغيير بضم أول الفعل الذي لم يُسمَّ فاعله مطلقا، سواء أكان ماضيا، أو مضارعا، ويكسر ما قبل آخر الماضي، ويفتح ما قبل آخر المضارع،[2] "والأمر الآخر إقامة نائب عنه يحلّ محله ويجري عليه كثير من أحكام الفاعل"[3]. ويقول الصرفيون "لا يبنى الفعل اللازم للمجهول إلا مع الظرف أو المصدر المتصرفين المختصين، أو المجرور الذي لم يلزم الجار له طريقة واحدة نحو: سير يوم الجمعة".[4] وثمة دواعٍ لحذف الفاعل منها ما يكون معنويا كالجهل بالفاعل وكالخوف منه أو عليه وكإبهامه أو تعظيمه بعدم ذكر اسمه على الألسنة صيانة له، أو تحقيره بإهماله، ومنها عدم تعلق غرض بذكره أو شيوعه ومعرفته، وهناك دواعٍ لفظية كالرغبة في الاختصار والحفاظ على السجع، والضرورة الشعرية.[5]

---

[1] حسن، عباس: النحو الوافي. ج2، ص80 في الهامش.

[2] انظر: ابن عقيل: **شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك**. شرحه وعلّق على مسائله نوري حسن حامد المسلاتي، ط1، بيروت: دار ابن حزم، 1430هـ–2009م. ص235.

[3] حسن، عباس، النحو الوافي، ج2. ص80.

[4] الحملأوي: شذا العرف في فن الصرف. ص92.

[5] انظر: حسن، عباس: النحو الوافي. ج2، ص80.

جدول رقم (5)

أبنية الفعل المبني للمجهول. نماذج مختارة.[1]

أبنية الفعل الماضي المبني للمجهول وتكرارها						أبنية الفعل المضارع المبني للمجهول وتكرارها					
المبنى	فُعِلَ	أفعِل	فُعِّل	افتُعِل		يُفعَل تفعَل	يفعّل تفعّل	يستفعَل تستفعل	يُتفعَّل تُتَفعَّل	يُفاعل تُفاعل	يُفتعَل تُفتعَل
التكرار	33	12	3	4		70	9	4	1	1	6

وبالنظر إلى الجدول يتبين لنا أنّ الرافعي كثيراً ما عمد إلى استخدام الفعل المبني للمجهول، حيث جاء في صيغة الماضي والمضارع، وكان المضارع أكثر صيغاً وأكثر انتشارا كبقية الأفعال التي تمت دراستها، إذ تكرر المبني للمجهول في صيغتي الماضي والمضارع (143) مرة، منها (52) فعلا في صيغة الماضي أي ما نسبته (4،36%) من مجموع صيغ المبني للمجهول، أمّا المضارع فقد ذكر (91) مرة بنسبة (6،63%) ، وقد جاء كل منهما على أبنية مختلفة، وكان الاستخدام متفاوتا بين صيغة وأخرى.

جاء الفعل الماضي على أربعة أبنية أكثرها انتشاراً بناء (فُعِل) حيث تكرر (33) مرة بنسبة 5،63% من بين أبنية الماضي، ومن أمثلة استخدامه قوله : "هذه عقلية شاب محامٍ طوي عقله على الكتب القانونية وطوي قلبه على مثلها من غير القانونية"[2]، فهو لم يذكر الفاعل الحقيقي إهمالا، فهو يريد أن يؤكّد أنّه يجب على الإنسان أن يعود إلى تعاليم دينه فيما يصدره من أحكام وآراء. وثّمّة أسباب كثيرة للبناء للمجهول –كما أوضحت سابقا–عند اللغويين منها ألّا يتعلق غرض بذكره، يقول الرافعي في حديثه عن عدم ستر جسد المرأة: "وإذا كسر ما فوق

[1] النماذج المختارة في باب الفعل الثلاثي المجرد.

[2] الرافعي: **وحي القلم**(استنوق الجمل)،ج1. ص200.

القفل من الخزانة المكتنز فيها الذهب والجوهر، فالباب الحديد كله سخرية وهزُؤ من بعد"[1]، فهذا الستر إن انتفى عن المرأة كان ككسر الخزانة من فوق القفل، حيث لم تعد حصانتها ذات جدوى، وكذلك المرأة إذا هُتك سترها فلن ينفعها شيء بعده.

وأقلّ أبنية الماضي المبني للمجهول انتشارا (فُعِّل) فلم يُذكر سوى ثلاث مرات بنسبة 5,7% فقط، ومن الأمثلة على هذه الصيغة قوله: "ولهذا سُمّي الدين بالإسلام لأنه إسلام النفس إلى واجبها أي إلى الحقيقة من الحياة الاجتماعية"[2]، فالفاعل الحقيقي معروف تماما وهو الله جلّ في علاه، فلم يذكره تعظيما لشأنه. في حين ذكر البناء أُفعِل (12) اثنتي عشرة مرة، على نحو ما نجده في قوله عن قاسم أمين: "وكانت كلمة الحجاب قد انتفخت في ذهنه بعد أن أُفرغت معانيها الدقيقة"[3]، فاستخدام البناء للمجهول هنا سببه أنّ ذكر الفاعل لا يتعلق بذكره غرض، وإنّما المعضلة أن وصلت المعتقدات والأفكار إلى هذا الحدّ. وبناء (افتعل) ورد أربع مرات مثل الفعل ابتليت وابتذلت[4].

أمّا الفعل المضارع فقد استخدمه الرافعي (91) مرة، كان أكثر أبنيته انتشارا (يُفعَل تُفعَل) حيث تكرر (70) مرة بنسبة 76,9%، ومن الأمثلة على هذا المبنى قوله في حديثه عن ثورة خلع الحجاب: "وهو في الحقيقة ليس إلا ثورة الطبيعة النسوية على خيبتها مهما أصابت من الحرية والشارع والعالم والحقوق، ورغبة منها في أن تحُدّ بحدودها، ويُؤخذ منها العالم كله مما فيه، وتُعطى البيتَ وحده بما فيه"[5]، ومن ذلك أيضا قوله :"وكما يُشق النهر فتقف الأرض عند شاطئه لا تتقدم، يُقام المسجد فتقف الأرض بمعانيها الترابية خلف جدرانه لا تدخله"[6]، حيث يتّضح أنّ سبب البناء للمجهول عنده أن لم يتعلق بذكر الفاعل غرض ما في المثالين السابقين.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (استنوق الجمل)،ج1. ص200.

[2] المصدر نفسه (حقيقة المسلم)،ج2. ص12.

[3] المصدر نفسه (تربية لؤلؤية)،ج1، ص185.

[4] حيث وردا في (عربة اللقطاء) في الجزء الأول ص292 وما بعدها.

[5] حيث وردا في (عربة اللقطاء) في الجزء الأول ص186..

[6] الرافعي: **وحي القلم**(اله أكبر)،ج1. ص304

في حين ورد البناءان (يُتّفعّل ويُفاعَل) مرة واحدة لكلّ منهما، وورد البناء (يفعّل، تُفعّل) تسع مرات بنسبة (9,9%)، وهي نسبة قليلة مقارنة بصيغة يُفعَل مثل الفعل (يُخيّل ويسمّن)، وأما بناء (يُفتعل، تُفتعل) فقد استخدمه ست مرات بنسبة 6,6%، ومن الأمثلة على استخدام هذه الصيغة قوله في حديثه عن أولئك الذين عزفوا عن الزواج بحججهم الواهية: "ولا يدري هذا المنحط النفس أنّ الزواج في معناه الإنساني الاجتماعي هو الشكل للاقتراع العسكري، كلاهما واجب حتم لا يُعتذر منه إلا بأعذار معينة، وما عداها فجبنٌ وسقوط وانخذال ولعنة على الرجولة"[1]، حيث جاء البناء للمجهول من الفعل اللازم؛ لذا جاء نائبه شبه الجملة، ولم يكن هناك غرض يتعلق بذكر الفاعل الحقيقي، فهو كثيرا ما يستخدم البناء للمجهول لهذا السبب. وأخيرا صيغة (يُستفعل) إذ تكررت عنده أربع مرات فقط بنسبة 4,4%، منها الفعل (يستعان) الوارد في مقالته "البؤساء"، والفعل (تُستمدّ) في مقالته "أبو حنيفة ولكن بغير فقه".هذه هي صيغ المبني للمجهول التي استخدمها الرافعي في مقالاته المختارة.

الخلاصة

من خلال ما تقدّم يتضح أن الرافعي استعمل الأفعال بأشكالها كافة من حيث التجرد والزيادة، ومن حيث الصيغ الزمنية، لكن هذا الاستعمال كان متفاوتا بين صيغة وأخرى؛ أمّا من حيث التجرد والزيادة فقد جاء استعماله للأفعال الثلاثية والرباعية المجرّدة والمزيدة وفق الجدول أدناه

الأفعال المجردة	المزيدة بحرف واحد	المزيدة بحرفين	المزيدة بثلاثة أحرف	المجمـــــــــوع
1555	493	382	59	2489

والرسم البياني الآتي يوضّح هذه الأرقام ونسبة استعمالها عند الرافعي:

[1] الرافعي: **وحي القلم** (استنوق الجمل)،ج1. ص203.

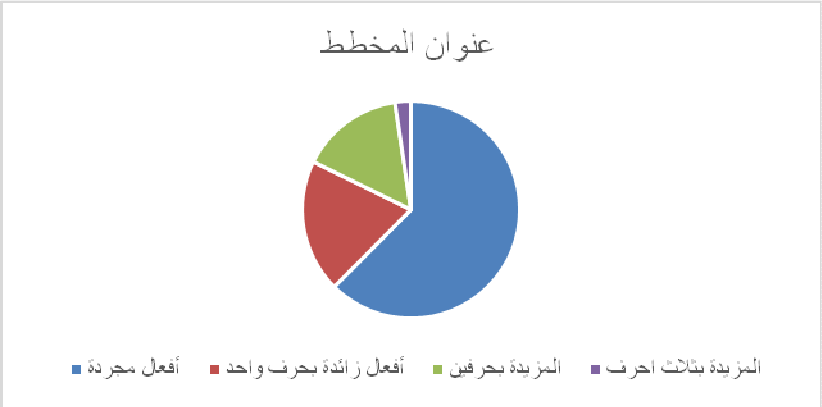

وأمّا من حيث الصيغ الزمنية فثمة تباين واضح في الاستعمال عند الرافعي؛ فالفعل المضارع ينال نصيبا وافرا يليه الماضي في حين يقلّ استعمال الأمر كثيرا عند مقارنته بهاتين الصيغتين وفق الجدول أدناه:

الماضي	المضارع	الأمر	المجموع
958	1477	38	2473

والرسم البياني الآتي يوضح صورة هذا الاستعمال:

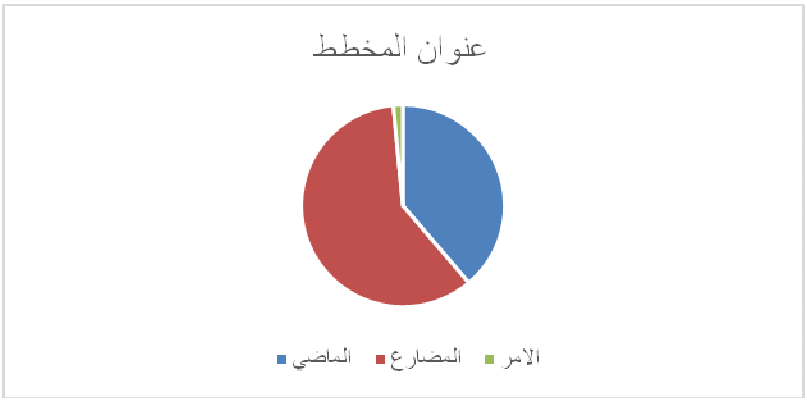

ثانيا: أبنية المصادر.

أ – مصادر الأفعال الثلاثية المجرّدة.

وتأتي هذه المصادر على أوزان عدة، وما يعنينا في هذه الدراسة أبنية هذه المصادر عند الرافعي وانتشارها في مقالاته، حيث استخدم هذه المصادر بشقيّها الثلاثية وفوق الثلاثية مع أنّ استخدامه لمصادر الفعل الثلاثي يفوق نظيره فوق الثلاثي بأضعاف كثيرة، لذا أبدأ بهذه المصادر عنده، وهذ المصادر يمكن أن نجملها في الجدول رقم (6) حسب ورودها في مقالات الرافعي البيانية.

جدول رقم (6)

أبنية مصادر الفعل الثلاثي المجرّد، نماذج مختارة.[1]

البناء	فَعْل	فَعَل	فُعول	فَعال	فِعلة	فِعال	فَعالة	فِعْل	فَعيلة	فَعَلة
التكرار	219	111	43	93	44	25	35	44	33	1
البناء	فِعالة	فَعْلة	فُعْل	فعيل	فُعْلة	فُعال	فُعولة	فَعَلان	فِعْلان	فْعلاء
التكرار	32	62	75	10	62	5	19	1	1	1

بالنظر إلى الجدول أعلاه يمكن أن نسجل الملاحظات الآتية:

1 – أن بناء (فَعْل)هو أكثر أبنية المصادر الثلاثية المجردة شيوعا عند الرافعي، وهذا يؤكد ما أقره النحاة والصرفيون، وهو يأتي من الأفعال المتعدية على اختلاف حركة العين في مضارعها.

2 – أقل هذه الأبنية استخداما عند الرافعي الأبنية فِعْلان وفَعَلان وفَعَلة وفعْلاء.

[1] النماذج المختارة للمصادر الثلاثية هي: النجاح وكتاب سر النجاح، امير الشعر في العصر القديم، قنبلة بالبارودة بالماء المقطر، نجوى التمثال، قرآن الفجر، قصة الايدي المتوضئة، وحي القبور، موت ام، قصيدة مترجمة عن الملك، الربيع، قصيدة مترجمة عن الشيطان، في اللهب ولا تحترق.

3 – لم تكن النسب التي جاءت عليها أوزان مصادر الثلاثي متقاربة، إذ إنّ هناك تباينا في استعمالاتها عند الرافعي، ويتّضح هذا من خلال النظر في الجدول السابق.

ب – مصادر الأفعال فوق الثلاثية.

ذكرت في بداية الحديث عن المصادر أن الصرفيين اتفقوا على وجود أبنية قياسية لمصادر الأفعال المزيدة، وقد استخدم الرافعي هذه الأبنية القياسية دونما خروج عن هذه الضوابط التي أوضحها الصرفيون في كتبهم، وفيما يأتي بيانها من خلال الجدول الآتي:

جدول رقم (7)

مصادر فوق الثلاثي، نماذج مختارة.[1]

البناء	إفعال	إفعلة	تفعيل	تفعِلة	مُفاعلة	فِعال	المجموع
التكرار	57	12	73	5	11	5	163
البناء	افتعال	تفعُّل	تفاعُل	انفعال	استفعال	استفعلة	المجموع
التكرار	35	21	5	10	11	4	86

يبيِّن هذا الجدول مصادر الأفعال فوق الثلاثية وتكرارها، وهي مصادر قياسية أي أنَّ لها ضوابط تحكم بناءها، وقد وردت هذه المصادر (249) مرة في المقالات المختارة، إذجاءت من المزيد بحرف واحد والمزيد بحرفين والمزيد بثلاثة أحرف، وإذا أنعمنا النظر في الجدول أعلاه يمكن أن نسجل الملاحظات الآتية:

1 – أن بناء (تفعيل) أكثر المصادر المزيدة دورانا في مقالات الرافعي، ونلاحظ أن بناء (استفعلة) أقل أبنية مصادر مزيد الثلاثي ورودا عنده.

[1] وهي النماذج المشار اليها في الجدول السابق عند الحديث عن مصادر الفعل الثلاثي.

2- مصادر الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد تفوق في عددها مصادر الأفعال المزيدة بحرفين والمزيدة بثلاثة أحرف معا.

3 – مصادر فوق الثلاثي أقلّ في عددها من مصادر الثلاثي المجرد بكثير، وكذلك عدد الأبنية للمجرد أكثر من أبنية مصادر الأفعال المزيدة.

4 – لم يخرج الرافعي عن قواعد الصرفيين في استخدامه لمصادر فوق الثلاثي؛ حيث جاءت جميعها موافقة لما أورده الصرفيون في مؤلفاتهم.

- دلالات المصدر وأثره في تحقيق المعنى.

حتى تكون دراسة المصادر الثلاثية وفوق القلاثية ذات جدوى أبين دلالاتها وكيفية توظيفها من خلال نص متكامل، وقد اخترت لدراسة أبنية هذه المصادر ودلالاتها مقالته "في اللهب ولا تحترق".[1] إذ تنوع استخدام الرافعي للمصادر بين مقالة وأخرى من حيث المبنى الذي جاءت عليه هذه المصادر من ناحية، ومن حيث المعاني التي تؤديها من ناحية أخرى، وذلك حسب المضمون الذي تدور حوله المقالة، ففي مقالته "في اللهب ولا تحترق" التي يتحدث فيها عن ثنائية الفضيلة والرذيلة أو الخير والشر أو الحق والباطل؛ يتحدث الرافعي عن راقصة تقضي أول ليلها بالمتع والملذات وتختمه بالاستغفار والصلوات، وقد حشد الرافعي في هذه المقالة عددا من المصادر الثلاثية وغير الثلاثية لدلالات تنسجم وروح النص كما سنرى. وقد جاء استخدام المصادر الثلاثية في هذه المقالة كثيرا عند مقارنته بالمصادر غير الثلاثية، وقد جاء بناؤه على أوزان كثيرة، وهذه الأوزان ودلالاتها أوضحها كما يأتي:

1 – بناء (فُعْل) بفتح الفاء وسكون العين، هو أكثر أبنية مصادر الثلاثي استعمالا في هذه المقالة، وقد جاءت أكثر استعمالاته فيها للدلالة على الحركات الصادرة عن الإنسان أو قيم معرفية وعقلية، ومن أكثر هذه المصادر انتشارا (الرقص والطيش والفن والوضع والدفع

[1] الرافعي: **وحي القلم**، ج1، ص307 –312. تتحدث هذه المقالة عن فتاة تجمع بين التدين والسفور؛ حيث تبدأ ليلها راقصة وتنهيه عابدة زاهدة.

والجذب والهدم وغيرها)، وهذه كما يتضح تدل على حركات صادرة عن الإنسان، وهناك مصادر كالظن والرأي والضعف والظرف، وهي تعبر عن قيم معرفية وقيم سلوكية، وهذه المعاني جاءت خادمة للموضوع الذي تتناوله هذه المقالة، وهو الجمع بين الخير والشر وهو ما تحدده النفس من خلال معتقداتها والحركات الصادرة عنها، وقد وردت هذه الصيغة – أي صيغة فَعْل – وحدها تسعا وعشرين(29) مرة، ومن ذلك قوله : "فإذا رأيتها بتلك الزينة في رقصها وتثنيها، قلت: هذه روضة مفتنة اشتهت أن تكون امرأة فكانت، وهذا الرقص هو فن النسيم على أغضائها"[1]، ففي هذه التراكيب تكررت كلمة رقص مرتين، وكلمة فن مرة وهي تدلّ على حركة يؤديها الإنسان بإرادة منه لتظهر صورته بأجمل حلة، وهذا حال الراقصة في الوقت الذي تمارس فيه ما تحبه ويحبه الآخرون منها.

2 – بناء(فَعَل) بفتح الفاء والعين، وقد جاء استعمال هذا البناء للدلالة على الأعراض مثل الفرح والطرب والغضب، واستعمله الرافعي أيضا للدلالة على القيم السلوكية مثل الطمع والأدب والحذر، وقليلا جاء للدلالة على الحركات الصادرة عن الإنسان مثل المصدر (عَمَل)، وهذه المعاني تنسجم تماما مع سياق النص الذي وردت فيه، ومن أمثلة استعمال الرافعي لهذه الصيغة قوله: "يخيل إليك أحيانا في فن من فنون رقصها أن جسمها يتثاءب برعشة من الطرب"[2]، وقوله أيضا:"فإذا المرأة من الضعف إلى تهافت تغلبها الكلمة الرقيقة ...ويستذلها طمعها قبل أن يستذهلها الطامع فيها، ولتكن بعد ذلك من هي كائنة أصلا وحسبا وتهذيبا وعقلا وأدبا وعلما وفلسفة"[3]، فالطرب في قوله الأول للدلالة على ما يعرض للإنسان من انفعالات مع ما يحيط به، والمصادر (طمعها وحسبا وأدبا) تعبر عن القيم السلوكية، وواضح أن الرافعي يحشد في هذا القول عددا من المصادر التي تضمنت معاني معبرة عن مضمون المقال، وقد ورد هذا البناء عنده ست عشرة (16) مرة جاءت جميعها معبرة عن معاني تتعلق بالنفس الإنسانية وأعراضها، وهو ما يقتضيه الحديث عن ثنائية الحقّ والباطل في حياة البشر.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم**(في اللهب ولا تحترق)،ج1، ص307.

[2] المرجع نفسه، ص308.

[3] المرجع نفسه، ص309.

3 – بناء (فُعول) لم يرد هذا المصدر سوى أربع مرات، جاء في ثلاث منها دالا على الانفعالات النفسية، وهي المصادر (جنون وذهول وشعور)، وجاء للدلالة على الاستقرار مرة واحدة في كلمة وجود، ومن أمثلة استخدامه لهذه الصيغة قوله:" فيكون ما في جمالها الخواطر ويرغم الإعجاب أن يكون ذهولا وحيرة"[1]، ففي المصدر ذهول يتضح أثر الانفعال النفسي مما يُرى أو يُسمع.

4 – بناء (فُعْل) وقد تكرر استعمال هذا البناء تسع مرات لدلالات مختلفة أبرزها :

أ– للدلالة على القيم الجمالية مثل حسن .

ب– للدلالة على القيم السلوكية وهي في الغالب صفات مكتسبة مثل الحب والحكم.

ج– للدلالة على القيم النفسية مثل كلمة حزن حيث وردت هذه الكلمة جمعا.

د– للدلالة على المسافة مثل بعد.

وهذه الدلالات جميعها لا بدّ من حضورها في نص يتناول الجمع بين أمرين متناقضين كالحق والباطل، أو الفضيلة والرذيلة حتى تظهر القيم التي ينبغي التحلي بها وتلك التي ينبغي اجتنابها، يقول الرافعي:" فإن كانت الصلاة بالجسم وحده لم يزدد المرء من روح الصلاة إلا بعدا"[2]، فكلمة (بُعد) تدلّ على المسافة، ويقول على لسان الراقصة :" ولكني لا أملكها – أي الحرية – في الأخيرتين ما دام عليَّ هذا الميسم من الحسن"[3]، فكلمة الحسن تعبر عن قيمة من القيم الجمالية.

5– بناء فعال بفتح الفاء، حيث جاء استخدام هذا البناء كثيرا، إذ تكرر سبع عشرة (17) مرة، وقد جاء استخدامه لدلات مختلفة، وأبرز هذه الدلالات يمكن إجماها فيما يأتي:

أ – الحسن والقبح مثل المصادر: جمال ووقار.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم**، ص308.

[2] المصدر نفسه، ص310.

[3] المصدر نفسه، ص310.

ب – الرفعة والضعة مثل المصادر: فساد ووباء.

ج – الانتهاء مثل المصادر: هلاك وصغار.

د – الانفعالات مثل المصدر متاع.

يقول الرافعي:"غير أنك إذا تأملت جمالها وتمامها حسبتها طالت لساعتها"[1]، فالمصدران جمال وتمام يدلان على الحسن والانتهاء، لكن الانتهاء هنا يكمن في الوصول إلى قمة الجمال أي العظمة في الحسن، فهو يبين من خلال هذه المصادر عظم السجايا التي تمتاز بها هذه الراقصة، ويقول أيضا على لسانها:"إني لأرقص وأغني، ولكن أتدري ما الذي يحرزني من العقاب، ويحميني من وباء هذا الجمهور المريض النفس؟"[2] فكلمة وباء مصدر يدلّ على الضعة، وقوله أيضا :"أقييم لك البرهان على صغارك وحقارتك؟".

6 – بناء (فِعلة) بكسر الفاء الذي تكرر اثنتي عشرة مرة للدلالة على القيم المختلفة؛ فقد جاء هذا البناء للدلالة على القيم الجمالية مثل: (زينة) التي تكررت أربع مرات كما دل هذا البناء ايضا على القيم السلوكية المكتسبة مثل:(عفة حكمة)، ودلّ هذا البناء أيضا على القيم النفسية مثل: (فطرة ونية)، ولم أجد استخداما لهذا البناء لمعنى اخر في هذه المقالة غير هذه المعاني، يقول الرافعي :"ولكنها حين تتخلع من هذه الفطرة تخذلها الفطرة والطبيعة معا لتسلم بها المرأة من أن تخطر عفتها لغرض"[3]، فالمصدران فطرة وعفة يدلان على القيم النفسية والقيم السلوكية المكتسبة على الترتيب.

7 – بناء (فعيل) وهذه الصيغة لم يستخدمها الرافعي سوى مرتين فقط: مرة في كلمة بريق للدلالة على اللون، ومرة في كلمة اليقين للدلالة على الاستقرار في الرأي والتثبت منه، وهاتان الدلالتان يحتاج إليهما النصّ لإظهار الفكرة وتوضيحها للقراء، يقول الرافعي:"حتى لتظن أن

---

[1] الرافعي: **وحي القلم**، ص308.

[2] لمصدر نفسه، ص311.

[3] المصدر نفسه، ص309.

الشمس تزيد وجهها في كل نهار شعاعة ساحرة، وأنّ كل فجر يترك لها في الصبح بريقا ونضرة من قطرات الندى"[1].

8 – بناء (فُعلة) بضم الفاء، هذه الصيغة جاء استخدام الرافعي لها قليلا أيضا، إذ تكررت ثلاث مرات لدلالتين وهما: اللون مثل المصدر ظلمة، وللدلالة على صفات مكتسبة مثل قوة، يقول:" فهي تبعث للقلوب ما شاءت ضوءا وظلمة"[2]، فكلمة ظلمة تدل على السواد، وهو يعمد إلى إظهارها من خلال اتكائه على الطباق بين الكلمتين ضوء وظلمة.

9 – بناء (فَعالة) بفتح الفاء، تكرر هذا البناء سبع مرات، وقد أدى دلالات تعبر عن الرفعة والضعة مثل: شهامة وطهارة وسلامة وحقارة، وجاء قليلا للدلالة على صفات حسية في النفس مثل: رشاقة ونحافة، ومن أمثلة استخدام هذه الصيغة قوله :"تنسجم أنغام الموسيقا قي رشاقتها نغمة إلى حركة"[3]، ويقول في موضع آخر:" وأنا اعتمد على شهامة الرجل ، فإن لم أجدها علمت أني بإزاء حيوان إنساني"[4]، فالكلمتان رشاقة وشهامة تعبران عن هذه المعاني.

10 – بناء (فَعلَة) بفتح الفاء، تكررت هذه الصيغة اثنتي عشرة مرة لدلالتين كانتا الغالب في استعمالها وهما:

أ– الانفعالات النفسية مثل: رعشة وحيرة ورغبة وشهوة.

ب– الحركات الصادرة عن الإنسان مثل: لفتة ونظرة.

يقول الرافعي: "يخيل إليك أن جسمها يتثاءب برعشة من الطرب فإذا جسمك يهتز بجواب هذه الرعشة"[5]، فالانفعال واضح في الطرفين، فهو يحدث في جسم كل منهما رعشة يظهر أثرها في الراقصة ومن ينظر إليها، ثم يقول:" فمهما يكن طيش الفن في تأودها ولفتتها ونظرتها

---

[1] الرافعي: **وحي القلم**،ج1، ص307.

[2] المصدر نفسه ،ص308.

[3] المصدر نفسه ، ص308.

[4] المصدر نفسه، ص312.

[5] المصدر نفسه، ص308.

وابتسامها وضحكها ففي وجهها دائما علامة وقار عابسة تقول للناس :"افهموني"[1]، فالمصدران لفتة ونظرة يدلان على الحركات الصادرة عن النفس، وهذه الحركات لا بدّ منها في موقف مثير كهذا، فهما يخدمان السياق مع المصادر الأخرى المصاحبة لهما في هذا التركيب.

هذه أكثر مصادر الفعل الثلاثي في مقالته، جاءت دلالات كثير منها قائمة على الثنائيات مثل الحسن والقبح والفضائل والرذائل والحث والنهي وغيرها من الثنائيات التي أسهمت في إبراز المحاور التي تدور حولها هذه المقالة. أمّا مصادر الأفعال فوق الثلاثية فقد كانت قليلة جدا عند مقارنتها بالمصادر الثلاثية، وقد اكتسبت هذه المصادر دلالاتها من معاني الزيادات في أفعالها، والصيغ التي جاءت عليها هذه المصادر قليلة يمكن إجمالها فيما يأتي:

1 – إفعال مثل: إحراق وإعجاب، وهما للدلالة على المبالغة في الحدث وعظم تأثيره في النفس، يقول:"فلها نور وبصيص ولهب، وفيها طبيعة الإحراق"[2]، فلم يقل الرافعي فيها طبيعة الحرق وإنما الإحراق لإظهار عظم جمالها والمبالغة في وصفه، حتى تكون صورتها لافتة، لأنه مقبل على وصف تدينها بعد قليل، وفي هذه الأوصاف يظهر التباين بين المشهدين جليا، وحينها يتضح الفرق بينهما.

2 – تفعيل مثل: التعبير، وتهذيب وكلمة التركيب الواردة مرتين، ولا تفارق هذه المصادر الدلالة السابقة وهي المبالغة في الوصف، ولا سيما وصف ما جبلت عليه نفس هذه الراقصة أو المتدينة أو كلتيهما في صورة معا، يقول :"وأن لها عينا عذراء لا تحاول التعبير لا سؤالا ولا جوابا ولا اعتراضا بينهما"[3].

3 – افتعال مثل: اعتراض واحتشام واضطراب، وهي تعبر عن معان سلوكية وانفعالات نفسية، فلا تبتعد بذلك عن كثير من دلالات المصادر الثلاثية، فكلمة اضطراب تكررت كثيرا في هذه المقالة وفي غيرها من مقالات الرافعي الأخرى، وهي تعبر عن معناها بذاتها دون اللجوء إلى

---

[1] الرافعي: **وحي القلم**، ج1، ص308.

[2] المصدر نفسه ، **ص307**.

[3] المصدر نفسه، ص308.

معرفة معاني الزيادات في الأفعال ومصادرها، يقول :"يزول الاستقرار ويحل في محله الاضطراب "[1]، ففي هذا التعبير القصير يستعمل الرافعي مصدرين هما الاستقرار والاضطراب معتمدا على الطباق فيهما، الذي غدا دأبا في هذه المقالة التي يتحدث فيها عن صورتين متناقضتين للفتاة نفسها؛ حيث تبدأ ليلها راقصة وتنهيه عابدة زاهدة، فمن خلال الطباق يسهم الرافعي في رسم ملامح هاتين الصورتين المتناقضتين.

4 – تفاعل مثل المصدر تهافت الذي يدل على التدرج في الشيء والموالاة، يقول :"فإذا المرأة من الضعف إلى تهافت تغلبها الكلمة الرقيقة وتغترها الحيلة الواهنة وتوافق إنخداعها كل رغبة مزينة "، واضح أن المصدر تهافت في هذا النص يدل على الموالاة، كما أن في النص مصدرا ثانيا وهو (انخداع) على زنة انفعال، وهو يدل على الاستجابة للشيء ومطاوعته، وهناك مصادر أخرى فوق ثلاثية لكنها جاءت قليلة جدا مثل المصدر تثني والمصدر عقاب في قوله :فيجعل الله عقابها في عملها"[2].

هذه صيغ المصادر التي استخدمها الرافعي في مقالته "في اللهب ولا تحترق" التي يرسم فيها صوورة امرأة تجمع بين السفور والتدين، حيث تبدأ يومها في أماكن اللهو والمراقص، فتكشف عن جسمها أمام الرجال وتظهر مفاتنها على الملأ، وتؤدي حركاتها كاملة بحيث تظهر صورتها أمام الناظرين إليها في الملهى فتنجذب إليها قلوب المحبين، لكن هذه الصورة الفاتنة سرعان ما تتغير عند انتهاء الليل، حيث ترتدي هذه الفتاة زيها الشرعي الذي تظهر فيه محتشمة متدينة زاهدة وقورة، فتسبغ أعضاءها بماء الوضوء فتتطهر وتقف بين يدي ربها تصلي وتناجي، فالرافعي يريد أن يقول مهما بدت المرأة متجردة من دينها وأخلاقها فإنها لا بدّ من أن تضمر في نفسها مضمر خير يزينها إذا اجتنبت وساوس الشيطان، وهذه الصورة أراد الرافعي إظهارها في هذه المقالة معتمدا على المعاني المتناقضة والمصادر التي تحمل صيغها دلالات متعاكسة كالحسن والقبح والخير والشر وغيرها من هذه المعاني.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم**،ج1، ص309.

[2] المصدر نفسه، ص309.

ت – أبنية المصدر الميمي.

وهو مصدر قياسي يصاغ من كل فعل ثلاثي مجرّد ومزيده، وكذلك من الرباعي المجرّد ومزيده، وبعد تفحُّص مقالات الرافعي تعرفنا على المصادر الميمية التي وردت فيها، والجدول الآتي يوضحها.

جدول رقم (8)

المصادر الميمية من الأفعال الثلاثية المجردة، نماذج مختارة[1].

البناء	مفعَل	مفعِل	مفعَلة	مفعِلة	**المجموع**
المثال	مقتل	موضِع	منفعة	موعِظة	
التكرار	14	4	5	7	**30**

ومن خلال الجدول يتبيّن أنَّ الرافعي استخدم المصدر الميمي من الفعل الثلاثي (30) مرة، حيث جاء على زنة مفعَل بفتح العين أربع عشرة مرة بنسبة (46,6%)، وهو أكثر أبنية المصدر الميمي انتشاراً، حيث يصاغ من كل فعل ثلاثي عدا المعتل المثال الواوي، ومن الأمثلة على استخدامه هذا البناء قوله:"إذ كنت أتعبّد على مذهب الإمام الشافعي –رضي الله عنه– فأصحّح الفكر واستحضر النيّة في قلبي"[2]، فكلمة مذهب مصدر ميمي من الفعل ذهب ومضارعه مفتوح العين يذهَب، وهو هنا يدلّ على صفة تتعلق بالبشر حاملا في طياته معنى المبالغة في السير على مذهب الشافعية، ومن الأمثلة على هذا البناء أيضا قوله عن قارئ القران الذي كان يتصرف بصوته أحسن تصرّف في صلاة الفجر: "كان يتصرف به أحلى مما يتصرف القمري وهو ينوح في أنغامه، وبلغ في التطريب كل مبلغ يقدر عليه القادر"، فكلمة (مبلغ) مصدر ميمي

[1] وهي المقالات التي تناولت مصادر الفعل الثلاثي.

[2] الرافعي: **وحي القلم**،ج1. ص310.

من الفعل الصحيح بلغ ومضارعه يبلغ، وهو هنا أيضا للدلالة على ما يتّصف به البشر وهو الإكثار من فن التطريب والمهارة العالية فيه.

وأقل أبنيته انتشاراً ما كان على زنة مفعِل بكسر العين، فلم يرد سوى أربع مرات بنسبة (3،13%)، ولا يصاغ هذا البناء إلا من المعتل المثال، يقول الرافعي:" أمّا ضعف الهمة فمنزلة الذي لا همَّ له إلا أن يوجد كيفما وُجد وحيثما جاء موضعه من الوجود"، فكلمة موضع وهي هنا مصدر ميمي من الفعل المعتل المثال الواوي (وضع) وهو بناء قياسي لكلّ فعل من هذا النوع، وهو هنا أيضا للحديث عمّا يتصف به البشر أيضا، لإظهار صورة ضعيف الهمة وقليل الحيلة في الحياة التي يحياها، فهو دائما يرضى بما وجد عليه من الذلة التي اعتاد عليها.

وأمّا بناؤه على زنة (مفعلة) فقد ورد اثنتي عشرة مرة بنسبة (40,1%)، خمسا منها بفتح العين وسبعا بكسرها. يقول: "وإذا جاءني وقح خلق الله وجهه الحسن مسبّة له، أو خلقه هو مسبّة لوجهه القبيح، ذكرت أني بعد ساعة أو ساعات أقوم إلى الصلاة"[1]، فكلمة مسبّة التي تكرّرت مرتين وهي على زنة (مفعَلة) بفتح العين، وهي من الفعل الثلاثي المضعّف (سبّ)، وهو بهذا الاستخدام يريد إظهار صورة منفرة لمن اعتاد الوقاحة في حياته حتى غدت لعنة له ومسبة عليه لا تفارقه ما نظر إليه الناظرون، وكثيرا ما يأتي المصدر الميمي مختوما بميم مزيدة من بعض الأفعال، وأمّا ما جاء على زنة (مفعِلة) بكسر العين فمنه قوله :" ثلاثة أرواح لا تصلح روح الإنسان في الأرض إلا بها: روح الطبيعة في جمالها، وروح المعبد في طهارته، وروح القبر في موعِظته"، فكلمة موعظة هنا حلَّت محل كلمة وعظ فهي تدل عليها لكنها لا تخلو من معنى المبالغة في الوعظ لما في القبور من تأثير في النفوس.

وقد يأتي المصدر الميمي عند الرافعي جمعا، ومن الأمثلة على استخدامه جمعا قوله:" إنَّ الدنيا تبدأ عندكم من الأعلى إلى الأدنى: من العظماء إلى الفقراء ولكنها تنقلب في الآخرة فتبدأ من الفقراء إلى العظماء؛ وأنتم ترسمونها بخطوط المطامع والحظوظ، ويرسمها الله بخطوط

[1] الرافعي: **وحي القلم** ، ج1، ص312.

الحِرمان والمجاهدة"[1]، فكلمة المطامع وهي جمع لكلمة مطمع تحلّ محلّ أطماع، لكنها تتضمن معنى الغلو والإسراف في الطمع لأنّ الناس تحرص على مصالحها كأن البقاء في الدنيا خالد لا ينتهي، واللافت في استخدام الرافعي للمصدر الميمي أنّه لم يأت به من فوق الثلاثي في المقالات المختارة لهذه الدراسة.

ث – أسماء المرة والهيئة.

دأب الصرفيون على دراسة هذين المبحثين معا، وقد وردا قليلا عند مقارنتهما بالمصادر الأخرى؛ لذا لم أعمد إلى جدولة تكرار كل منهما كما تمت دراسة المصادر السابقة، واسم المرة "مصدر يصاغ للدلالة على أن الفعل حدث مرة واحدة"،[2] ويصاغ هذا المصدر من الفعل الثلاثي المجرّد على وزن فَعلة، ومن غير االثلاثي على قياس المصدر العادي بزيادة تاء، فإن كان المصدر العادي مختوما بالتاء، فإنّ مصدر المرة يصاغ بالوصف بكلمة واحدة،[3] وهو ما وضّحه الإستراباذي بقوله: "فإن لم تكن فيه التاء زدناها عليه، وإن كانت موجودة فيه أضفنا إليه كلمة واحدة منعا للّبس".[4]

وقد ورد هذا المصدر إحدى عشرة (21) مرة، إذ جاء من الفعل الثلاثي على زنة (فَعلة) بفتح العين تسع مرات، ومن فوق الثلاثي لم يرد سوى مرتين فقط، ومن الأمثلة على استخدامه من الفعل الثلاثي قوله : "فصرخة واحدة من قلب الأزهر القديم تجعل هدير البحر كأنه تسبيح"[5]، فكلمة صرخة تدل على حدوث الفعل مرة واحدة، ولا حاجة لكلمة واحدة لأنّ مصدرها على زنة (فُعال) وهو صراخ لدلالته على صوت، لكنه مبالغة في تأكيد هذا المعنى جاء بكلمة واحدة وصفاً لها، ليبين عظم مكانة الأزهر وعلمائه في تلك الفترة، والتأثير الذي يحدثه إذا ما بدت منه

---

[1] الرافعي: وحي القلم، ج2. ص143.

[2]–عبده الراجحي ، **التطبيق الصرفي** ، ص73

[3] المصدر نفسه. ص73.

[4]الإستراباذي ، **شرح شافية ابنالحاجب** ، ج1، ص17

[5] الرافعي: **وحي القلم**. ، ج1. ص249.

علامة زجر أو إنكار لأيّ طارئ يمسّ الدين أو أمة الإسلام برمتها. وأمّا من فوق الثلاثي فمن أمثلته قوله :"جاء أحد الخطباء ووقف يفعل ما يفعله الرعد لا يكرر إلا زمجرة واحدة"، فالفعل (زمجر) مصدره زمجرة؛ لذا جاء بكلمة واحدة حتى يتبين حصولها مرة واحدة لا أكثر، لكنها في هذا السياق تبين أن لهذا الخطيب أثرا عظيما في نفوس المتلقين، وقد مهّد للحديث عن هذا الأثر بقوله "يفعل ما يفعله الرعد" فهي مقدمة للبوح بما هو أعظم منها في وصف هذا الخطاب الذي لا يتجاوز حديثة الزمجرة الواحدة.

وبالنظر في الجمل السابقة يتبين أن بناء اسماء المرة جاء من الأفعال الدالة على حركة، وهو بذلك يصوغه من الأفعال التي يصاغ منها دون خروج عن الضوابط الخاصّة ببنائه، إذ يشترط في مصدر المرة أن يكون فعله تاما، يدلُّ على حدثٍ حسيّ تقوم به الأعضاء أو الجوارح، أمّا الأفعال الناقصة، والأفعال الدالة على معنى عقلي مجرّد، نحو فهم وجهِل، والأفعال الدالة على صفة ثابتة، فليس لها في هذا المصدر نصيب، لانّ حدثها لا يخضع للعدد والتكرار.[1]

وأمّا اسم الهيئة فهو "اسم يدلّ على هيئة حدوث الفعل، ويصاغ من الفعل الثلاثي على زنة فِعلة"،[2] بينما ورد اسم الهيئة أربع مرات فقط، ومن الأمثلة على استخدامه عند الرافعي قوله: "الوجه في إفراد شاعر أو كاتب من الماضين بالتأليف أن تصنع كأنك تعيده إلى الدنيا... حتى كأنه بعد أن خَلقهُ الله خِلقة إيجاد يخلقه العقل **خِلقة** تفكير"[3]، فكلمة (خِلقة) المتكررة مرتين تدلّ على الهيئة التي كان بها الحدث، وهي من الفعل الثلاثي خَلَق ومصدر (خَلْق)، ومن ذلك أيضا قوله في حديثه عن الكتاب الذين يتحدثون عن سِير الأخرين: "فإذا تناولها الحاذق الملمهم أضاف

---

[1] انظر: قباوة، فخر الدين: **تصريف الأسماء والأفعال**.. ص143.

[2] انظر: شعبان صلاح: **تصريف الأسماء**. ص23.

[3] الرافعي:**وحي القلم** (أمير الشعر في العصر القديم)، ج3 . ص336

إليها من تعبيره ما يشعرك أنه خلق فيها الجمال العقلي فكأنها كانت في الخِلقة ناقصة حتى أتمّها"[1]، فكلمة خلقة كسابقتها تمثل اسم الهيئة من الفعل خلق أيضا.

ج – والمصادر الصناعية.

المصدر الصناعي وهو أكثر الأبنية انتشارا، وهو مصدر يصاغ من الأسماء بطريقة قياسية للدلالة على الاتّصاف بالخصائص الموجودة في هذه الأسماء، "وهو يصاغ بزيادة ياء مشددة تليها تاء"،[2] مثل إنسانية وشرعية، وقد ورد (28) مرة، والأمثلة على استخدام هذا النوع من الأسماء كثيرة من ذلك قوله:" "وما كانت الشرائع الإلهية والوضعية إلا لإقرار العقل في شريعة الطبيعة كي تكون **إنسانية** لإنسانها كما هي **الحيوانية** لحيوانها"[3]، فالكلمتان (إنسانية، وحيوانية) مصدران صناعيان، وهو بهذا الاستخدام يريد إظهار الفرق بين الشرائع التي أنزلها الله تعالى من خلال الأنبياء والرسل، وتلك التي من وضع البشر.

يقول في موضع أخر:" فماذا بقي من تقليد أوروبا إلا الجدال في شرعية جمع المرأة بين الزوج وشبه الزوج"[4]، ونلاحظ أن مضمون الجملة يقوم على المصدر الصناعي فيها، وهو كلمة شرعية، فالمرأة الأوروربية تمارس كل الرذائل وتختلط بالرجال أيما اختلاط، فلم يبق إلا البحث عن الشرعية التي تمنحها المساواة بين الزوج الحقيقي وصديق الشارع الذي أسماه شبه الزوج.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (أمير الشعر في العصر القديم)، ص338.

[2] الراجحي: **التطبيق الصرفي**. ص73.

[3] الرافعي: **وحي القلم**، ج1. ص247.

[4] المرجع نفسه. ص250.

الخلاصة:

وخلاصة هذا المبحث أن المصدر الثلاثي كان له الحظّ الأوفر في الاستعمال، يليه المصدر فوق الثلاثي، أمّا بقية المصدر فقد وردت بنسب قليلة عند مقارنتها بهذين المصدرين كما في الجدول أدناه:

مصادر الثلاثي	مصادر فوق الثلاثي	المصدر الميمي	مصادر المرة والهيئة والصناعية	المجموع
916	249	30	28	1223

فمن خلال الجدول أعلاه نلاحظ أنّ مصدر الثلاثي وحده يفوق في الاستعمال المصادر الأخرى جميعها، والرسم البياني الآتي يوضح هذا الاستعمال:

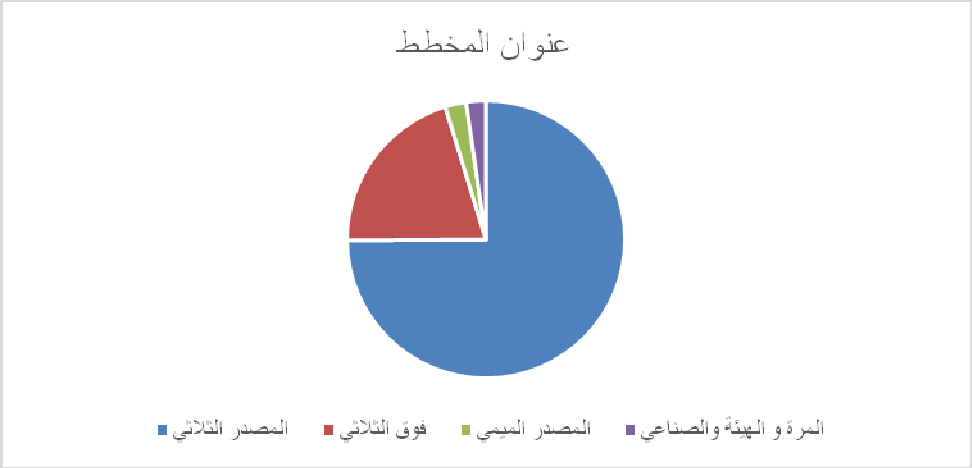

ثالثا: أَبنية المشتقّات.

إنّ من أبرز ما تمتاز به العربية سمة الاشتقاق؛ حيث تأخذ من الأصل فروعا مختلفة تلتقي في المعنى العام وتختلف في المدلول الخاصّ، وهو ما مكّنها من مواكبة التطور، فالاشتقاق يقوم في الأصل على صلات قربى بين المباني المختلفة، يقول تمام حسان:" تقوم بين الكلمات التي جاءت على صيغ مختلفة صلة رحم معينة قوامها اشتراك هذه الكلمات المختلفة الصيغ في أصول ثلاثة معينة، فتكون فاء الكلمة وعينها ولامها فيهن واحدة، وهذه الصلة تدرس في الصرف تحت اسم الاشتقاق".[1]

والحديث عن المشتقات ودورها معروض في كتب الصرفيين قديما وحديثا، فمن خلاله تمكن النحويون والصرفيون من معرفة الزائد من الأصل ومعرفة المجرد من المزيد، كما أنه وسع كلام العرب فتمكن الخطباء من التوسع في خطبهم، وتمكن الشعراء من التسلط على قوافيهم، وأسهم أيضا في تحديد أصالة الكلم، وكان سبيلا إلى معرفة الأصيل من الدخيل، فوجود سلسلة من المشتقات ينبئ بأصالة الكلمة في العربية، وغيرها من الفوائد الكثيرة، وما يهمّ في هذه الدراسة الأبنية التي جاءت عليها المشتقات في مقالات الرافعي، وتكرار كلّ منها في النماذج التي تمّ اختيارها ثم دراستها وتحليلها.

أ – **اسم الفاعل:** وفيما يأتي بيان للأوزان التي جاء عليها اسم الفاعل من الأفعال الثلاثية والأفعال الرباعية المجردة والمزيدة.

[1] – تمام، حسان:**اللغة العربية مبناها ومعناها**، ط3، القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1985م. ص166

جدول رقم (9)

أبنية اسم الفاعل وتكرارها، نماذج مختارة.[1]

البناء	التكرار	المثال
مفعِل	56	مُقنِع
فاعِل	212	راكِب
مفاعِل	9	مجاهد
مفعِّل	20	مؤلِّف
مفتعِل	18	ممتلئ
متفاعِل	5	متنافِس
متفعِّل	44	متقدِّم
منفعِل	7	منفرد
مستفعِل	6	مستيقن
متفعلِل	40	متلألئ
مفعِلّ	1	مطمئنّ
مفعلِل	5	مترجِم
المجموع	**387**	–

[1] النماذج المختارة لدراسة هذه المشتقات هي: تاريخ يتكلّم، فلسفة القصة، الإشراق الإلهي وفلسفة الإسلام، رؤيا في السماء، دموع من رسائل الطائشة، اجتلاء العيد، عرش الورد، المرأة والميراث، لو، المقتطف والمتنبي، أجنحة المدافع المصرية، محمد.

نلاحظ من خلال الجدول السابق أنّ الرافعي استخدم اسم الفاعل بكثرة، وقد جاء استخدامه من الفعل الثلاثي ومن فوق الثلاثي، وتبيّن لي أنّ استخدامه من الفعل الثلاثي فاق في عدده الأبواب الأخرى التي جاء منها اسم الفاعل جميعها؛ حيث ورد (212) مرة بنسبة (54,8%)، فيما ورد اسم الفاعل من باقي الأوزان (175) مرة بنسبة (45,2%)، حيث جاءت هذه النسبة موزعة في(11) أَحَدَ عَشَرَ وزنا من الثلاثي المزيد والرباعي المجرد والمزيد، كما أنّ اسم الفاعل عنده جاء حاملاً للدلالات الزمنية المختلفة؛ فهو يستخدمه للدلالة على الزمن الماضي والحاضر والمستقبل، وقد جاء دالاً على الثبوت بقلة في مواضع وعلى مجرِّد الحدث في مواضع كثيرة.

ومن هذا الاستخدام قوله: "وشتان بين قائل يتكلّم من الطبع، وسامع يفهم بالتكلّف"[1]، فاسما الفاعل (قائل وسامع) جاء اشتقاقهما من الأفعال المتعدية، وهو الغالب في بناء اسم الفاعل وخصوصا من الأفعال الثلاثية، ولم يقصد الرافعي بهما صفات ثابتة وإنما مجرد حصولهما ولو مرة واحدة، وقوله :" والشمس خلقها الله حاملة طابعه الإلهيّ"[2]، فكلمة حاملة اسم فاعل من الفعل حمل مفتوح العين ومضارعه يحمل وهو مكسور العين، وقد جاء من فعل متعدٍ أيضا.

ومن غير الثلاثي جاء اسم الفاعل على أوزان عدة، كان أكثرها انتشاراً بناء (مُفعِل) الذي يصاغ من مزيد الثلاثي بحرف واحد، وهو ما كان على زنة (أفعل)، وقد تكرر (56) مرة بنسبة (32%)، ومن أمثلته عنده قوله:" في حديثه عن الطاغية: وعاد كالمريد المنافق مع شيخ الطريقة"[3]، فكلمة المريد وهي على زنة (مفعِل) اسم فاعل من الفعل المتعدي أراد وهي لا تدلّ على الثبات، ونلاحظ في الجملة نفسها اسما آخر وهو (المنافق) على زنة (المفاعل) وقد جاء به من الفعل المزيد بحرف واحد بعد فاء الكلمة، وقد تكررت هذه الصيغة عند الرافعي تسع مرات، وهو هناء جاء من الفعل اللازم.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم**، ج1. ص213.

[2] المرجع نفسه، ج2. ص5.

[3] المرجع نفسه ، ج2. ص201.

وأقلّ هذه الأبنية استخداماً بناء مفعللّ من مزيد الرباعي بحرفين، حيث لم يرد سوى مرة واحدة، وهو اسم الفاعل "مطمئن" ويليه في قلة الاستخدام البناء متفعلل الذي تكرر أربع مرات فقط مثل "متلألئ" أي ما نسبته (2,3%) وهي نسبة ضئيلة جدا، يقول:" أيتها النجوم المتلألئة بالنور الدائم"[1]، فكلمة المتلألئة اسم فاعل من الفعل تلألأ وهي دالة على الثبات، وقد أخذ من فعل لازم، كما هو الغالب في بناء اسم الفاعل من فوق الثلاثي عند الرافعي.

نلاحظ من خلال الجدول ما يأتي:

1 – اسم الفاعل من الثلاثي جاء كثيرا من البناءين فَعَل يفعُل وفعَل يفعَل، فهو فيهما أكثر انتشارا من الأبواب الأخرى.

2 – أكثر أسماء الفاعلين من غير الثلاثي انتشارا في "وحي القلم" بناء مفعِل وهو بناء مزيد بحرف واحد. وأقلها بناء مفعللّ الذي لم يرد سوى مرة واحدة في كلمة مطمئنّ.

3 – ندرة استخدام اسم الفاعل من الأفعال الرباعية المجردة والمزيدة عند مقارنته بالفعل الثلاثي المجرد والمزيد.

4 – لم يستخدم جميع الأوزان التي يمكن أن يبنى عليها اسم الفاعل مثل اسم الفاعل من الأوزان افعوعل و افعالّ وافعولّ؛ لأنه يحرص على تناسق الألفاظ وعدم الوعورة في نطقها.

5 – دلّ اسم الفاعل كثيرا على مجرد الحدث ومن قام به، وفي بعض الاستخدامات جاء دالا على الثبات والاستمرارية.

6 – جاء اشتقاق اسم الفاعل من الأفعال الثلاثية المتعدية أكثر من اللازمة، بينما في الأفعال فوق الثلاثية غلب اشتقاقه من الأفعال اللازمة.

ب – الصفة المشبهة باسم الفاعل. تباينت آراء النحاة والصرفيين في مفهوم الصفة المشبهة؛ فمنهم من أدخل أبنية اسم الفاعل من الفعل اللازم عليها، ومنهم من أشار إلى غير ذلك، وأقف في هذه الدراسة عند بعض هذه الآراء حتى لا تطول، فابن عصفور عرفها بقوله :"كل صفة مأخوذة من فعل غير متعدٍّ"[2]، فهو بهذا المعنى يدخل اسم الفاعل من الفعل اللازم عليها ولم يشر إلى الثبوت فيها، بينما عرّفها ابن الحاجب بقوله :" ما اشتق من فعل لازم لمن قام به على معنى

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** ، ج1. ص26.

[2] – الإشبيلي ، أبو الحسن بن عصفور **شرح جمل الزجاجي** ،ج2، بيروت : دار الكتب العلمية 1998م،ص52

الثبوت"[1]، فهو بكلمة الثبوت يخرج اسم الفاعل لدلالته على من قام بالحدث ولو لمرة واحدة. وقد تبيّن لي بعد تفحص نماذج من مقالات الرافعي أنه استخدم الصفة المشبهة على أوزان محدودة، ولم يستخدم جميع الأوزان التي تشير إليها كتب الصرف، وهذه الأوزان التي استخدمها الرافعي أبينها من خلال الجدول الآتي:

جدول رقم (10)

أبنية الصفة المشبهة وتكرارها، نماذج مختارة.[2]

البناء	المثال	التكرار
فعيل	ضعيف	186
أفعل	أخضر	10
فعلاء	بيضاء	8
فَعْل	الضخم	23
فُعْل	حُرّ	8
فاعِل	طاهرة	48
فَعَل	بَطَل	5
فَعِل	الشرِه	10
فيعل	سيِّد	8
فَعول	نَفور	1

[1] – الاستراباذي ، **شرح الكافية في النحو** ،ج2 ،تحقيق: محمد نور الحق ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط3، 1975م. ص205

[2] وهي المشتقات التي أشرت إليها عند الحديث عن اسم الفاعل.

فعلان	يقظان	1
فُعلى	حُبلى	1
فِعْل	طِفْل	1
المجموع		**310**

يتضح من خلال الجدول أعلاه أنّ الرافعي كان مكثرا من استخدام الصفة المشبهة، إذ تكررت (310) مرات، وجاءت على ثلاثة عَشَرَ وزناً، وكان أكثرها استخداماً بناء (فعيل) الذي تكرر (186) مرة بنسبة (60%)، فهذا البناء وحد استحوذ على أكثر من نصف الصفات المشبهة المستخدمة في مقالات الرافعي، والأمثلة على استخدامه كثيرة جدا تطالعنا بها كلّ صفحة في مقالاته، ومن أمثلة استخدام هذه الصيغة عنده قوله: " أمسيت البارحة كالمغموم في أحوال ثقيلة على النفس"[1]، فكلمة ثقيلة وهي من الفعل اللازم (ثقل) مضموم العين، حيث جاء بناء الصفة المشبهة عنده كثيرا مما عينه مضمومة، وهذا يتّفق مع كلام الصرفيين، ويأتي هذا الوزن غالبا للدلالة على صفة ثابتة.[2]

وهناك تباين كبير في استخدام الأوزان المعروفة للصفة المشبهة، إذإن هناك أوزاناً لم ترد سوى مرة واحدة وهي (فعول) مثل نفور، و(فعلان) مثل يقظان، كما في قوله: وبناء فعلان كذلك جاء وروده قليلا حيث لم يتكرر سوى مرة واحدة من خلال كلمة (يقظان) الواردة في قوله: "وبات الليل يقظان معي، وبقيت متململا أتقلب"[3]، فيقظان صفة مشبهة تدلّ على الثبوت النسبي لا الاستمرارية المطلقة. و(فُعلى) مثل حُبلى، و(فِعل) مثل طفل.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم**، ج2. ص197.

[2] انظر: الراجحي: **التطبيق الصرفي**. ص81.

[3] الرافعي: **وحي القلم**، ج2. ص198.

الرافعي يحشد في جمله عددا من الصفات المشبهة أحيانا، من ذلك قوله: وأقبلت العذارى يتخطرن في الحرير الأبيض حاملات طاقات من الزئبق تراها عطِرة بيضاء ناضرة حية"[1]، فالكلمات العذارى جمع العذراء وهي على زنة (فعلاء)، وكلمة الأبيض وهي على زنة (أفعل) وعطِرة وهي على زنة (فعِلة) وكلمة ناضرة وهي على زنة (فاعلة) وكلمة حيّة وهي على زنة (فعْلة) كلها صفات مشبّهة، ولعلّ حشد هذا العدد من الصفات المشبهة يكون دليلا على كثرة انتشارها عنده. ومن خلال الجدول السابق نلاحظ ما يأتي:

1 – التباين الكبير في استعمال أوزان الصفات المشبهة؛ حيث وردت بعض الأوزان بنسب كبيرة جدا، في حين لم ترد بعض الأوزان سوى مرة واحدة.

2 – جاءت الصفة المشبهة عند الرافعي للحديث عن صفات ثابتة غالبا، سواء أكانت في الإنسان أم في غيره.

3 – أكثر الرافعي من ظاهرة الطباق والمقابلة في توظيف الصفات المشبهة، لإبراز الفكرة التي يدور حولها النصّ.

4 – الغالب في اشتقاق الصفة المشبهة من مضموم العين وخصوصا الأفعال الدالة على صفات حسية أو معنوية، أو هيئات وجد عليها من يتحدث عنه أو ما يتحدث عنه من المخلوقات.

ت – صيغ المبالغة.

وهي أسماء تشتق من الفعل الثلاثي اللازم أو المتعدي للدلالة على معنى اسم الفاعل، مع تأكيد المعنى وتقويته والمبالغة فيه.[2] وصيغة المبالغة لها أوزان خمسة مشهورة يبينها الصرفيون، ولها أوزان أخرى غير مشهورة، والذي يهمّ في هذه الدراسة التعرف إلى أبنيتها عند الرافعي، ومدى انتشارها في مقالاته، فبعد تفحصنا لهذه المقالات تبيَّن أنه استخدم بعضها ولم يستخدمها جميعا، وهذه الأبنية التي استخدمها أبينها من خلال الجدول الآتي.

---

[1] انظر: الراجحي: **التطبيق الصرفي**. ج1 ص33.

[2] يعقوب ، أميل بديع ، **معجم الأوزان الصرفية**، ط2، بيروت : عالم الكتب ، 1996م.ص128

جدول رقم (11)

أبنية صيغ المبالغة وتكرارها، نماذج مختارة.[1]

البناء	فعيل	فعّال	فَعِل	مفعال	مِفعيل	فعلان	فعِّيل	المجموع
المثال	فقيه	جذّابة	حذِر	مثقال	مسكين	الرحمن	سكّير	–
التكرار	17	13	9	4	2	1	1	47

نلاحظ من خلال الجدول أن صيغ المبالغة تكررت عند الرافعي (47) مرة، وقد جاءت على سبعة مبانٍ، وأكثر هذه الأبنية انتشاراً صيغة (فعيل) التي تكررت سبع عشرة مرة بنسبة (36,2%)، ومن أمثلتها قوله :"لمّا ماتت امرأة شيخنا أبي ربيعة الفقيه الصوفي"[2]، فكلمة فقيه بلا شك تدلّ على كثرة الفقه وهي من الفعل (فقه)، وهي من مضموم العين في الماضي، وأقلّ الأوزان استخداماً البناءان (فعّيل وفعلان)، حيث تكرر كلّ منهما مرة واحدة فقط، وذلك في قوله: "وهل يعجب السكّير شيء أو يرضيه أو يلذه كما يعجبه أن يرى الناس كلهم سكارى"[3]، فكلمة السكّير تمثّل هذا البناء، وهي من الفعل اللازم سكر، وقد جاءت للدلالة على كثرة السكر والمبالغة فيه، وهي من الأوزان غير المشهورة لصيغة المبالغة. وأمّا بناء فعلان فقد ورد في قوله:" لقد تطاول المجنون إلى الألوهية فادّعاها، وصار يكتب عن نفسه باسم الحاكم الرحمن"[4]، فالرحمن صيغة مبالغة تدلّ على المبالغة في الرحمة وهي تختصّ بالله عزّ وجلّ لأنّه لا أحد أرحم منه جلّ في علاه، وهي من الفعل المتعدي (رحم).

---

[1] وهي النماذج المختارة لدراسة اسم الفاعل في الجدول السابق.

[2] الرافعي: **وحي القلم**، ج1. ص213.

[3] المرجع نفسه ، ج2. ص203.

[4] المرجع نفسه، ج2. ص205.

ث – اسم المفعول.

وهو اسم مشتقّ يدلّ على من وقع عليه الحدث، وقد عبّر عن هذا المعنى ابن هشام بقوله :" هو ما اشتُقّ من فعل لمن وقع عليه[1]. وبعد تفحصنا لاسم المفعول عند الرافعي تبيّن أنه جاء به من الفعل الثلاثي ومن غير الثلاثي، أمّا بناؤه من الفعل الثلاثي فقد جاء به من الأفعال الصحيحة والمعتلة، بنسب متفاوتة نبينها من خلال الجدول الآتي:

جدول رقم (12)

أبنية اسم المفعول وتكرارها، نماذج مختارة[2].

البناء	مفعول	فعيل	مفعّل	مُفعَل	مفتَعل	مستفعل	مفاعل	منفعَل	المجموع
المثال	ممدود	الحبيب	مقيَّد	مُنكرَة	ممتدّ	مستراب	مضاعفَة	منحطّة	–
التكرار	64	12	37	7	20	3	2	1	146

من خلال الجدول يتضح أنّ الرافعي استخدم اسم المفعول من الفعل الثلاثي ومن فوق الثلاثي، لكنه جاء من الثلاثي بنسبة أعلى، إذ تكرّر (76) مرة أي ما نسبته (52%)؛ إذجاء في (64) موضعا على زنة مفعول بنسبة (43,8%)، وفي (12) اثني عشر موضعا على زنة (فعيل) بنسبة (8,2%) من استخدامات اسم المفعول، وقد جاء به من الأفعال الصحيحة والمعتلة بنسب متفاوتة، ومن الأمثلة على استخدامه من الفعل الثلاثي على زنة مفعول قوله في حديثه عن أبي خالد وصديقه يقول: وتواثقا أن يعيشا في عمر هو ساعة معدودة اللحظات، وحياة هي فكرة مرسومة مصوّرة"[3]، فالكلمتان (معدودة ومرسومة) اسما مفعول: الأول من الفعل الصحيح الثلاثي المض عّف(عدّ)، والثانية من الصحيح السالم (رسم)، وكلاهما متعدّ وهو الغالب في بناء اسم المفعول، وإلا اتّصل بشبه جملة توضّحه.

---

[1] – ابن هشام ، **شرح شذور الذهب**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،د.ت، ص396

[2] وهي النماذج المختارة لدراسة أبنية اسم الفاعل.

[3] الرافعي: **وحي القلم**، ج1. ص215.

ومن أمثلة اشتقاقه من الثلاثي قوله:" ثم يُخلق رجل واحد ليكون هو التفسير لما مضى وما يأتي، فتظهر به حقائق الآداب العالية في قالب من الإنسان العامل المرئيّ، أبلغ مما تظهر في قصة متكلّمة مرويّة"[1]، فالكلمتان (مرئيّ ومرويّة) اسما مفعول الأول من الفعل الناقص رأى والثاني من اللفيف المقرون روى.

أمّا من فوق الثلاثي فقد تكرّر (70) مرة بنسبة (48%)، وقد جاء على سبع صيغ، وقد كانت الصيغة الأكثر انتشاراً صيغة (مُفعّل)، وهي مشتقة من مزيد الثلاثي بحرف واحد وهو تضعيف عين الكلمة، حيث ورد من هذه الصيغة (37) مرة وهو ما نسبته (25,3%) من استخداماته كلها، وأمثلتها كثيرة منها قوله في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلّم :"كما تطلع الشمس بأنوارها فتفجّر ينبوع الضوء المسمّى النهار، يولد النبي صلى الله عليه وسلم فيوجد في الإنسانية ينبوع النور المسمّى بالدين"[2]، فكلمة المسمّى المتكررة مرتين جاء مثالا على هذه الصيغة.

وأقلّ هذه الصيغ استخداماً صيغة (منفَعَل) التي تشتقّ من مزيد الثلاثي بالهمزة والنون، وقد وردت مرة واحدة فقط،وذلك في كلمة (منحطّة)، تليها في قلة الاستخدام صيغة (مفاعَلَة) التي وردت عنده مرتين فقط، ومن أمثلة استخدامه لها قوله: "وقلت لنفسي: ويحك يا أبا خالد! ما أراك إلا محاسَباً على حسناتك كما يحاسَب المذنبون على سيئاتهم"[3]، فكلمة محاسب اسم مفعول من الفعل حاسب، وتدلّ على من وقع عليه الحدث. وأمّا صيغة (مفعّل) فقد وردت سبع مرات بنسبة (4,8%)، وهي تشتقّ من مزيد الثلاثي بحرف واحد وهو الهمزة في أولّه.

ج – اسم التفضيل.

وهو من أكثر المشتقات انتشاراً بعد الصفة المشبهة واسم الفاعل عند الرافعي، إذ تكرر(153) مرة، وجاء استخدامه مذكرا ومؤنثا، كما استخدمه الرافعي في الإفراد والجمع، وقد

---

[1] الرافعي: **وحي القلم**، ج2. ص6.

[2] المرجع نفسه ،ج2. ص5.

[3] المرجع نفسه ،ج1. ص218.

جاء اشتقاقه بطريقة مباشرة عنده، أي أنه اشتق من الأفعال التي توافرت فيها شروط صياغة اسم التفضيل بطريقة مباشرة على زنة أفعل[1]. وقد جاء اسم التفضيل في الحالات التي تشير إليها كتب الصرفيين، وهي أربع حالات،[2] أعرضها من خلال الأمثلة، وهي كما يأتي:

1- أن يكون اسم التفضيل معرّفا: فإذا جاء اسم التفضيل معرفة فإنه يجب أن يطابق ما قبله في التذكير والتأنيث وفي الإفراد والتثنية والجمع، يقول الرافعي: "هؤلاء الحكماء الذين يشبه كلّ منهم أدم أول مجيئه إلى الدنيا ... حكمتهم العليا: أنّ الفكر السامي هو جعل السرور فكرا وإظهاره في العمل"،[3] وهو بهذا الاستخدام لاسم التفضيل يظهر الحكمة التي يمتاز بها الحكماء، فهي لا نظير لها عندهم لأن أصحابها لا نظير لهم فيما يصوغونه من قوالب حكمهم التي تجري على ألسنتهم، وكلمة العليا اسم تفضيل وقد جاءت معرفة بأل لذا طابقت ما قبلها في العدد والجنس ولأن ما قبلها مؤنث وهي كلمة حكمة جاءت كلمة العليا بهذه الصورة،

2- أن يكون مضافا إلى معرفة: إذا جاء اسم التفضيل مضافا إلى معرفة جاز فيه وجهان: إمّا أن يطابق ما قبله في العدد والجنس، وإمّا أن يكون مفردا مذكراً، يقول الرافعي: "فالطفل يقلب عينيه في نساء كثيرات، ولكنّ أمّه هي أجملهن وإن كانت شوهاء".[4] فاسم التفضيل أجملهن جاء مضافا إلى معرفة، وهنا يجوز فيه الوجهان، وقد جاء في هذه الجملة مفردا مذكراً، يقول في موضع آخر عن نفس النبي محمد صلى الله عليه وسلم: "فهي في مجموعها – أي نفس محمد صلى الله عليه وسلم- أبلغ الأنفس قاطبة"[5]، وهذه الحالة كسابقتها جاء اسم التفضيل مفردا مذكرا رغم أنّ ما قبله مؤنث وهي كلمة (نفس)، وهو يدلل من خلالها على عظمة النبي -صلى الله عليه وسلم- وما امتاز به على سائر البشر أجمعين، إذ يفوقهم جميعا فيما منّ الله تعالى به عليه -صلى الله عليه وسلم- من البلاغة والفصاحة.

---

[1] ينظر: شعبان، صلاح: **تصريف الأسماء والأفعال**. ص42 – 43.

[2] ينظر: الراجحي: **التطبيق الصرفي**. ص95 – 96.

[3] الرافعي: **وحي القلم**، ج1. ص25.

[4] المصدر نفسه ،ج1. ص25.

[5] المصدر نفسه، ج2. ص6.

3- أن يكون نكرة غير مضاف وبعده حرف الجرّ من: فإذا جاء اسم التفضيل نكرة غير مضافة كان الغالب فيه أن يأتي بعده حرف الجر من أو تمييز، وفي هذه الحالة يجب أن يكون اسم التفضيل مفردا مذكر دائما أي أنّه لا يطابق المفضّل، ومن ذلك قول الرافعي: "ويخيّل إليّ أني أفصح من نطق بآه!" [1]، فاسم التفضيل (أفصح) مفرد مذكر حتما في هذه الحالة لأنه نكرة كما تقول القاعدة الصرفية، ولا يخفى ما في هذا التعبير الموجز من معاني الحسرة والألم عند الرافعي إذ يبثّ هذا الهم معتمدا على اسم التفضيل. ومن أمثلة اسم التفضيل النكرة متبوعا بتمييز قوله: "ويجيء النبيّ فتجيء الحقيقة الإلهية معه في مثل بلاغة الفن البياني لتكون أقوى أثرا وأيسر فهما وأبدع تمثيلاً"،[2] فالكلمات أقوى وأيسر وأبدع كلها أسماء تفضيل، فهو يحشد هذه الأسماء لإظهار عظمة النبي –صلى الله عليه– في تحقيق الرسالة التي أنيطت به، وقد جاءت أسماء التفضيل هنا نكرة غير مضافة وجاء بعدها تمييز منصوب، ،وهي جميعا واجبة الإفراد والتذكير.

4- أن يكون نكرة مضافا إلى نكرة: وإذا جاء اسم التفضيل نكرة مضافا إلى نكرة التزم الإفراد والتذكير مهما كان المفضّل، ومن ذلك قول الرافعي: "فقبيح بنا أن نتعلق أدنى متعلق بنواميس هذا الكون اللحمي الذي يسمّى المرأة فهو تدلّ وإسفاف منّا"،[3]فاسم التفضيل (أدنى) جاء نكرة وقد أضيف إلى نكرة وهنا يجب أن يكون مفردا مذكرا مهما كان المفضل، واللافت أنه أضاف اسم التفضيل إلى المصدر الميمي للفعل وهذا يظهر دقة الرافعي في تعبيره، فمهما كان مقدار التعلق فإنه لا يليق بنا وإن كان مثقال ذرة أو ما سواه.

هذه أحكام اسم التفضيل التي تبيّنها كتب الصرف[4]، استخدمها الرافعي جميعا دونما خروج عن الأصل الذي تفصله ، وكان الغالب في استعمال اسم التفضيل عنده أن يكون مفردا مذكرا.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم**، ج1. ص170.

[2] المرجع نفسه ،ج1. ص5.

[3] المرجع نفسه، ج1. ص214.

[4] ينظر: الراجحي: **التطبيق الصرفي**. ص95 – 96.

ح – أبنية اسمي الزمان والمكان.

وهما يشتقان من الفعل الثلاثي ومن غير الثلاثي، كما أن اسم المكان يأتي من الاسم الجامد أحيانا،[1] وقد تزاد التاء في آخرهما، وهما من الفعل الثلاثي علو زنة مفعل غالبا، ومن غير الثلاثي على زنة اسم المفعول،[2] وما يهمّنا هو استخدام الرافعي لهذين النوعين من المشتقات، فبعد تفحصنا لمقالات الرافعي تبيّن أنه استخدمه على هذه الأوزان، وكلّ ما أورده الرافعي في مقالاته من أسماء الزمان والمكان يؤيد ما أقره الصرفيون في كتبهم، والجدول الآتي يوضّح استخدامه له ، ويبين عدد مرات كل مبنى من هذه المباني.

جدول رقم (13)

أبنية أسماء الزمان والمكان، نماذج مختارة[3].

البناء	مفعَل	مفعِل	مفعلة	مفتعل	مستفعَل	**المجموع**
المثال	محلّ	موقِف	مدرسة	مجتمع	مستقبَل	–
التكرار	24	8	10	1	1	**44**

من خلال الجدول السابق يتضح أنّ أسماء الزمان والمكان جاءت قليلة الانتشار مقارنة بالمشتقات الأخرى، كاسم الفاعل والصفة المشبهة، فقد أورد الرافعي هذين المشتقين (44) مرة وكان الغالب فيها اشتقاقهما من الفعل الثلاثي، حيث لم يردا من فوق الثلاثي سوى مرتين فقط.

وأكثر الأبنية انتشاراً لاسم الزمان والمكان ما جاء على زنة مفعَل بفتح العين، "وهو قياس مطّرد لكل فعل ثلاثي ما لم يكنْ أجوف يائيا أو مثالا واويا أو مكسور عين المضارع"،[4] وقد ورد هذا البناء (24) مرة بنسبة (54,4%)، وأمّا البناء (مفعِل) بكسر العين فهو لا يشتق إلا من

---

[1] – انظر: عبده الراجحي ، **التطبيق الصرفي**، ص85

[2] انظر: شعبان، صلاح: **تصريف الأسماء والأفعال**. ص 50

[3] وهي النماذج التي تمّ اختيارها لدراسة المشتقات في الجداول السابقة.

[4] ينظر: الراجحي: **التطبيق الصرفي**، ص85 – 86.

الأجوف اليائي والمثال الواوي والصحيح مكسور العين في المضارع، وقد ورد ثماني مرات بنسبة (18,2%)، ومن الأمثلة على استخدام هذين المبنيين قوله: " إنَّ المرأة ولو كانت صالحة قانتة فهي في منزل الرجل العابد مدخَل الشيطان إليه"[1]، فالكلمتان (منزِل ومدخَل) اسما مكان الأولى من الفعل (نزل ينزل)، وواضح أنّ هذه الكلمة تنسجم مع دلالات الاستقرار والثبات والأمن والسكينة غالبا، وهو ما تثبته الأمثلة التي وردت فيها هذه الكلمة، أما مدخل فهو اسم مكان من الفعل (دخل يدخل) وهو كما نرى مضموم العين في المضارع لذا جاء على زنة مفعَل بفتح العين.

وقد يأتي اسم المكان على زنة (مفعِل) من صحيح العين المضمومة أو المفتوحة على غير قياس، ويكون هذا في بعض الأسماء وقد ذكرت كتب الصرفيين عددا منها، والرافعي استخدمها دونما تغيير، يقول:"وعقد فوق هذا العرش تاج كبير من الورد النادر كأنما نزع عن مفرِق ملك الزمن الربيعي"، فكلمة مفرِق اسم مكان من الفعل فرق، وهو مضموم العين في المضارع وعينه حرف صحيح، حيث جاء على زنة (مفعِل) بكسر العين مع أنّ القياس أن يكون على زنة (مفعل) بفتحها إلا أن هذه الكلمات من الكلمات الشاذة كما يقول الصرفيون.

أمّا من فوق الثلاثي فقد جاء على مبنيين وهما (مفتعل) ومثالها كلمة (مجتمع) و(مستفعل) ومثالها كلمة (مستقبل) وهي اسم زمان، إذ وردا مرة واحدة لكل مبنى منهما، وبناء مفعلة المزيد بالتاء المربوطة قد تكرر عشر مرات بنسبة (22,7%)، ومن أمثلة هذه الصيغة عنده قوله:"فالقصة من هذه الناحية مدرسة لها قانون مسنون وطريقة في العلم والفضيلة"[2]، فكلمة مدرسة اسم مكان لم يكن اختيارها عبثا بل إنّ العودة إالى النص الذي وردت فيه هذه الكلمة تكشف لنا استخدامه كلمات مثل التربية والأطفال وغيرها وهو ما يسوغ استعمال هذا البناء عنده، وقد جاءت مختومة بالتاء المزيدة للتأنيث على زنة (مفعلة) وهو ما عليه بعض أسماء

[1] الرافعي: **وحي القلم**، ج1. ص214.

[2] المرجع نفسه ، ج3. ص243.

الأماكن مثل مدبغة ومطبعة، إذ تستخدم العربية بعض أسماء الأزمنة والأمكنة مختومة بالتاء المربوطة مثل كلمة مطبعة ومصبغة[1].

خ – اسم الآلة.

اسم الآلة هو "اسم يشتقّ من الفعل للدلالة على الآلة، وهو لا يشتقّ إلا من الفعل الثلاثي المتعدّي"[2]. لكن ما يهمنا في هذه الدراسة أسماء الآلة التي استخدمها الرافعي في مقالاته، إذ تبيَّن لي بعد دراسة هذه المقالات أنّه استخدم بعض أوزان هذا المشتقّ ولم يستخدمها جميعا، والجدول الآتي يبيّن أوزان اسم الآلة وانتشارها.

جدول رقم (14)

أبنية اسم الآلة، نماذج مختارة[3].

البناء	مِفعَل	فعّالة	فَعْل	فَعَلَة	فِعال	مِفعلَة	مِفعال	فاعول	فِعالة	**المجموع**
المثال	مِدفَع	طيّارة	سيف	أداة	سِلاح	مِكواة	مصباح	فانوس	قِلادة	
التكرار	8	9	4	5	2	2	4	1	1	**36**

يتضح من الجدول السابق أن أقلّ المشتقات استخداماً عند الرافعي اسم الآلة، إذ لم يرد إلا (36) مرة موزعة على تسعة أبنية، وليست هناك دلالات جمالية وبلاغية لاسم الألة، بل إن استخدامه جاء عفويا وقليلا في بعض المقالات، وكان أكثر هذه الأبنية انتشاراً مبنى (فعّالة) حيث تكرّر تسع مرات بنسبة (25%)، يقول متفاخرا بمجد بلده عندما أقلعت طائراته في الجوّ:"ابتدرتْ إلى مجدِ الموت الطيارة المصرية الأولى"[4]، فكلمة طيارة على زنة (فعّالة) وإن

[1] ينظر: الحملاوي: **شذا العرف في فن الصرف**. ص133.

[2] – عبده الراجحي ، **التطبيق الصرفي**، ص88

[3] وهي النماذج المختارة في باقي المشتقات.

[4] الرافعي: **وحي القلم** ، ج2. ص243.

كان البناء على زنة فاعلة أكثر استخداما لهذه الكلمة وهو كلمة (طائرة)، إلا أنّ الرافعي لم يستخدم إلا كلمة طيّارة.

وأقلّ هذه الأبنية انتشارا البناءان (فاعول وفِعالة بكسر الفاء)، حيث ورد كل منهما مرة واحدة، يقول في حديثه عن مصر وأجنحتها مخاطبا مصر: "استقبلي عصرك الجديد بآذان المسجد ودقّ الناقوس ليباركه الله"، فكلمة الناقوس اسم آلة على زنة (فاعول) وهي من الأوزان الستة الشائعة لاسم الآلة.

خلاصة

وخلاصة هذا المبحث أنّ الرافعي استعمل المشتقات بصورة لافتة، لكن استعماله لهذه المشتقات جاء متباينا بين مشتق وآخر، والجدول الآتي يوضح ذلك:

اسم الفاعل	اسم المفعول	صيغ المبالغة	الصفة المشبهة	اسم التفضيل	الزمان والمكان	اسم الآلة	المجموع
387	146	47	310	153	44	36	1123

من خلال الجدول نلاحظ أن اسم الفاعل هو الأكثر استعمالا، يليه الصفة المشبهة، ثم اسم التفضيل فاسم المفعول بنسبة متقاربة، وأقل هذه المشتقات استعمالا اسم الآلة، يليها أسماء الزمان والمكان، ثم صيغ المبالغة، وفق التمثيل البياني الآتي:

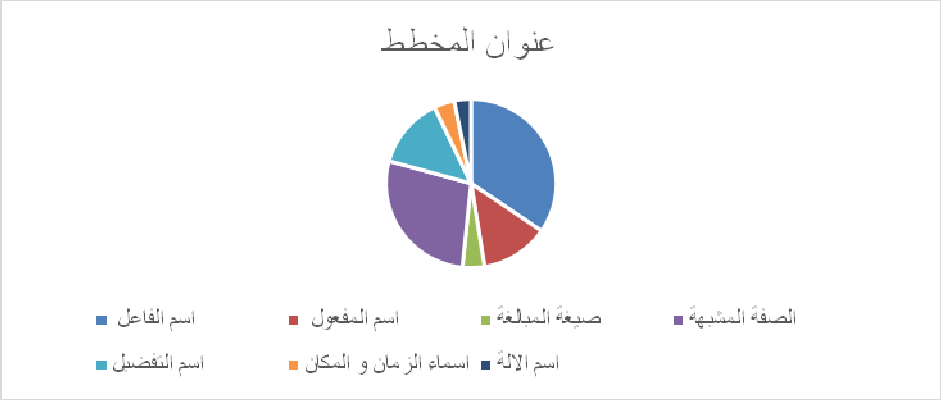

رابعا: أبنية جموع التكسير.

"جمع التكسير ما يدلّ على ثلاثة فأكثر، مع تغير ضروري يحدث لمفرده عند الجمع؛ فهذا الجمع لا تسلم صورة مفرده، بل لا بدّ أن يكسر أي يحدث فيه تغيير".[1] وهذا ما وضّحه ابن هشام بقوله: " هو ما تغيرت فيه صيغة الواحد، إمّا بزيادة كصنو وصنوان، أو بنقص كتخمة وتَخَم، أو بتبديل شكل كأَسَد وكأُسْد، أو بزيادة وتبديل شكل كرجل ورجال، أو بنقص وتبديل شكل كرسول ورسل، أو بهنّ كغلمان[2]، وفيما يأتي بيان لجموع التكسير وأنواعها التي تفصلها كتب الصرفيين.

أ – جمع التكسير من حيث الدلالة على عدد معين. وقد قسمه الصرفيون قسمين: قسم يدل على عدد ويتراوح من ثلاثة إلى عشرة واسموه جمع القلة، وقسم يدلّ على أكثر من ذلك وهو ما أسموه جمع الكثرة.[3]

– القسم الأول : أبنية جمع القلة، استخدم الرافعي في مقالاته أوزان الجموع التي يقول الصرفيون إنها تدلّ على القلة بنسب متفاوتة، وإن كانت هذه الأوزان في مواطن عدة ليست للدلالة على القلة كما سأبيّنه في مواضعه، والجدول الأتي يوضح استخدام الرافعي لأوزان هذه الجموع.

جدول رقم (15)

أبنية جموع القلة، نماذج مختارة.[4]

البناء	أفعال	أفعُل	أفعِلة	فِعلة	المجموع
المثال	أعناق	أعيُن	ألسِنة	صبية	–
التكرار	241	12	13	1	267

[1] عبده الراجحي، **التطبيق الصرفي**، ص113.

[2] ابن هشام: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، ج4، ص307

[3] – ينظر: الراجحي: **التطبيق الصرفي** . ص113 –115.

[4] وهي النماذج نفسها التي تمّ اختيارها لدراسة المشتقات.

نلاحظ من خلال الجدول أن الأوزان الدالّة على جمع القلّة جاءت أكثر في عددها من جموع الكثرة رغم أن جموع القلة أربعة أوزان فقط، والسبب أن الرافعي لم يستخدم البناء (أفعال) للدلالة على القلة دائما، وإنّما كان السبب أنّ كثيراً من الكلمات تجمع على هذه الصيغة. وقد وردت الكلمات على أوزان جموع القلة (276) مرة، لكن الساقات تظهر دلالتها على الكثرة في مواطن كثيرة، وهذا ما نجد تفسيره عند الدكتورعمر رشيد شاكر إذ يقول:"إنّ جموع التكسير لا تصنف إلى قلة وكثرة، بل إنها تدلّ على القليل والكثير، والذي يميز دلالتها على هذا أو ذاك هو السياق أو ما يتضمنه من قرائن تعين إحدى الدلالتين دون الأخرى"[1].

استحوذ بناء (أفعال) على العدد الأكبر بين الأوزان الدالة على القلّة، حيث تكرر وحده (241) مرة وهو ما نسبته (90,3%)، وربّما نجده في تركيب واحد يكرر هذا البناء غير مرة يقول: "فالأنوار نساء، والنساء أنوار والأزهار أنوار ونساء"[2]، ونحن نلاحظ في هذا التركيب الموجز تكرار صيغة (أفعال) أربع مرات حيث تكررت كلمة الأنوار ثلاثا وكلمة الأزهار مرة واحدة، والواضح أنّه لم يستخدم هذا البناء للدلالة على القلة، لأنّ كلمة أنوار وهي جمع لكلمة نور لم يعهد لها جمع آخر، وأمّا كلمة الأزهار فإنّ بإمكانه أن يستعيض عنها بكلمة (زهر) أو (زهور) لكنه بهذا البناء يحافظ على موسيقى الجملة، ولعلّ هذا سبب آخر يفسّر كثرة انتشار بناء (أفعال) بهذا العدد الهائل عند الرافعي.

أمّا بناء (فِعلة) فلم يرد سوى مرة واحدة، وقد جاء هذا الاستخدام في قوله:"يخلع الأب المسكين ثوبه على صبية ليدفئهم به، ويتلقّى بجلده البرد في الليل"[3]، أمّا هذا الاستخدام فواضح أنّه للدلالة على القلة، فمن الأب الذي عنده أكثر من عشرة صبية؟ ثمّ أي ملابس يرتديها أحد الآباء تكفي لأكثر من هذا العدد؟ وبالاطّلاع على مقالات الرافعي المختارة لم أجد استخداما غير هذا الاستخدام عنده.

---

[1] شاكر، عمر رشيد: **دلالة جموع القلة في الدرس اللغوي العربي**، مجلة أداب الفراهيدي، جامعة تكريت العراق ، ص(192 – 276)، ع11،حزيران 2012م. ص263.

[2] الرافعي: **وحي القلم**، ج1. ص32.

[3] المرجع نفسه ، ج1. ص218.

ويأتي بناء (أفعلة) في المرتبة الثانية من حيث الانتشار، إذ استخدمه الرافعي ثلاث عشرة (13) مرة بنسبة (4,9%)، يقول: "كانت جلوة العروس كأنّها تصنيف من علم، توافت عليه أخيلة السعادة"[1]، فكلمة أخيلة وهي جمع خيال جاءت على هذا الوزن ولم يكن المقصود بها العدد القليل، لأنّ هذا يميت المعنى الذي يقصده، ولا سيّما من خلال الفعل توافت، والحديث عن السعادة يحتاج إلى كثرة وليس قلة، لكن الرافعي كان يستخدم هذه الأوزان أحيانا لأنها أقرب إلى الاستخدام الشائع، وإلا كان بإمكانه أن يقول خيالات، إذ تبيح العربية هذا البناء.

ولا يبتعد عن بناء (أفعلة) في الاستخدام بناء (أفعُل) الذي تكرّر اثنتي عشرة (12) مرة بنسبة (4,5%)، يقول الرافعي موظّفا هذه الصيغة في حديثه عن الأطفال في العيد: "ويلقون أنفسهم على العالم المنظور فيبنون كل شيء على الحبّ الخالص واللهو الخالص"[2]، فكلمة أنفس تمثل أحد أوزان جموع القلة وهو بناء (أفعل)، وهذا الاستخدام لا يختلف كثيرا عمّا سبق، فليس المقصود به العدد القليل، فأطفال العيد لا يمكن أن يكونوا بهذا العدد، وإنّما استخدمه الرافعي وكان بإمكانه أن يأتي بكلمة نفوس، لكن يبدو أنّ دوران هذه الكلمة عنده أكثر من البناء على زنة فعول. وخلاصة القول نلاحظ أن بناء (أفعال) أكثر انتشارا من غيره عند مقارنته بجموع القلة المستخدمة عند الرافعي، ولعلّ السبب في ذلك أن هذا البناء يأتي من أبواب مختلفة في صيغة المفرد.

– القسم الثاني : جموع الكثرة، وهي تدلّ على عدد لا يقلّ عن ثلاثة ويزيد على عشرة[3]، ولها أوزان كثيرة جدا، منها ما يتعلق بالأسماء ومنها ما يتعلق بالصفات. ولم يستخدمها الرافعي جميعا في مقالاته، وفيما يأتي بيان لهذه الأوزان التي استخدمها الرافعي، أبينها من خلال الجدول رقم (18)، ولا بدّ من الإشارة إلى أنني استثني صيغ منتهى الجموع التي أفردت لها مبحثا مستقلا فيما سيأتي.

---

[1] الرافعي: وحي القلم ، ج1. ص32

[2] المرجع نفسه ، ج1. ص24.

[3] الراجحي : **التطبيق الصرفي** ، ص115

جدول رقم (16)

أبنية جموع الكثرة، نماذج مختارة.[1]

البناء	المثال	التكرار
فعُول	نفوس	74
فِعال	رِجال	41
فُعَلاء	أدباء	23
فُعّال	ضبّاط	13
فِعَل	جِيف	3
فِعلان	غلمان	5
فعائلة	ملائكة	4
فُعُل	كتُب	9
أعفال	آراء	3
فُعَلَة	طغاة	2
فعالى	سكارى	1
فعيل	عبيد	3
فُعْل	دور	2
المجموع		**183**

البناء	المثال	التكرار
فِعالة	حِجارة	1
فُعَل	صُوَر	4
أفعِل	أيدي	7
فعالى	بقايا	3
فَعَلَة	السَحَرَة	3
فَعْل	خلق	21
فَعلى	شتى	4
فَعال	شباب	14
فُعال	اللّباب	2
فُعلان	شبان	3
فِعْل	بيض	1
أفاعلة	أساتذة	2
فعاللة	فلاسفة	4
المجموع		**69**

[1] النماذج المختارة لدراسة المشتقات.

بالنظر إلى قسمي الجدول أعلاه يتبين أن الرافعي استخدم جموع الكثرة بأوزان كثيرة بلغت ستة وعشرين وزنا، وقد جاءت الكلمات التي جمعت للدلالة على الكثرة بنسب متفاوتة بين مبنى وآخر، إذ إن العدد الكلي لهذه الجموع (252) جمعاً، وعند المقارنة بين استخدام الرافعي لأوزان جموع الكثرة وأوزان جموع القلة نجد أنّه استخدم جمع القلة على زنة (أفعال) وحدها بنسبة تقترب كثيرا من جموع الكثرة كلّها بأوزانها البالغة ستة وعشرين وزنا.

وأبنية جموع الكثرة عند الرافعي كثيرة جدا؛ وأكثرها انتشارا مبنى (فُعول)، حيث تكرّر (74) مرة بنسبة (29,4%)، يقول:"العامل الإلهي العظيم يعمل في نظام النفس والأرض بأداتين متشابهتين أجرام النور من الشموس والكواكب، وأجرام العقل من الرسل والأنبياء"[1]، فكلمة الشموس وهي على زنة فعول تمثل هذا الجمع، وبالعودة إلى النص الذي ورد فيه هذا التركيب يتضح أن كلمة الشموس تكررت قبلها كلمة الشمس ثلاث مرات وهذا ينسجم مع العنوان الذي جاءت فيه وهو "الإشراق الإلهي وفلسفة الإسلام"، وبالنظر في الجملة نجد فيها جموعا أخرى دالّة على الكثرة، فكلمة (الرسل) وهي على زنة (فعل) بضمتين متتاليتين تمثل أحد هذه الجموع أو الصيغ، وقد تكرر ورودها عند الرافعي تسع (9) مرات بنسبة (3,6%) فقط.، ومن أمثلة استخدامه صيغة فعول أيضا قوله:"وكنت أرى الهموم بمواساتك هموما في صُورها المخففة"[2]، فكلمة (الهموم) المتكررة تمثل هذا المبنى، ونلاحظ في الجملة مبنى (فُعَل) بضمّ الفاء وفتح العين ممثلا بكلمة (صور)، إذ تكرر هذا البناء عند الرافعي أربع مرات فقط أي ما نسبته (1,6%) من مجموع أوزان جموع الكثرة فقط.

يأتي بعد مبنى (فعول) في كثرة الانتشار مبنى (فعال)الوارد (41) مرة بنسبة (16,3%)، ومثال ذلك قوله:" أخذتني عيني واستثقلت كأنما شُدِدتُ شداً بحبال من النوم لم يجيء من يقطعها"[3]، فكلمة حبال جمع دالّ على الكثرة، وقد جاء بها هنا للدلالة على شدة الاستغراق في نومه، فلم تكن هذه الحبال قليلة بل كانت كثيرة العدد. وإذا تدبرنا النص الذي ورد

---

[1] الرافعي: **وحي القلم**،ج2. ص5.

[2] المرجع نفسه ،ج1. ص213.

[3] المرجع نفسه، ج1. ص216.

فيه هذا التركيب نجد أن ثمة أسبابا كانت وراء هذا النوم الشديد كنوم صديقه، والتفكير المكثف الطويل، والذهاب والمجيء كل هذه أسباب أدت إلى النوم الذي شبهه بحبال تشدّ عينيه.

وأقلّ هذه الأوزان استخداماً (فُعالى بضمّ الفاء وفِعالة بكسر الفاء وفِعْل بكسر الفاء أيضا)، حيث لم يرد عند الرافعي سوى مثال واحد لكلّ منها، وهي الكلمات (سكارى، وحجارة، وبيض) على الترتيب. أمّا بناء (فعلان) بكسر الفاء فقد ورد بنسبة (2%) وهي نسبة قليلة، ومن الأمثلة على استخدامها له قوله :" "فنحن كذلك وِلدان يتخللون الجمع الحاشد عليهم مناديل من نور"[1]، فكلمة ولدان جمع جاء على زنة فِعلان وهو من جموع الكثرة أيضا.

ب – صيغ منتهى الجموع.

هناك ألفاظ تدل على الجمع إلا أنّ ليس لها نظير في المفرد، وتسمّى منتهى الجموع، وهو كلّ جمع كان فيه ألف زائدة بعدها حرفان متحركان أو ثلاثة أوسطها ساكن، وله أكثر من ثلاثين وزنا.[2] وهذه الأوزان الكثيرة لم يستخدمها الرافعي جميعا، وإنما استخدم بعضها في مقالاته، فبعد تفحص هذه المقالات نبيّن أنّه استخدم الأوزان التي يبيّنها الجدول الآتي

جدول رقم (17)

صيغ منتهى الجموع، نماذج مختارة[3].

البناء	المثال	التكرار
مفاعِل	مبادئ	68
فعائل	فضائِل	44
مفاعيل	مساكين	9
فواعِل	خوارق	23
أفاعيل	أكاذيب	8

[1] الرافعي: **وحي القلم** ، ج1. ص216

[2] انظر: قباوة، فخر الدين: **تصريف الأسماء والأفعال**. ص217..

[3] وهي النماذج المختارة لدراسة المشتقات.

فعاليل	جماهير	1
فعالين	شياطين	5
فواعيل	قوانين	5
فعالِل	وساوس	10
فعالِلة	فلاسفة	1
أفاعِل	أماكن	2
المجموع		**176**

بالنظر إلى الجدول أعلاه، يتبين لنا أن صيغ منتهى الجموع كان لها حضور في مقالات الرافعي، إذ وردت (176) مرة، وقد استخدم لها أحدَ عَشَر وزنا، وكان أكثر هذه الأوزان انتشاراً (مفاعِل) حيث تكرر وحده (68) مرة بنسبة (38,6%)، فالأمثلة كثيرة على استخدام هذا الوزن ، منها قوله: "هل اجتمع رجل وامرأة من بعدها على الأرض إلا كانا من نصَب الحياة وهمومها وشهواتها ومطامعها ومضارّها ومعايبها"[1]، فالكلمات (مطامع.مضارّ.معايب) جاءت جميعها مختومة بحرفين متحركين بعد الف مزيدة، وهو يحشد هذا العدد من صيغ منتهى الجموع للتدليل على رذالة التمسك بهذه الحياة الفانية التي لا يجتمع للإنسان منها إلا الهموم والتعب، فهي مليئة بما يبعث في النفوس القلق والغمّ؛ لذا على الإنسان أن يحذر مما فيها من المطامع والشهوات والمضارّ التي يمكن أن تلحق به.

يلي بناء مفاعل في كثرة الاستخدام بناء فعائل الوارد (44) مرة بنسبة (25%) من مجموع الأوزان المستخدمة، مثل كلمة (فضائل) وأقل هذه الأوزان استخداماً بناء (فعاليل) مثل جماهير، وبناء فعاللة مثل (فلاسفة)، حيث ورد كل منهما مرة واحدة، ومن الأوزان في هذا الباب بناء (فواعل) الذي تكرر (23) مرة وهو ما نسبته (13,1%)، يقول الرافعي:" ولعلك تقول "النسل

[1] الرافعي: **وحي القلم**، ج1. ص214.

وتكثير الآدمية فهذا إنما كتب على إنسان الجوارح والأعضاء"[1]، فكلمة الجوارح تمثّل هذا البناء وهي تدلّ على المعاني الباطنية والحواسّ في السياقات التي جاءت فيها غالبا. ومنها أيضاً بناء (فعالل) المتكرر عشر (10) مرات بنسبة (5,7%)، ومن أمثلته قول الرافعي:"وارضي كأنها بقعة اجتمعت فيها كل زلازل الأرض".[2]

وثمة أبنية كثيرة استخدمها الرافعي منها بناء (مفاعيل) الذي تكرر (9) تسع مرات بنسبة (5,1%) مثل كلمة (مساكين)، ومنها أيضا بناء (أفاعيل) الذي تكرّر (8) ثماني مرات فقط بنسبة (4,5%)، ومن الأمثلة عليه كلمة (أكاذيب)، وهناك بناءان آخران تكرر كلّ منهما خمس (5) مرات وهما (فعالين وفواعيل) مثل الكلمتين (شياطين وقوانين)، أمّا بناء (أفاعِل) فلم يتكرّر سوى مرتين فقط في مقالاته المختارة كلّها، ومثاله كلمة (أماكن).

ت – اسم الجمع.

"وهو الجمع الذي ليس له مفرد من لفظه ويدل على القليل والكثير".[3] وقد استخدم الرافعي هذا البناء في مقالاته بنسب متفاوتة في مقالاته، وبعد تفحص هذه المقالات يمكن حصر الأبنية التي جاء عليها هذا الجمع، وبيان تكرار كلّ منها مع مثال عليه من خلال الجدول الآتي.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** ،ج1. ص214.

[2] المرجع نفسه ، ج1. ص170.

[3] – الإستراباذي ، **شرح الكافية في النحو** ، ج2،ص202

جدول رقم (18)

أبنية اسم الجمع، نماذج مختارة[1].

البناء	المثال	التكرار
فَعْل	جيش	71
فِعال	نساء	26
فُعْلة	أُمّة	21
فَعالة	جماعة	3
فِعلة	نِسوة	3
فاعَل	عالَم	11
فَعَل	همج	2
فَعلى	حلوى	1
فُعْل	الكلّ	1
فعلول	جمهور	1
فعيل	الجميع	1
فَعال	عتاد	1
فُعال	أُناس	1
المجموع		**142**

[1] وهي النماذج نفسها لدراسة المشتقات والجموع السابقة.

بالنظر إلى الجدول يتبين استخدام الرافعي لاسم الجمع في مواطن كثيرة من مقالاته، إذ تكررت عنده (143) مرة، وقد استخدم لها ثلاثة عشر وزنا، كان أكثر هذه الأوزان انتشارا البناء (فَعْل)، إذ تكرر (71) مرة وهو ما نسبته (49,6%) من مجموع الأوزان الدالة على هذا الجمع، والأمثلة على هذا البناء كثيرة جدا منها قوله:"اعمل بنورك عكس ما يعمل أهل الجوارح بظلامهم"[1]، فكلمة (أهل) تدل على جمع وليس لها مفرد من لفظها. ومن الأمثلة على هذا البناء أيضا قوله في موطن آخر:"وجعل الوِلدان يسقون الواحد بعد الواحد، وكأنما يتخللون الجمع في البحث عن أناس بأعيانهم"[2]، فالكلمتان (الجمع، أناس) تدلان على جمع ولا مفرد لهما من لفظهما، وقد جاءت كلمة (أناس) على زنة (فُعال) بضمّ الفاء حيث لم يرد هذا البناء عنده إلا مرة واحدة.

وأمّا البناء الثاني من حيث الاستخدام هو البناء (فِعال) الذي تكرر ست وعشرين (26) مرة بنسبة (18,2%)، وذلك من خلال كلمة نساء المتكررة مرارا، ثم البناء (فُعلة) وقد تكرر واحدة وعشرة (21) مرة بنسبة (14,7%)، وذلك من خلال كلمة أمة المتكررة في مقالاته المختارة كثيرا. وأمّا أقل هذه الأوزان استخداما بناء فعيل مثل كلمة جميع، وفعال مثل عتاد، وفُعل مثل كلمة الكُلّ، وفَعلى مثل حلوى، وكلّ واحدة منها ذكرت مرة واحدة فقط. وأمّا البناءان فِعلة وفعالة فقد ورد كل منهما ثلاث مرات مثل كلمة نسوة، وجماعة، يقول الرافعي:" لما امرأة شيخنا أبي ربيعة ذهبت مع جماعة من الناس شهدوا أمرها"[3]، فكلمة جماعة تدلّ على عدد ولا مفرد له من لفظه أيضا.

ث – اسم الجنس الجمعي.

"هو ما تضمَّن معنى الجمع دالا على الجنس، ومفرده يميز منه بالتاء الزائدة في آخره أو بياء النسب".[4] في حين لم يشر العلماء القدامى إلى ياء النسبة كما فعل سيبويه حيث يقول: "هذا باب ما كان واحدا يقع للجميع، ويكون واحده على بنائه من لفظه إلا أنّ مؤنثه تلحقه هاء التأنيث

[1] الرافعي: **وحي القلم**، ج1. ص215.

[2] المرجع نفسه، ج1. ص216.

[3] المرجع نفسه، ج1. ص213.

[4]– فخر الدين قباوة ، **تصريف الأسماء والأفعال** ص223

لتبين الواحد من الجمع".[1] وبعد تفحص نماذج من المقالات الواردة في "وحي القلم" تبين لي أن الرافعي استخدم اسم الجنس الجمعي على أبنية مختلفة بنسب متفاوتة، وهذه الأبنية يبينها الجدول.

جدول رقم (19)

أبنية اسم الجنس الجمعي، نماذج مختارة[2].

البناء	فَعْل	فَعَل	فَعال	فُعَل	فِعَل	فَعالة	فُعْل	فِعال	المجموع
المثال	وَرْد	عَرَب	غَمام	جُمَل	بدّع	صحابة	الجند	رعاع	
التكرار	17	9	3	6	2	1	1	1	40

من خلال الجدول يتبين أنّ استخدام الرافعي لاسم الجنس الجمعي كان قليلا عند مقارنته باسم الجمع، فقد تكرّر استخدام هذا الجمع أربعين مرة، وقد جاء في ثمانية مبانٍ، وكان أكثر هذه الأبنية انتشارا البناء (فَعْل) بفتح فسكون، حيث تكرّر سبع عشرةَ(17) مرة وهو ما نسبته (42,5%) من مجموع الأوزان المستخدمة، ومن أمثلته قوله:" تجعل قلبك كالسماء انقشع غيمها فسطعت فيها الشمس"[3]، فكلمة (غيم) يفرق بينها وبين مفردها بالتاء المربوطة إذ إنّ مفردها غيمة.

والبناء (فعَل) بفتح الفاء والعين تكرر عنده تسع (9) مرات بنسبة (22,5%)، ففي حديثه عن كتّاب القصة يقول: "وأما من عداهم – أي الأعلام من فلاسفة البيان– ممن يحترفون كتابة القصص فهو في الأدب رِعاع وهَمَج"[4]. فالمفرد من كلمة همج يكون بزيادة الياء عليها أي (همجي) ومن أمثلتها كلمة (عرب) المتكررة مرارا، كما نجد في الجملة نفسها مثالا آخر على اسم الجنس الجمعي في كلمة (رعاع) ومفردها رعاعة بزيادة تاء في آخرها، وتعني سفلة القوم،

[1]– سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان: **الكتاب ج3** ،تحقيق: عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي. 1966م ص582

[2] وهي النماذج التي تمت الإشارة إليها سابقا في المشتقات والجموع.

[3] الرافعي: **وحي القلم** ،ج1. ص214.

[4] المرجع نفسه،ج3. ص243.

حيث لم يستخدم الرافعي هذا البناء سوى مرة واحدة فقط، لكن ما يلفت النظر أنّ معنى الكلمتين رعاع وهمج يقترب كثيرا، فالرافعي من خلال الكلمات المترادفة يسعى إلى تأكيد معناه ويحاول إظهار هؤلاء بأسوأ مننظر تنفيرا منهم ومما يمارسونه. وفي قوله:" واقتعدت درج العرش تحت ربوتي الزهر ودون أقدام العروسين طفلة صغيرة كالزهرة البيضاء".[1] جمع الرافعي بين البناءين (فعل) بفتحتين في كلمة درج، و(فعْل) بفتح فسكون في كلمة الزهر.

أمّا البناء الثالث من حيث سعة الانتشار فهو (فُعَل) بضم الفاء وفتح العين، إذ تكرّر ست مرات، يقول:" "وتنحلّ المشكلة الاجتماعية ما دامت الحياة لا تجد من أهلها كل ساعة عُقدا فيها"[2]، فكلمة عقد مفردها عقدة بزيادة التاء المربوطة وهي على زنة فُعل. وأقلّ الأبنية في هذا الجمع عند الرافعي بناء (فعَالة) مثل: صحابة وواحده صحابي بياء مزيدة، و(فُعْل) بضم وسكون مثل الجند وواحده جندي بياء مزيدة أيضا، ومنه قوله:" أظهر الطاغية أن الله يؤيد به الإسلام ليتألف الجند والشعب ويستميلهم إليه"[3]. فكلمة الجند يفرّق بينهما وبين مفردها بباء النسبة حيث مفردها جنديّ فهي تقع في هذا الباب أيضاً، حيث ورد كل مبنى مرة واحدة فقط.

والبناء (فَعال) بفتح الفاء تكرر ثلاثة كالكلمتين غمام وسحاب، أمّا البناء (فِعَل) بكسر الفاء وفتح العين فقد ورد مرتين مثل كلمة بدَع وكلمة عِلَل أيضاً، يقول الرافعي:" ويتقلبون في مذهبهم بهذه الألقاب: العقل، الإرادة، الأمام قائم الزمان، علّة العلل"[4]، فكلمة عِلل وهي على زنة فِعَل مفردها عِلّة على زنة فعلة.

---

[1] الرافعي : **وحي القلم** ،ج2. ص33.

[2] المرجع نفسه ، ج2. ص10.

[3] المرجع نفسه ،ج2. ص201.

[4] المصدر نفسه، ج2. ص200.

خلاصة

يمكن القول في نهاية هذا المبحث أنّ الرافعي لم يدع صيغة من صيغ الجموع إلا استعملها في مقالاته، لكن هذا الاستعمال جاء متباينا كما في الأبنية الصرفية المتقدمة، والجدول الآتي يبين استعمالات هذه الصيغ المستعملة:

جموع القلة	جموع الكثرة	منتهى الجموع	اسم الجمع	اسم الجنس الجمعي	المجموع
267	252	176	142	40	877

نلاحظ من خلال الجدول أن صيغ الجمع المستعملة عند الرافعي استعملت جميعا وكان أعلاها جموع القلة تليها جموع الكثرة، وأدناها استعمالا اسم الجنس الجمعي، بينما تأتي صيغ منتهى الجموع فاسم الجمع متوسطة بينها، والتمثيل البياني الآتي يبين نسب استعمال هذه الجموع:

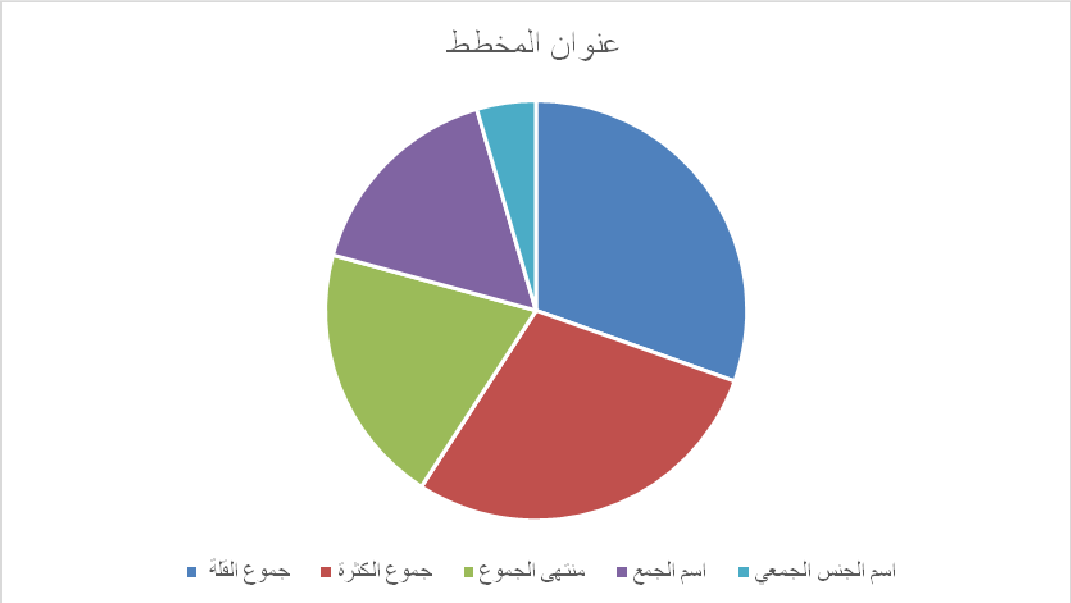

الفصل الثاني

التركيب الخبري، وأثره الجماليّ في تقديم المعنى

أولا: بناء الجملة واتّساعها

1 – البناء اللغوي للجملة الصغرى

2 – البناء اللغوي للجملة الكبرى

ثانيا:جماليات الجملة الخبرية

ثالثا: التقديم والتأخير

التركيب الخبري، وأثره الجماليّ في تقديم المعنى.

أولا: بناء الجملة واتّساعها.

كثر الحديث عن مفهوم الجملة عند العلماء القدامى والمحدثين، وخلط بعضهم بين الجملة والكلام، فمنهم من جعلهما مترادفين ومنهم من فرق بينهما، ولست أهدف من خلال هذه الدراسة إلى الوقوف مطولا عند البحث النظري للجملة حتى لا تبتعد الدراسة عن المضمون الأساسي لها، فثمة دراسات تناولت هذا الجانب تأصيلا وتفصيلا، وحددت ملامح الجملة وعرضت آراء اللغويين فيها؛ لذا أتناول بعض هذه الآراء والأقوال موجزا القول ما استطعت الإيجاز، وأقف بداية عند رأي ابن جني حيث يقول :" أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل"[1]. ونجد أنّ ابن جني في هذا القول لا يفصل بين الكلام والجملة. ولا يبتعد عنه الزمخشري، إذ ربط بين المعنيين بالإسناد بقوله :" والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وهذا لا يتأتى إلا في اسمين أو في فعل واسم ويسمى الجملة"،[2] فالإسناد عنده هو الأساس في الحكم على الكلام بأنه جملة، وهو الذي تقوم عليه هذه الدراسة وتدور حوله،

أمّا عبد القاهر الجرجاني فيقول :" واعلم أنّ الواحد من الاسم والفعل والحرف يسمى كلمة، فإذا ائتلف منها اثنان فأفادا، نحو:(خرج زيد) سميّ كلاماً، وسميّ جملة، والائتلاف يكون بين اسم وفعل، وبين الاسمين كقولك (زيد منطلق)، وبين الاسم والحرف في النداء خاصّة نحو (يا زيد)"،[3] فالفائدة عنده هي الفيصل في تحديد الجملة، فهي إذن عنده ما كان ناتجاً عن ائتلاف اسم بآخر أو بحرف او بفعل. ومن اللغويين المحدثين أقف عند رأي إبراهيم أنيس الذي يقول:"

---

[1] ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، ج1، تحقيق: محمد علي النجار، ط3، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1407هـ.ص18.

[2] ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي، **شرح المفصل للزمخشري**،ج1، تقديم الدكتور إميل بديع يعقوب، ط1، بيروت لبنان : دار الكتب العلمية 1422هـ -2001م.ص70.

[3] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ،**الجمل**، تحقيق: علي حيدر ، 1392 هـ - 1972م. ص 40.

الجملة هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر"[1]. فهو لا يلتفت إلى الإسناد بقدر التفاته إلى المعنى.

إذا كان تمام الجملة يرتبط بتمام المعنى فإن هذا يجعل دراسة الجملة في المقالة الرافعية أمرا عسيرا؛ لأن المعنى الكامل في كثير من جمله لا يتمّ إلا بإطالة التراكيب، وتعقيد بنائها، وترابط الجمل وتداخلها فيما بينها، ولا غرابة في أن تكون الجملة وفقاً لهذا الرأي فقرة كاملة في مقالات الرافعي كما يتبين عند تناول الجملة الكبرى في الصفحات اللاحقة، إذ يعتمد الرافعي على التداخل وتعقيد البناء والتطويل بشكل واضح. والمذهب الذي يسير عليه هذا البحث في تحديد الجملة يقوم على تمام الفكرة التي يريد الأديب التعبير عنها في مقالاته المختلفة، وهو المذهب الذي اعتمده الباحث كمال القادري في دراسته للآيات القرآنية المدنية، إذ يقول:" ترتبط مسألة تمام الجملة بتمام الفكرة المراد التعبير عنها في ذهن المتكلم، فالتركيب وسيلة لغوية لإيصال الفكرة في صورتها اللفظية التامة".[2] ويقول باحث آخر:" يمكن أن نعرف الجملة بأنها الإسناد الأصلي المستقل بكافة متعلقاته ومقيداته".[3] من هذا كلّه يتّضح أنّ الجملة تقوم أساسا على الإسناد الناتج عن اتصال كلمة بأخرى، بحيث يعطي فكرة واضحة عما يدور في خلد المتكلم، سواء أطال هذا الاتصال بين الكلمات أم قصر.

يأخذ الحديث عن الجملة عند الدارسين منحنيات كثيرة، فهم تارة يتحدثون عنها بالنظر إلى صدرها وتحديد المسند والمسند إليه، فتقسم تبعا لهذا الأساس إلى جملة اسمية وجملة فعلية، وكلّ منهما تكون مثبتة أو منفية، وتكون مؤكدة أو غير مؤكدة، والجملة الاسمية قد تكون منسوخة أو غير منسوخة، وتارة يتحدثون عنها بالنظر إلى ما تحتمله من صدق أو كذب، فيقسمونها إلى خبرية وإنشائية، وثمة اعتبار آخر عند الدارسين يقوم على النظر إلى مكوناتها التركيبية وما

---

[1] أنيس، إبراهيم ، **من أسرار اللغة**، ط6، الفاهرة:مطبعة الأنجلو المصرية،1978م، ص 276و 277

[2] قادري، كمال، **التركيب النحوي في الآيات المدنية في القرآن الكريم** ، (رسالة ماجستير)، جامعة حلب، 1409هـ.ص324.

[3] باناعمة، ، عادل أحمد سالم: **بناء الجملة عند الرافعي من خلال كتابه اوراق الورد**. ص62.

تتألف منه، فيقسمون من خلاله الجملة إلى قسمين أيضا وهما: الجملة الصغرى أو البسيطة والجملة الكبرى أو المركبة.

وهذه الدراسة محاولة لاستيفاء هذه الأقسام المختلفة للجملة، فهي تقدم تصوراً واضحاً للجملة على اختلاف أنماطها وأشكالها، وتقوم بداية على تقسيم الجملة عند الرافعي تبعا للتراكيب التي تتكون منها وعدد الأسانيد فيها أي الجملة الصغرى والكبرى أو ما يسميه بعضهم البسيطة والمركبة، وعند الوقوف على الجملة الصغرى لا بدّ لي من الحديث عن الجملة الفعلية والاسمية، والإشارة إلى المنفي والمثبت منهما، والمنسوخ من الجمل الاسمية، وأقف في تناول الجملة الكبرى عند اتّساعها وامتداداتها مبيّنا مواضع كلّ جملة من الجمل الصغرى فيها، بحيث تكون الجملة قائمة على تمام المعنى الذي يريده الرافعي.

والمعيار الأول الذي تسير عليه هذه الدراسة يقوم على طول الجملة وقصرها كما ذكرت، أي على عدد الأسانيد داخل الجملة الواحدة، وهو الاعتبار الذي تقسم الجملة وفقه إلى جملة صغرى وجملة كبرى، وقد أشار إليه السابقون والمعاصرون في مصنفاتهم؛ فابن هشام يجعل الجملة كبرى أو صغرى، "والكبرى هي الاسمية التي خبرها جملة نحو : زيد قام أبوه، وزيد أبوه قائم، والصغرى هي المبنية على المبتدأ كالجملة المخبر بها في المثالين".[1] وقد أوضح هذا القول الموجز لابن هشام الباحث عودة أبو عودة بقوله:"إن الجملة الكبرى هي الجملة المكونة من جملتين أو أكثر إحداهما مبتدأ أو فاعل أو خبر أو مفعول ثان لفعل ناسخ ... أما الجملة الصغرى فهي التي تكون جزءا متمماً للجملة الكبرى".[2] وهو يضع قسماً آخر يسميه الجمل البسيطة بقوله :" أما سائر الجمل التي تقوم برأسها ولا تتصل بغيرها اتصالا إسناديا فهي جمل بسيطة".[3] أي ليست هي جملاً كبرى ولا جملاً صغرى بل تركيب لغويّ بسيط قائم وحده.[4] وهذا بيان موجز لأنماط الجملة عند الرافعي.

---

[1] الأنصاري، ابن هشام: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، ص 437.

[2] أبو عودة، عودة خليل: **بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين**، ط1، عمان : دار البشير، 1411هـ-1991م. ص 154.

[3] أبو عودة، عودة خليل: **بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين**، ص 155.

[4] فجملة (ظننت زيدا يدرس) جملة كبرى تتكون من جملتين وقعت الثانية مفعولا به للفعل الناسخ، وجملة يدرس تعدّ جملة صغرى قولنا (زيد قائم) فجملة بسيطة لا تتعلق بغيرها.

1- البناء اللغويّ للجملة الصغرى.

- **النوع الأول: الجملة الاسمية،** وقد تحدث عنها القدماء والمحدثون كثيرا، وأبدأ بالدراسة التطبيقية إيجازا للدراسة، وفيما يأتي بيان موجز لأنماطها:

أ - **الجملة الاسمية المثبتة،** ومن أمثلتها عند الرافعي:

- يقول: "طاغور هذا شاعر الهند"[1]. فالجملة جاءت مكونة من المبتدا (طاغور) وهو اسم علم والخبر النكرة المضاف إلى معرفة (شاعر الهند)، وقد جاءت الجملة توضيحية لما أصاب الناس من ذهول عندما سمعوا بهذا الاسم طاغور، ولا يخفى ما لاسم الإشارة من دلالة الثبوت في الجملة الاسمية، وهو يسهم في إبراز الذهول الذي شعر به الناس من حوله.

- يقول في أهل فلسطين: " أولئك إخواننا المجاهدون، وأولئك إخواننا المنكوبون".[2] وهنا تكونت الجملة من الاسم المبني (أولئك) المبتدأ، وخبره المضاف إلى الضمير (إخواننا) وقد جاء المسند مقيدا بالوصف، وذلك بغية لفت الأنظار صوب فلسطين، وتكون التركيب الآخر من النسيج نفسه وللغرض نفسه أيضا، لكن اللافت استعمال اسم الإشارة للبعيد مع القرب الشديد بين قلوب المسلمين أمثال الرافعي الذي يحمل فكر المسلم، وربما أراد بذلك المبالغة والعظمة والرفعة لهم، حيث استعمل القرآن الكريم هذا الأسلوب كثيرا، قال تعالى:"ذلك الكتاب لا ريب فيه"[3] وقال أيضا: "تلك آيات الكتاب المبين"[4] وغيرها كثير من الآيات للدلالة على العظمة والرفعة وغيرها من الدلالات التي توحي بها هذه الصيغة.

- ويقول عن اليهود: "في أنفسهم الحقد، وفي خيالهم الجنون، وفي عقولهم المكر، وفي أيديهم الذهب الذي أصبح لئيماً لأنه في أيديهم".[5] وهنا يحشد الرافعي مجموعة من الجمل البسيطة في

---

[1] الرافعي: **وحي القلم،** (شيطاني وشيطان طاغور) ج3. ص 238.

[2] المصدر نفسه. (في محنة فلسطين)،ج2. ص 225.

[3] سورة البقرة، آية 2.

[4] سورة الشعراء، آية 2.

[5] الرافعي: **وحي القلم.** (محنة فلسطين)، ج2. ص 226.

تراكيبها، إذ جاءت كلّ جملة مكونة من خبر شبه جملة مقدّم ومبتدأ مؤخر، وكان غرضه بيان مثالب اليهود وتوضيحها للأجيال الصاعدة، ومن لم يعلم حقائقهم بعد.

ب – الجملة الاسمية المنفية، وقد وردت هذه الجملة كثيراً أيضا لكن بنسبة أقلّ من الجملة المثبتة، وقد جاء النفي بالأدوات المختلفة التي تفصلّها كتب النحويين والبلاغيين، ومن هذه الأمثلة:

– قوله: "لا شيء في الدنيا غير الحبّ يستطيع أن ينقل إلى الدنيا ناراً صغيرة وجنة صغيرة".[1] وقد جاء النفي بلا النافية للجنس.والنفي هنا للحصر، فالحب وحده يمكن أن يغيّر في حياة البشر، ولو كانت الجملة مثبتة ما تحقق المعنى نفسه؛ لأنّ النفي بلا النافية للجنس له معنى الاستغراق في الحكم.

– فما طبيعة أغلب عليه من طبيعة.[2] ، وهنا جاء النفي بلا العاملة عمل ليس في حديثه عن طاغور الذي له مزايا كثيرة لا يعرف بواحدة منها دون الأخرى، وإنما كلها تجتمع فيه بلا فرق بينها.

– "لا شيء اسمه القانون الحق في هذه الدنيا".[3]وهنا جاء النفي بلا مظهرا تشاؤمه من الظلم الواقع في حياة الناس، وضياع حقوقهم، وواضح أنّ النفي بصيغة (لا شيء) يكاد يشكل ظاهرة لغوية عند الرافعي، فكلمة شيء نكرة فيها معنى العموم والاتساع في الدلالة فهي تقع على كلّ ما لا يعقل.

ت – الجملة الاسمية المنسوخة، وقد وردت الجملة المنسوخة بكثرة في وحي القلم، وقد جاء النسخ على شكلين مختلفين، وهما:

* الشكل الأول: الجملة المنسوخة بناسخ حرفي، ومن أمثلته:

---

[1] الرافعي: **وحي القلم**.(الانتحار5) ج2. ص 115.

[2] المرجع نفسه.(شيطاني وشيطان طاغور)، ج3. ص 238.

[3] المرجع نفسه.(خضع خضع)، ج2. ص 263.

– في حديثه عن طاغور يقول: "إنه شاعر، ولكنه مخلوق".[1] إذ جاء النسخ بالحرفين (أنّ، لكنّ) وجاء الاسم ضميرا متصلا، والخبر اسما مفردا، في كلا التركيبين لتثبيت حقائق حول طاغور.

– ويقول: "لقد علمت أن الصبر على المصائب نعمة كبرى لا ينعم الله بها إلا في المصائب".[2] وهنا دخل الناسخ على الاسم الصريح المعرب المتصل بشبه جملة تتممه، والخبر الموصوف (نعمة كبرى) للحثّ على فضيلة من أعظم الفضائل، وكأن إطالة التركيب يوحي ببعد المعنى الرامي إليه، فيحتاج إلى التوضيح من خلال المتممات الأخرى كشبه الجملة والصفات والأحوال وغيرها.

* الشكل الثاني: الجملة المنسوخة بناسخ فعلي، وأمثلته كثيرة أيضاً، وإن كانت بعض الكتب تشير إلى أن هذه الجمل فعلية لأنها تبدأ بفعل أصلاً، إلا أننا ننظر إليها باعتبار أصلها، إذ كانت اسمية بل إن الناسخ لا يدخل إلا على الجملة الاسمية، ومن ذلك:

– قوله: "كانت مارية هذه مسيحية قوية الدين والعقل".[3] جاء النسخ بالفعل كان وهو أكثر النواسخ الفعلية انتشارا، وقد جاء اسمه وخبره اسمين صريحين معربين وهما (مارية، مسيحية على الترتيب) إلا أنّ الخبر اتّصل بمتمم وهو الصفة المضافة.

– "أما طرفها فيكاد يصيح تحت النظرات أنا خائف أنا خائف".[4] وهنا جاء النسخ بفعل من أفعال المقاربة وهو الفعل (كاد)، للدلالة على عظم التأثر من الموقف الذي تمر به، إذ جاء اسمها مستترا وخبرها جملة يصيح.

---

[1] الرافعي، وحي القلم ، (شيطاني وشيطان طاغور)، ج3. ص 238.

[2] المصدر نفسه(الانتحار 6)، ج2. ص 131.

[3] المصدر نفسه ، (اليمامتان)، ج1.ص 12.

[4] المصدر نفسه (ورقة ورد)،ج1. 91.

– وفي حديثه عن الحكومات في عصره يقول: "لن تفلح حكومة سياسية في الشرق الناهض ما لم يكن شبابها حكومة أخلاقية".[1] وهنا جاء النسخ بكان المنفية في صيغة المضارع، للتأكيد على مبدأ الأخلاق في رسم سياسة الحكومات في الشرق الناهض.

وثمة أمر آخر يتصل بالجملة المنسوخة وهو تعدد خبر الناسخ، إذ إن هذه الظاهرة منتشرة عند الرافعي ولا سيما في توجيه السلوك الاجتماعي الذي يؤمن به، فهو كثيرا ما يعمد إلى إطالة التركيب ليبرهن على صحة ما يذهب إليه من آراء واعتقادات، والأمثلة على ذلك كثيرة منتشرة في كتابات الرافعي، لأنه كثيرا ما يعمد إلى إبراز المعنى الكامل الذي يسعى إليه.ومنها:

– قوله "شهد العزب –ورب الكعبة– على نفسه أنه مبتلى بالعافية، مستعبد بالحرية، مجنون بالعقل، مغلوب بالقوة، شقي بالسعادة".[2] فالناسخ الحرفي (أن) رفع خمسة أخبار متتالية، ولا شكّ في أنّ هذه الجملة صغرى إلا أنها جاءت مقيدة بكثرة أخبارها، وواضح أنّ تعدد الأخبار يفيد هنا التنفير من العزوبة والحثّ على الزواج لما فيه من تحصين للشباب والفتيات وحفظهم من الوساوس التي يتعرضون إليها بعدم الإقبال على الزواج.

– ومن النواسخ الفعلية، الفعل (كان) نحو قوله في وصف حافظ إبراهيم "لا جرم كان شاعرنا عبقرياً عجيب الصنعة قوي الإلهام بليغ الأثر في عصره".[3] حيث نصب الناسخ الفعلي (كان) أربعة أخبار بعده، والجملة صغرى أيضاً إلا أنها جاءت مقيدة بكثرة الأخبار، وهذا التركيب يدلّ على أنّ إطالة الجملة لا يقتصر على الموضوعات الاجتماعية، بل يمتدّ إلى موضوعات المدح والثناء لمن أحبهم الرافعي واعترف بفضلهم عليه، فهو يبرز شخصيتهم من خلال إطالة التراكيب التي يتحدث فيها عنهم.

---

[1] الرافعي، وحي القلم (الأخلاق المحاربة)،ج2. ص 261.

[2] المصدر نفسه (ارملة حكومة)،ج1. ص 207.

[3] المصدر نفسه (حافظ إبراهيم)،ج3. ص 258.

هذا بيان موجز للجملة الاسمية، والأشكال التي وردت فيها، ولا بدّ لنا من الانتقال للحديث عن النوع الآخر من أنواع الجملة تبعا لطبيعة المسند والمسند إليه وتركيب كلّ منهما وهو الجملة الفعلية.

– **النوع الثاني:– الجملة الفعلية**،وهي الجملة التي تبدأ بالفعل بدءا أصلياً، وقد جاء الفعل بالدلالات الزمنية المختلفة وهي:

أ – **الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي**، وردت هذه الجملة كثيراً عند الرافعي، وجاء الفعل الماضي عنده بصورتين مختلفتين وهما:

– **الصورة الأولى**: المبني للمعلوم، وقد جاء هذا الفعل كثيراً، حيث لا نكاد نقرأ مقالة إلا والفعل الماضي حاضر فيها، وقد ورد الفعل الماضي المبني للمعلوم بنمطين مختلفين وهما:

* النمط الأول: المبني للمعلوم المثبت، ومن ذلك قوله:

– "ظهر لي بناء (البنك) في ظلمة الليل من مرأى الغلامين أسود كالحاً".[1]والجملة هنا بسيطة أو صغرى إلا أنها جاءت ممتدة بكثرة متمماتها التي غلب عليها أشباه الجمل والحال.

– "انتقل الأمير البخيل إلى رحمة الله".[2] فالجملة هنا مكونة من الفعل والفاعل، إلا أنّ الفاعل جاء موصوفا والفعل متعلقا بشبه الجملة (إلى رحمة الله).

* النمط الثاني: المبني للمعلوم المنفي، وقد جاء هذا النمط قليلاً عند مقارنته بالمثبت، ومن أمثلته:

– يقول الرافعي في حديثه عن البارودي وإسماعيل باشا صبري: "علم الله ما رأيت في كل من رأيتهم من الشعراء نفساً تعد معهما".[3] فجملة ما رأيت وهي جزء من الجملة الكبرى جاء فيها

---

[1] الرافعي: **وحي القلم**، (أحلام في الشارع)،ج1. ص 71.

[2] المصدر نفسه (أحلام في القصر)، ج1.ص 71.

[3] المصدر نفسه (شعر صبري)،ج3. ص 245.

الفعل ماضياً مبنياً للمعلوم منفياً، فهو يعظّم من شأنهما ويعبّر عن أسمى معاني الفخر بما أبدعاه من الشعر، إذ ارتقيا إلى مستوى لا ينازعهما فيه أحد من الشعراء.

– "فما ألممت بإثم قطّ، ولا دانيت بمعصية، ولا رهقني مطلب من مطالب النفس إلى يوم الناس هذا".[1] إذ جاء النفي بـــ(ما ولا) النافيتين، وواضح أن النفي جاء هنا لإزالة الشكّ حول ما يمكن أن يوجه إلى قائله من الاتهامات، وقد جاء هذا على لسان عبد الرحمن بن عبد الله.

– جاء على لسان أحد الجالسين في مسجد الكوفة وهم ينتظرون قدوم أبي محمد سليمان الأعمش قوله: "وما عرفت الكوفة أعبد منه، ولا أفقه في العبادة".[2] والنفي هنا جاء بـــ(ما) النافية وهي الأكثر استعمالا لنفي الجملة الفعلية، والنفي هنا غرضه التفاخر بأبي سليمان وما عرف عنه من الفقه والعبادة والشمائل الطيبة.

– **الصورة الثانية:** المبني للمجهول،[3] وهي الصورة الثانية للفعل الماضي، وهذا الفعل جاء على نمطين أيضاً:

* النمط الأول: الفعل الماضي المبني للمجهول المثبت، ومن أمثلته:

– يقول: "ألا كم آلاف السنين وآلافها قد مضت منذ أخرج آدم من الجنة".[4] فجملة أخرج من الجنة فعلها ماض مبني للمجهول مثبت، وهي جملة صغرى تابعة للجملة الكبرى التي وردت فيها، وثمة أسباب للبناء للمجهول عند اللغويين، منها معرفة الفاعل معرفة تامة كما في هذا المثال.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (سمو الحب)،ج1. ص93.

[2] المصدر نفسه(زوجة إمام)،ج1.ص 12.

[3] تناولت ظاهرة البناء للمجهول عند الحديث عن الأبنية الصرفية في الفصل الأول، وعللت أسباب هذه الظاهرة التي تكمن في كراهية ذكر الفاعل أو تشويق القارئ لمعرفته، أو الجهل الحقيقي به، وغيرها من أسباب وجود هذه الظاهرة عند الرافعي.

[4] الرافعي: **وحي القلم**، (الربيع)،ج1.ص 29.

– "خُيِّل إليّ أن النواميس الطبيعية قد اختلت في جسمي إما بزيادة أو نقصان".[1] ونحن نلاحظ أن هذه الجملة ليست صغرى، وإنما جملة كبرى لكننا أتينا بالفعل خيل مثالاً على المبني للمجهول المثبت، ولا يمكن اعتبار الجملة صغرى إلا إذا فصلت عن متمماتها الأخرى.

– "لا يحزن هذا القلب إلا إذا شعر كأنه طُرد من الجنة لساعته".[2] فالفعل طرد خبر الناسخ (كأن) يمثل هذا النمط من الأفعال، وفي الجملة إشارة واضحة إلى ارتباط قائلها بالجنة، فلا معنى للحزن عنده إلا إذا شعر بالابتعاد عنها، فهذا هو الحزن وهذا هو الشقاء الحقيقي.

* النمط الثاني: المنفي، وهو النمط الثاني من الفعل الماضي المبني للمجهول، وقد جاء قليلاً أيضاً عند مقارنته بغيره من الأفعال الماضية، ومن أمثلته ما جاء على لسان مالك بن دينار في حديثه عن صلاة العصر يقول :"وما تُرِكت منذ كان الإسلام إلا يومئذ".[3] وكان الحديث عن يوم وفاة الحسن، إذ سار الناس في جنازته من يوم الجمعة فانشغلوا بها حتى فاتتهم صلاة العصر.

ب– الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع، وقد جاء الفعل المضارع على صورتين مختلفتين وهما:

– الصورة الأولى: المضارع المبني للمعلوم، وقد ورد هذا الفعل كثيراً في مقالات الرافعي وجاء على نمطين:

* النمط الأول: الفعل المضارع المثبت.

– في حديثه عن حافظ إبراهيم يقول: "وأنا أعرف في شعره مواضع من الاضطراب والضعف والنقص".[4] فالفعل أعرف مثبت، ويدلّ في الأصل على الاستمرارية، إلا أنّ الرافعي جاء بهذا

---

[1] الرافعي، وحي القلم(ورقة ورد)،ج1. ص 90.

[2] المصدر نفسه(الربيع)،ج1.ص 29.

[3] المصدر نفسه(بنته الصغيرة)،ج1. ص222.

[4] المصدر نفسه ،(حافظ إبراهيم)،ج3. ص 258.

القول بعد أنّ أثنى على شعر حافظ ووصفه بأوصاف تليق بروعته، إلا أنّ هناك مواطن لا تخلو من الضعف، إذا جاء حرف الجرّ (في) بمعنى من للتبعيض.

– ويقول في المقالة السابقة أيضاً: "ترجع صداقتي لحافظ – رحمه الله – إلى سنة 1900".[1] وجاء هذا التعبير بصيغة المضارع للإخبار فقط، وهو ما يعرف عند البلاغيين بفائدة الخبر.

– ويقول:"وبالقيام للصلاة، يحقق المسلم لذاته معنى إفراغ الفكر السامي على الجسم كله".[2] أمّا التعبير بصيغة المضارع في هذا التركيب فغرضه الحثّ والتحضيض كما يوضّحه السياق.

* النمط الثاني: الفعل المضارع المنفي

– يقول عن نفسه: "لم أكتب في القصة إلا قليلاً ".[3] والغرض هنا تقديم معلومة لا يعرفها السامع، وجاء النفي بـــ(لم) التي تنقل زمن الفعل إلى الماضي كما تقدّم في موطن سابق.

–يقول في مقالته (ورقة ورد): "وهي على ذلك متسامية في جمالها حتى لا يتكلم جسمها في وساوس النفس كلام اللحم والدم".[4] فالسمو الذي يتحدث عنه سمو الجمال الروحي والخلقي الذي لا يؤثر في العواطف والمشاعر؛ لأنه لا ينقل صورة اللحم والدم وإنّما صورة الخلق الرفيع.

–ويقول في موطن آخر من المقالة السابقة : "جسم كالمعبد، لا يعرف من جاءه أنه جاءه إلا ليبتهل ويخشع".[5] فجسم الفتاة لا يثير الغرائز وأنما يبعث على الخشوع والسكينة والوقار، وهو يستعمل المضارع في ذلك للدلالة على تجدد هذه الصفات واستمراريتها فيمن يتحدّث عنها.

– الصورة الثانية: المبني للمجهول، وهي الصورة الثانية للفعل المضارع، وقد جاء وروده قليلاً عند مقارنته بالمضارع المبني للمعلوم، واستعمله الرافعي على نمطين أيضا هما:

---

[1] الرافعي: وحي القلم (حافظ إبراهيم)،ج3.ص 257.

[2] المصدرنفسه (حقيقة المسلم)،ج2. ص 13.

[3] المصدرنفسه (فلسفة القصة ولماذا لا أكتب فيها،)،ج3.ص 243.

[4] المصدر نفسه (ورقة ورد)، ج1. ص 91.

[5] المصدر نفسه (ورقة ورد)،ج1.ص 91

* النمط الأول: الفعل المضارع المبني للمجهول المثبت، ومن أمثلته:

– يقول عن بنت الباشا: "قلبها الحزين يُقَطَّع فيها ويُمَزَّق في كل لحظة".[1] وهنا جاء الفعل في صيغة المضارع للدلالة على استمرارية الحزن الذي يتجدّد كلّ حين في قلب بنت الباشا، ولعلّ إخفاء السبب فيه إثارة للقارئ لمعرفته والبحث عنه، لأن ما ينتابها من الضيق والقلق يدفع إلى البحث عنه ومعرفته، وهذا من دواع البناء للمجهول.

– يقول: "وهي مثل الشعر، تطرب القلب بالألم يوجَد في بعض السرور وبالسرور الذي يُحس في بعض الألم".[2] الفعلان (يوجد ويحس) مبنيان للمجهول، ولا يبتعد الغرض من البناء للمجهول عن الجملة السابقة في هذا التركيب.

* النمط الثاني: المبني للمجهول المنفي، ومن الأمثلة عليه:

– يقول الرافعي: "ههنا الرجاء في الله واليوم الآخر، وهو شعور لا يُشترى بمال ولا يُلتمس من أحد"،[3] والبناء للمجهول في هذا التركيب لا يخلو من الدلالة على عظمة الفاعل، وكثيرا ما يستعمل الرافعي المضارع لتقرير المعاني الإيمانية في نفوس القرّاء، فالقرب من الله ورجاء رحمته مشاعر ينالها المؤمن من الله سبحانه وليس من البشر.

– ويقول في موطن آخر:"وقد تأتي القصة من أخبار القلب مفعمة بالآلام والأحزان لا يُراد بآلامها وأحزانها إلا إيجاد أخلاق للقلب يعيش بها ويتبدل".[4] فالآلام والأحزان التي تصيب المرء تحمل في طيّاتها معاني الخلق السامي للقلب التي تجعله يتغير ويتبدّل لحال أحسن مما كان عليه قبلها.

---

[1] الرافعي، وحي القلم، (بنت الباشا)ج1.ص 82 .

[2] المصدر نفسه (ورقة ورد) ج1. ص 92.

[3] المصدر نفسه(الانتحار2) ج2. ص 98.

[4] المصدر نفسه(الانتحار5)ج2. ص 115.

ت – الجملة الفعلية ذات الفعل الأمر، وقد تناولت هذه الدراسة فعل الأمر في موطنين، وهما الفصل الأول عند الحديث عن الدلالة الزمنية للفعل، والفصل الثالث الذي يبحث في الأساليب الإنشائية عند الرافعي؛ لذا أترك الحديث عنه لتناوله بشكل مفصل في بابه، منعا للتكرار والخلط.

2- البناء اللغويّ للجملة الكبرى.

الجملة الكبرى هي الجملة التي تضمّ إسنادا آخر غير الإسناد الرئيسي فيها أو أكثر، ولا تقف هذه الدراسة عند الحدّ الذي وضعه ابن هشام للجملة الكبرى، وهو الإخبار عن المبتدأ في الجملة الاسمية بجملة أخرى اسمية مثل "زيد أبوه قام" أو فعلية مثل "زيد قام أبوه".[1] وإنّما تمتدّ هذه الجملة وتتسع بالجمل الأخرى المتممة للمعنى سواء أكانت خبرا أم غير ذلك؛ كأن تكون صفة أو حالا أو معطوفة أو غيرها من الوظائف المختلفة، وهو ما أشار **إليه** الباحث عودة أبو عودة بقوله:" إن الجملة الكبرى هي الجملة المكونة من جملتين أو أكثر.[2]

وتسير هذه الدراسة في الحديث عن الجملة الكبرى وفق اتجاهين عمودي (رأسي) واتجاه أفقي؛ حيث يكشف الاتجاه العمودي عن الوظيفة التي تتخذها المركبات الإسنادية الثانوية في الجملة الرئيسية (الأم)، بينما يكشف الاتجاه الأفقي عن عدد هذه المركبات الإسنادية ووسائل اتساع الجملة الرئيسية (الأم)، وفق جداول تبين طبيعة هذه الجمل والبنية التركيبية لكل منها، وفيما يأتي دراسة لهذه الجمل:

أولاً: جمل ذات تركيب إسنادي واحد، وقد تكون هذه الجملة الأم اسمية أو فعلية.

أ – الجملة الاسمية مثل :

1- قول الرافعي: "يوم العيد، يوم تقديم الحلوى إلى كل فم لتحلو الكلمات فيه"،[3] وقد اتسعت هذه الجملة بإسناد ثانوي واحد، وهو قوله لتحلو الكلمات فيه، حيث جاء هذا الاتساع بالمصدر المؤول المجرور.

---

[1] انظر: ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري،ص457.

[2] عودة أبو عودة، **بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين**. ص154.

[3] الرافعي: **وحي القلم**(اليمامتان)،ج1. ص23.

2 – وقد تأتي هذه الجملة منسوخة نحو قوله: "كان العيد في الإسلام هو عيد الفكرة العابدة، فأصبح عيد الفكرة العابثة"،[1] فالجملة اتسعت بالعطف إذ عُطفت جملة (فأصبح عيد الفكرة العابثة) على الجملة الابتدائية وهي منسوخة، فالعيد في عهده الأول كان ذا طابع ديني إيماني يقوم على تقوية أواصر المحبة بين الناس، بينما أصبح في عهد الرافعي رمزا للعبث واللهو، فلم يعد يحقق المعاني التي كانت تتحقق في العهد الأول من الإسلام، وشتان ما بين الحالين.

ب – الجملة الفعلية مثل:

1 – قول الرافعي: "ستذوق كل شعرة منك ألم الذبح قبل أن تذبحي"،[2] وهو مترجم عن شعر ورد على لسان مارية، حيث اتسعت الجملة بالمصدر المؤول الذي جاء مجروراً.

2 – وقد تأتي الجملة الفعلية منفية من هذا المستوى ومن ذلك قوله:" لا تتم فائدة الانتقال من بلد إلى بلد إلا إذا انتقلت النفس من شعور إلى شعور"،[3] حيث اتسعت الجملة بالإضافة بعد إذا التي تضاف إلى جملتها.

وكي لا تطول الدراسة أكتفي بمثال واحد على الجمل الكبرى ذات التراكيب الإسنادية التي تمتد لأكثر من إسناد واحد، إذ ليس الغرض من هذا المبحث إحصاء هذه الجمل، وإنما الكشف عن أنماط الجملة الكبرى ووسائل اتساعها في مقالات الرافعي، وفيما يأتي صورة موجزة لكل جملة من الجمل الكبرى الممتدة بأكثر من إسناد ثانوي وفق جداول تبين عدد التراكيب الإسنادية والوظيفة الإعرابية لكلّ منها، وهي على النحو الآتي:

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (المعنى السياسي في العيد)،ج1.ص27.

[2] المصدر نفسه(اليمامتان)،ج1. ص23.

[3] المصدر نفسه(في الربيع الأزرق خواطر مرسلة)،ج1. ص41.

ثانياً: جملة ذات تركيبين إسناديين.

الجملة الأم	"فالقرآن والحديث يعملان في حياة أهل الأرض بنور متمم لما يعمله نور الشمس والقمر".[1]	
التركيب الأول	يعملان في حياة أهل الأرض... الشمس والقمر.	خبر المبتدأ
التركيب الثاني	يعمله نور الشمس والقمر	صلة الموصول

إذ اتسعت الجملة بالإخبار والصلة، وقد جاء هذا القول في معرض بيانه لأهمية القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكأنهما في عظم تأثيرهما الشمس والقمر اللذان يجعلان للحياة رونقها وجمالها. ومن ذلك قوله أيضاً :

الجملة الأم	"إن كلام نبينا يجب أن يترجم بفلسفة عصرنا وآدابه".[2]	
التركيب الأول	يجب أن يترجم بفلسفة عصرنا وآدابه	خبر الناسخ
التركيب الثاني	أن يترجم بفلسفة عصرنا وآدابه	مصدرمؤول فاعل

وفي هذا السياق جاءت الجملة المركبة منسوخة، واتّسعت بالإخبار بالجملة الفعلية التي جاء فاعلها مكونا من مركب إسنادي وهو المصدر المؤول (أن يترجم)، وجاءت هذه في الحث على التمسك بهدي نبينا صلى الله عليه وسلم،ونقل المعاني التي تدلّ عليها الأحاديث النبوية بما يلائم روح العصر الذي تحيا فيه الأمة واقعا من المأساة ببعدها عن سنته صلى الله عليه وسلم.

[1] المصدر نفسه (السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية)،ج3.ص6.

[2] الرافعي: وحي القلم (السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية)، ج3.ص 13.

ثالثاً: جملة ذات ثلاث مركبات إسنادية:

الجملة الأم	"خرجتُ أشهد الطبيعة كيف تصبح كالمعشوق الجميل لا يقدم لعاشقه إلا أسباب حبه".[1]	
التركيب الأول	أشهد الطبيعة ... إلا أسباب حبه	حال من تاء المتكلم
التركيب الثاني	كيف تصبح كالمعشوق ... إلا أسباب حبه	حال للطبيعة
التركيب الثالث	لا يقدم لعاشقه إلا أسباب حبه	حال للمعشوق الجميل

وقد اتّسعت هذه الجملة بثلاثة مركبات وقعت حالاً في كل منهاــ إذ جاءت صورة الحال جملة فعلية فعلها مضارع، وهو هنا يرسم صورة في غاية الجمال لمنظر الطبيعة التي خرج لمشاهدتها، وقد أطال الجملة ليعبّر عن أكبر قدر من معاني الجمال الذي بدا له في هذه الطبيعة.

رابعاً: جملة ذات أربعة مركبات إسنادية:

الجملة الأم	"جاء في تاريخ الواقدي أن (المقوقس) عظيم القبط في مصر، زوج ابنته (أرمانوسة) من (قسطنطين بن هرقل) وجهزها بأموالها حشماً لتسير إليه".[2]	
التركيب الأول	أن (المقوقس) عظيم القبط ... لتسير إليه.	مصدر مؤول فاعل
التركيب الثاني	زوج ابنته (أرمانوسة) ... لتسير إليه.	خبر الناسخ
التركيب الثالث	وجهزها بأموالها حشماً لتسير إليه.	معطوفةعلى خبر الناسخ
التركيب الرابع	لتسير إليه.	مصدر مؤول في محل جر

[1] الرافعي: **وحي القلم** (الربيع) ج1. ص 29.

[2] المصدر نفسه (اليمامتان)، ج1 ص 12.

وقد اتسعت الجملة الفعلية بالمصدرالمؤول والإخبار والعطف ثم بالمصدر المؤول مرة أخرى، وقد جاءت الجملة الخبرية لتنقل خبرا عاديا، وهو ما يعرف عند البلاغيين بفائدة الخبر، وإن كان في الجملة معنى التفاخر ظاهرا بما صنعه المقوقس، لكن الرافعي لم يكن إلا مجرّد ناقل للخبر ومحدّثا عنه.

خامساً: جملة ذات خمسة مركبات إسنادية.مثال:

الجملة الأم	"وكانت مكة هذه صخراً جغرافياً يتحطم ولا يلين، وكأن الشيطان نفسه وضع هذا الصخر في مجرى الزمن ليصد به التاريخ الإسلامي عن الدنيا وأهلها".[1]	
التركيب الأول	يتحطم ولا يلين.	صفة
التركيب الثاني	ولا يلين.	معطوفة
التركيب الثالث	وكأن الشيطان نفسه ... عن الدنيا وأهلها	حال
التركيب الرابع	وضع هذا الصخر في مجرى الزمن ...	خبر الناسخ
التركيب الخامس	ليصد به التاريخ الإسلامي عن الدنيا وأهلها	مصدر مؤول في محل جر

وقد اتسعت هذه الجملة بخمسة أسانيد، وهي الصفة والعطف والحال والإخبار وبالمصدر المؤول كما يتضح في الجدول أعلاه، والرافعي بهذا القول يبرز عظم الأثر الديني لمكة المكرمة على مجرى التاريخ، وكأنه صخرة لا يمكن مقاومتها مهما كان العتاد والقوة التي تواجهها.

[1] الرافعي: وحي القلم (وحي الهجرة) ج2. ص18.

سادساً: جملة ذات ستة مركبات إسنادية:

الجملة الأم	"فعصرنا هذا مضطرب مختل إذ لا إمام فيه يجتمع الناس عليه، وإذ كل من يزعم نفسه إماماً هو من بعض جهاته كأنه أبو حنيفة ولكن بغير فقه".[1]	
التركيب الأول	لا إمام فيه يجتمع الناس عليه ...	في محل جر بالإضافة
التركيب الثاني	يجتمع الناس عليه ...	صفة
التركيب الثالث	كل من يزعم نفسه إماماً هو... بغير فقه	في محل جر بالإضافة
التركيب الرابع	يزعم نفسه إماماً هو... بغير فقه	صلة الموصول
التركيب الخامس	هو من بعض جهاته كأنه ...	خبر المبتدأ الأول
التركيب السادس	كأنه أبو حنيفة ولكن بغير فقه	خبر المبتدأ الثاني

وهنا اتسعت الجملة بالإضافة والوصف والصلة والإخبار لتتشكل من ستة مركبات إسنادية إضافية غير الإسناد الرئيس فيها، ولا شكّ في أن الحديث عن ظاهرة دينية فقهية ونقدها أسهم في إطالة الجملة إلى ستة مركبات إسنادية، فالرافعي يعيب على أهل هذا الزمان ما هم فيه، إذ أصبحوا على غير قلب رجل يجمعهم؛ لأنّ الدين ينقصهم، ولم يعد بينهم إمام يجمع كلمتهم، وإن وجد فإنه كأبي حنيفة لكنه بلا فقه يوجه به غيره ويرشده إلى الطريق السليم.

[1] الرافعي: وحي القلم (أبو حنيفة ولكن بغير فقه) ج3. ص201.

سابعاً: جملة ذات سبعة مركبات إسنادية، كما في قوله واصفا الأطفال في العيد.

الجملة الأم	"هؤلاء الحكماء الذين يشبه كل منهم آدم أول مجيئه إلى الدنيا حين لم تكن بين الأرض والسماء خليقة ثالثة معقدة من وضع الإنسان المتحضر، حكمتهم العليا أن الفكر السامي هو جعل السرور فكراً وإظهاره في العمل، وشعرهم البديع أن الجمال والحب ليسا في شيء إلا في تجميل النفس وإظهارها عاشقة للفرح".[1]	
التركيب الأول	يشبه كل منهم آدم ... وإظهارها عاشقة للفرح	صلة الموصول
التركيب الثاني	لم تكن بين الأرض والسماء خليقة	جملة منسوخة في محل جر بالإضافة
التركيب الثالث	حكمتهم العليا إن الفكر السامي هو جعل السرور فكراً	خبر المبتدأ الأول
التركيب الرابع	إن الفكر السامي هو جعل السرور فكراً	مصدر مؤول خبر المبتدأ الثاني
التركيب الخامس	وشعرهم البديع أن الجمال والحب ليسا في شيء ... عاشقة للفرح	جملة معطوفة على خبر المبتدأ الأول
التركيب السادس	أن الجمال والحب ليسا في شيء إلا في تجميل النفس ...	مصدر مؤول خبر المبتدأ شعرهم
التركيب السابع	ليسا في شيء إلا في تجميل النفس ...	خبر الناسخ أن

[1] الرافعي: **وحي القلم** (اجتلاء العيد) ج1 ص 25

وقد امتدت الجملة هنا إلى سبعة مركبات إسنادية غير المركب الإسنادي الرئيس، من خلال صلة الموصول والإخبار والمصدر المؤول والعطف، وليس غريبا أن نسمي هذا الكلام جملة، لأننا لا يمكن أن ننتزع جزءا منها ونحافظ على المعنى الذي أراده الرافعي، وخصوصا أنني أشرت في بداية الحديث عن الجمل بأنها الكلام الذي يعطي معنى سواء أطال أم قصر، وربما من أكثر حاجات الرافعي لإطالة تركيبه بث الفكرة التي يؤمن بها حتى يوضّح كل ما يمكن أن يثار حولها، فهو يدعو إلى السرور ويحبّ كل من يدعو إليه، بحيث ينظر الإنسان إلى دنياه بتفاؤل وأمل مهما كانت الظروف التي تحيط به، وهذا يلقى على عاتق الحكماء أكثر من غيرهم، وهذه الجملة دعوة صريحة للإنسان بأن يكون دائم الفرح والسرور متفائلا بما هو آتٍ، فالجمال كله رهين تجميل النفس وحضّها على الحبّ والفرح، وما على الكبار إلا أن يتعلموا من الأطفال في العيد معنى هذا الفرح وهذا السرور الذي يدعو إليه.

ثامناُ: جملة ذات ثمانية مركبات إسنادية.

الجملة الأم	"وما ينشأ الناس في ثلاثة أعمار، فيشبون ويكتهلون ويهرمون، إلا لتختلف شهواتهم وتختلف مقادير الرغبة فيها فتتحقق من ثم تلك الحكمة الإلهية في التدبير ويجد الشرع محله بينهم، كما يجد العصيان بينهم محله".[1]	
التركيب الأول	فيشبون	معطوفة
التركيب الثاني	ويكتهلون	معطوفة
التركيب الثالث	ويهرمون	معطوفة
التركيب الرابع	لتختلف شهواتهم وتختلف مقادير الرغبة فيهم	مصدر في محل جر
التركيب الخامس	وتختلف مقادير الرغبة فيهم ...	معطوفة

[1] الرافعي: **وحي القلم** (الشيطان) ج2 ص191.

التركيب السادس	فتتحقق من ثم تلك الحكمة الإلهية ...	معطوفة
التركيب السابع	ويجد الشرع محلهم بينهم	معطوفة
التركيب الثامن	كما يجد العصيان بينهم محله	مصدرفي محل جر

ونلاحظ في هذه الجملة أن العطف هو الأساس في اتساعها ثم يأتي المصدر المؤول كما هو الحال في التركيب الرابع والأخير، فالحكمة الإلهية تتحقق في الخلق نتيجة اختلاف شهواتهم ومقادرير الرغبة لدى كلّ منهم، وهذا ناشئ عن مرور الإنسان بمراحل عمرية مختلفة كفترة الشباب والكهولة والهرم، فهو يبين حالات النفس البشرية في أزمنتها المختلفة، إذ تختلف الشهوات ومقادير الرغبة من سن لأخرى، ومن إنسان لآخر لذا فإن بعضهم يحظى بما بشر به الدين الإسلامي من أجر لأهل الخير والصلاح، ويلقى قسم آخر عقابه إذا انصاع لشهواته وميول نفسه الأمّارة بالسوء.

تاسعاً: جملة ذات تسعة مركبات إسنادية.مثال:

الجملة الأم	"وما الشهادة للنبوة إلا أن تكون نفس النبي أبلغ نفوس قومه، حتى لهو في طباعه وشمائله طبيعية قائمة وحدها، كأنها الوضع النفساني الدقيق الذي ينصب لتصحيح الوضع المغلوط للبشرية في عالم المادة وتنازع البقاء وكأن الحقيقة السامية في هذا النبي تنادي الناس: أن قابلوا على هذا الأصل وصححوا ما اعترى أنفسكم من غلط الحياة وتحريف الإنسانية".[1]	
التركيب الأول	أن تكون نفس النبي أبلغ نفوس قومه...	خبر للمبتدأ
التركيب الثاني	لهو في طباعه وشمائله طبيعة ... الوضع النفساني	ابتدائية
التركيب الثالث	كأنها الوضع النفساني الدقيق ... وتحريف الإنسانية	صفة

[1] الرافعي: وحي القلم (الإشراق الإلهي وفلسفة الإسلام) ج2 .ص6.

التركيب الرابع	ينصب لتصحيح الوضع المغلوط للبشرية ...	صلة الموصول
التركيب الخامس	وكأن الحقيقة السامية في هذا النبي ...	معطوفة
التركيب السادس	تنادي الناس: أن قابلوا على هذا الأصل ...	خبر الناسخ كأن
التركيب السابع	قابلوا على هذا الأصل ...	جملة تفسيرية
التركيب الثامن	وصححوا ما اعترى أنفسكم	معطوفة
التركيب التاسع	اعترى أنفسكم من غلط الحياة	صلة الموصول

فالجملة في هذا التركيب امتدت إلى تسعة مركبات إسنادية، اتّسعت بالعطف والصلة والإخبار وبالجملتين الابتدائية والتفسيرية، وفد جاءت في معرض حضّه على التمسك بهدي النبي –صلى الله عليه وسلّم– بسبب ما اعترى النفوس من حبّ الحياة وشغفها، فهو الأساس الذي أوجده ربّ العزة لتصحيح أوضاع الناس وأحوالهم، لأنّه طبيعة قائمة بذاته أساسها توجيه السلوك الإنساني نحو الصواب والبعد عن الغلو والإسراف في حب الدنيا ومظاهرها الزائلة، فالمركبات الإسنادية في الجملة جاءت تفسر ما ورد في صدرها ويسوغ الحكم الذي جعله يقول إن أكبر شهادة وأبلغها على النبوة أن يكون النبي أبلغ نفوس القوم الذي ينتمي إليه صلى الله عليه وسلم.

عاشراً: جملة ذات عشرة مركبات إسنادية، يقول:

الجملة الأم	"ولو كان للموت قطار يقف على محطة الدنيا، ليحمل الأحباب إلى الأحباب ويسافر من وجود إلى وجود، وكانت هذه الأم جالسة في تلك المحطة منتظرة تتربص، وقد ذهلت عن كل شيء وتجردت من كل معاني الحياة، وجمدت جمود الانتقال إلى الموت لما كانت إلا بهذه الهيئة في مجلسها الآن في شرفتها من قصرها، تطلّ على الليل المظلم وعلى أحزانها".[1]	
التركيب الأول	يقف على محطة الدنيا ليحمل ... وعلى أحزانها	في محل رفع صفة
التركيب الثاني	ليحمل الأحباب إلى الأحباب ويسافر ... وعلى أحزانها	مصدر مؤول في محل جر
التركيب الثالث	ويسافر من وجود إلى وجود ...	معطوف على المصدر المؤول
التركيب الرابع	وكانت هذه الأم جالسة في تلك المحطة	معطوف
التركيب الخامس	تتربص	في محل نصب حال
التركيب السادس	وقد ذهلت عن كل شيء ...	في محل نصب حال
التركيب السابع	وتجردت من كل معاني الحياة ...	معطوفة
التركيب الثامن	وجمدت جمود الانتقال إلى الموت ...	معطوفة أيضاً
التركيب التاسع	لما كانت إلا بهذه الهيئة في مجلسها الآن ...	جواب الشرط لا محل له من الإعراب
التركيب العاشر	تطل على الليل المظلم وعلى أحزانها.	في محل نصب خبر كان.

[1] الرافعي: **وحي القلم** (بنت الباشا) ج1. ص83.

فالمعنى لا يتم إلا بتمام هذه الفقرة التي تشكل جملة طويلة وممتدة إذ اتسعت بالوصف والمصدر المؤول والعطف والحال والإخبار كما في الجملة الأخيرة، وهو يريد أن يقول على الإنسان أن يبقى على يقظة من الموت، فهو الذي يقطع وصال الأحبة ويحول دون دون بقاء الناس على أحوالها، ولا غرابة أن تتسع الجملة في مقالات الرافعي إلى هذا الحد، فهو يميل إلى تعقيد البناء اللغوي لجملته وإطالته حينما يحتاج الأمر توضيحا وتفصيلا.

تلك صورة موجزة عن الجملة الكبرى في مقالات الرافعي، حيث اكتفت الدراسة بمثال واحد لكلّ نمط من أنماط الجملة الكبرى حتى لا تتشعب وتطول، إذ كان الغرض منها تقديم صورة عن تركيب الجملة عنده لبيان ما أشرت إليه بداية، حيث ذكرنا أنّ الرافعي يميل إلى الإطالة وتعقيد البناء في نسج جمله إذا ما تطلّب السياق ذلك منه، وهو ما كشفت عنه الصفحات السابقة في الحديث عن أنماط الجملة المركبة حسب ورودها في مقالات الرافعي.

ولو تتبعنا هذه الأنماط الواردة عنده لوجدنا جملا تمتدّ إلى أكثر من عشرة تراكيب إسنادية غير الإسناد الرئيس فيها، وإنما الوقوف على هذا العدد القليل ما هو إلا للتدليل على تعقيد البناء واتّساع الجملة عنده، وليس لحصر هذه الجمل وبيان الأشكال كافة التي نسجت عليها الجملة الرافعية.

وحتى تتضح صورة الجملتين الكبرى والصغرى كان لا بدّ من نماذج تطبيقية لنص كامل من المقالات، بحيث يتم إبراز طبيعة المقالات التي جاءت الجمل فيها طويلة وممتدة، وتلك التي التي جاءت فيها الجمل بسيطة أو صغرى.

3 – بين الجملتين الصغرى والكبرى دراسة تحليلية دلالية.

غدت ظاهرة إطالة الجمل وتعدد الأسانيد فيها علامة تميز أدب الرافعي، فهو يعرض فكرته بإسهاب شديد يقوم على التعاضد بين أجزاء الجملة الواحدة، لكنّ الرافعي في علاج القضايا الدينية التي يتناولها من منظوره القائم على التمسك بمبادئ الدين كان كثيرا ما يقدم جملته كالقواعد التي ينبغي أن تؤخذ مأخذ التسليم، وهنا في هذه المواضيع كانت الجملة لا تطول

ولا تتعدد فيها الأسانيد غالبا، أمّا مقالاته الاجتماعية التي تحتاج إلى توضيح فكرته وبسط الرأي كاملا فيها حتى ينجلي للقراء، فكانت الجملة فيها تطول كثيرا بين المقيدات والمركبات الإسنادية، وكذلك مقالاته العاطفية والوجدانية التي كان يعبر فيها عن حبه العميق، وأنفاسه الطويلة في خوض هذه التجربة العاطفية، وأقف عند مقالتين للرافعي يعمد في إحداهما إلى قصر التراكيب، والأخرى يعمد فيها إلى إطالتها حسب الغرض الذي ترمي إليه المقالة والموضوع الذي تعالجه.

فمن الأمثلة على المقالات التي تحتشد فيها الجمل الصغرى مقالته الدينية (احذري)[1] التي يخاطب فيها المرأة الشرقية محذرا لها من التبعية للمرأة الأوروبية وتمدنها، وذلك من منطلق ديني وإسلامي، وهو في مثل هذه المقالات يخاطب المرأة واضعا لها القوانين الشرعية التي يستمدها من تعاليم الإسلام، لذا يجب ان تؤخذ مأخذ التسليم، وهذه المقالة ترجمة عن قصيدة متخيلة من الملَك يصوغها الرافعي في قالب من حِكَمه للمرأة الشرقية فيما تتوجس منه وتحاذر، فهو في هذه الترجمة يكثر من قوله :"أيتها الشرقية! احذري ! احذري! فجملة (احذري) لم تكن مقيدة بالزوائد اللفظية بل جاءت مكونة من الفعل وفاعله فقط، لكنّ هذا التركيب البسيط يقوم على تكثيف المعنى؛ إذ إنّ ثمة أمورا ينبغي للمرأة الشرقية أن تحذر منها، لأن من شأنها أن تحطّ من كرامتها، وتأتي بما يعترضه الإسلام ويخالف العادات التي نشأت عليها، وتحلّ المحرمات، وتدعو إلى السفور، وغيرها من المعاني يختزلها الرافعي في هذا التركيب البسيط "احذري".

يقول :"احذري تلك الأنوثة الاجتماعية الظريفة إنها أنتهاء المرأة بغاية الظرف والرقة إلى الفضيحة"[2]، فهو يبدأ هنا بتوضيح ما يجب على المرأة ان تحذر منه من خلال تركيبين من الجمل الصغرى، ففي التركيب – الأول المكون من الفعل والفاعل والمفعول به المقيد بنعتين– يحذر من الأنوثة التي باتت حاجة من حاجات المجتمع الذي يسلك طرقه وراء ما تدعو إليه ثقافة الغرب من السفور والانحلال، لكنه يوضّح من خلال تركيب آخر معنى الأنوثة الاجتماعية،

---

[1] انظر: الرافعي: **وحي القلم**،ج1، ص251 – 255.

[2] الرافعي: **وحي القلم**، ج1، ص251.

يقول :" إنها انتهاء المرأة لغاية الظرف والرقة إلى الفضيحة"[1]، حيث جاء التركيب من الحرف الناسخ واسمه وخبره وشبه الجملة، فيبن أنّ وراء هذه الأنوثة هلاكا ودمارا يقودان إلى الفضيحة التي تسود محل العفاف والوقار، لأنّ مؤدى هذه الأنوثة الاختلاط بالرجال، والتبرج، وحضور المراقص، وأماكن اللهو وغيرها مما يقود إلى الفضيحة والانحلال والفجور.

ويقول محفزا المرأة الشرقية :"إن المرأة الشرقية هي استمرار لآداب دينها الإنساني العظيم"،[2] فهذا التركيب يتكون من مسند ومسند إليه وعدد من المقيدات الأخرى، وقد صدّره الرافعي بالناسخ (إنّ) الذي يفيد التوكيد، فهو هنا يذكر المرأة بما ورثته من الآداب السامية، والأخلاق الرفيعة، وتعاليم دينها الإسلامي العظيم، فالمعاني التي تتدفق من هذا التركيب عظيمة جدا؛ فهو ينعت الدين بأنه إنسانيّ ليبين المعاني التي تظهر إنسانية المرأة من خلال شعورها بمعنى الأمومة والرعاية والحنان والحرص الشديد على بيت الزوجية، وغيرها من المعاني السامية التي بينها الرافعي في تراكيب عدة كل منها يصلح أن يكون شعارا للمرأة الشرقية، إذ يقول: "هي الطهر والعفة"[3]، فهذا التركيب القصير بمبناه والغني بمعناه حثٌّ للمرأة كي تحفظ إنسانيتها من الوقوع في حبائل الدعوات الهدامة التي تنادي بحريتها، ويقول :"هي الوفاء والأنفة"[4]، فهي التي تفي بحق زوجها وهي التي تفي بحق ابنائها، وهي التي تفي بحق ذويها، وليس هذا فحسب بل هي صاحبة العزة بهذا الدور الذي تؤديه في مجتمعها. ويقول أيضا:"هي الصبر والعزيمة"[5]، فهو يكشف عن مدى المشقة التي تواجهها المرأة في حياتها من الحمل والرضاعة والعناية والتربية وغيرها، فتبدو بتأدية هذا الدور صاحبة عزيمة وصبر وثبات على الدين الإسلامي والأدب الرفيع الذي تربت عليه في حياتها وورثته منن آبائها وأجدادها.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** ، ص251.

[2] المرجع نفسه، ص252.

[3] المرجع نفسه، ج1،ص252.

[4] المرجع نفسه،ص252.

[5] المرجع نفسه،ص252.

ثمّ نجده يختم تراكيبه القصيرة بقوله :"هي كل فضائل الأم"[1] فهذا التركيب معنى جامع لكل ما تؤديه الأم من دور عظيم في خدمة مجتمعها، لأنها لبنة من لبناته التي يقوم عليها، وهكذا تتوالى التراكيب البسيطة ويغدو كل واحد منها شعارا للمرأة الشرقية أو حقيقة مسلمة، أو دستورا يعمق لديها معاني الإنسانية والاتزان والمسؤولية والرعاية، بحيث تكون في الذروة عندما تحقق اي معنى من هذه المعاني السامية، والمبادىء التي تكفل بناء المجتمع المتحضر.

ثم يقول :"احذري خجل الأوروبية المترجلة من الإقرار بأنوثتها"[2]، فهو هنا يحذر المرأة الشرقية من اقتفاء أثر الأوروبيات اللواتي غدت الأنوثة –في ظلال الانحلال الذي يعشن فيه– عيبا يتحرجن منه، فأظهرن الأنوثة المترجلة حتى أصبحت إحداهن تمارس ما يمارسه الرجال وتتنافس معهم فيما يخصهم من عادات وسلوكات وممارسات.

ويقول:" احذري تهوس الأوروبية في طلب المساوة بالرجل"[3]، فهو يعالج من خلال التراكيب البسيطة قضايا في غاية الأهمية، ويواجه دعوات هدامة في غاية السلبية، حيث إنه يريد أن يقول إنّ للمرأة ما يميزها عن الرجل وللرجل ما يميزه عنها، فلكل منهما دوره وأداؤه ومسؤوليته في المجتمع، ويوضح هذا القول ساخرا فيقول عن المرأة الأوروبية :" لقد ساوته في الذهاب إلى الحلاق ولكن الحلاق لم يجد في وجهها اللحية"[4]، وإن كان في هذا التركيب ثلاثة مركبات إسنادية، إلا أن التركيب الأول يمكن أن يعزل ويحتفظ بالمعنى، فهذا مظهر من مظاهر سخريته من النداءات التي يطلقها بعض بني قومه حول مساواة المرأة بالرجل، وهو يسخر قبل ذلك من الأوروبيات والتمدن في بلادهن، ثم يقول :" احذري هؤلاء الشبان المتمدنين بأكثر من التمدن"[5]، ويحذرها من مساعي الشباب لتحقيق المدنية المزعومة من خلال الاختلاط والانحلال الأخلاقي، فالواجب على المرأة ان تبالغ في الحذر، لأن كل ما يحيط بها من شأنه أن يحطّ من قدسيتها وطهارتها التي وجدت لتمثلها في مجتمعها أجمل تمثيل.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** ،ص252.

[2] المرجع نفسه،ص253.

[3] المرجع نفسه،ج1، ص253.

[4] المرجع نفسه ،ج1ص253.

[5] المرجع نفسه،ص253.

يقول في موضع أخر:" ليس لامرأة فاضلة إلا رجلها الواحد"[1]، وهذا مبدأ ديني وإنساني وأخلاقي واجتماعي يجب على المرأة أن تعي معناه جيدا، فلا أحد يفرض سلطانه إلا الزوج الذي معه وحده تسعد المرأة، أما مجموعة الرجال –إذا كان هناك اختلاط – فما هي إلا مجموعة شهوات لا يمكن أن تلبى لكل واحد لانعدام الاتفاق على هوى واحد ورأي واحد ومبدأ واحد. ويقرر الرافعي في موطن آخر مبدأ اخلاقيا للمرأة بقوله: " إنّ المرأة أشد افتقارا للشرف منها إلى الحياة"[2]، فالشرف للمرأة عند الرافعي لا تعدله الحياة بأكملها، فإمّا أن تعيش المرأة حياة شريفة يملؤها الطهر والعفة وإلا فلا.

هذه بعض التراكيب التي لم تتعدد فيها الأسانيد كثيرا، والتي يمكن عزلها من سياقاتها مع الاحتفاظ بمعنى تام، لكن يظل تعدد المركبات الإسنادية في الجملة الواحدة مذهبا من مذاهب كتابة الرافعي، لذا فإن هذه المقالة فيها الكثير من الجمل ذات المركبات الإسنادية المتعددة لكنني توقفت عند بعضها مما صلح أن يعزل عن سياقه.

امّا اتّكاء الرافعي على الجمل التي تمتد إلى أسانيد كثيرة فيظهر كثيرا في مقالاته العاطفية والوصفية، ففي مثل هذا النوع من المقالات يحتاج الرافعي إلى أكبر قدر ممكن من التعابير ليبرز ما في قلبه أو مخيلته، وما إطالة الجملة في مقالاته العاطفية إلا صورة عن نفَسَه الطويل الذي يتنفس من خلاله كل معاني الحب التي تملأ وجدانه، فهو يحشد التراكيب ويعمد إلى إطالتها كثيرا حتى تتضح الصورة التي تضمرها نفسه فيه، يقول في مقالته " عرش الورد"[3] التي كتبها في زفاف كبرى بناته "وهيبة" على ابن عمها :"كانت جلوة العروس كأنها تضيف من حلم توافت عليه أخيلة السعادة، فأبدعت إبداعها فيه، حتى إذا اتسق وتمّ، نقلته السعادة إلى الحياة في يوم من أيامها الفردى التي لا يتفق منها في العمر الطويل إلا العدد القليل لتحقق للحي وجود حياته بسحرها وجمالها"[4]، فالتركيب لا يمكن فصل جزء من أجزائه عنه إذا ما أردنا الاحتفاظ بمعناه التامّ، فقد جاء هنا مكونا من تسعة مركبات إسنادية، فهو يصف اللحظة التي اعتلت فيها ابنته

---

[1] انظر: الرافعي: **وحي القلم**، ،ص254.

[2] المرجع نفسه،ص254.

[3] المرجع نفسه، ج1، ص32 – 35.

[4] المرجع نفسه، ص32.

منصة الزفاف التي رآها كالعرش الذي يوحي بكل أصناف الجمال، وهذا العرش أخذت معـــاني السعادة تتوالى نحوه تترى، وهو ما نفهمه من كلمة توافت، فما كان من تلـــك الســـعادة إلا أن أبدعت في هذا الجو الجميل من الفرح إبداعا اتسق وتم بأبهى حلة، حتى غدا ذاك اليوم من الأيام القليلة في الزمن الطويل الذي لم يتحقق فيه معنى الحياة بسحرها وجمالها إلا نادرا في يوم عظيم كهذا اليوم الذي تعتلي فيه ابنته هذا العرش لزفافها.

ويقول في موطن اخر:" وعقد فوق هذا العرش تاج كبير من الورد، كأنما نزع من مفـــرق ملك الزمن الربيعي، وتنظر إليه يسطع في النور بجماله الساحر، سطوعا يخيل إليك أن أشـــعة من الشمس التي ربت هذا الورد لا تزال عالقة به، وتراه يزدهي جلالا، كأنما أدرك أنـــه فـــي موضعه رمز مملكة إنسانية جديدة تألفت من عروسين كريمين"[1]، فهو هنا يصف ما أحاط بهـــذا العرش من معالم الجمال، ويضفي على جماله الحقيقي جمال وصفه، فالورد الـــذي زيـــن بـــه العرش كأنما نزع من مفرق ملك الزمن الربيعي، وهذا التعبير يبرز عظم الجمال الذي أضـــفاه الورد إلى هذا العرش، إذ غدا الورد ساطعا كأنه أشعة الشمس لا تزال عالقة به؛ لأنـــه تربـــى تحت ضيائها، فهو يزدان فخرا وجلالا وكأنه ذو قدرة على الإدراك مكنته من الشعور بأنه فـــي موضعه رمز مملكة إنسانية قوامها عروسان كريمان. ثم يقول الرافعي متمما هذا المعنى الـــذي تعددت أسانيده ووصلت إلى اثني عشر إسنادا :"ولاح لي مرارا أن التـــاج يضـــحك ويســـتحي ويتدلل، كأنما عرف أنه وحده بين هذه الوجوه الحسان يمثل وجه الورد "[2]، وهو هنا يجعل التاج كأنه إنسان يدرك ما حوله، فأخذ يستحي ويتدلل ويضحك لأن كل الأنظار تتجه نحوه لما فيه من الجمال والروعة، فعرف بذلك أنه وحده الجدير بتمثيل وجه الورد بين الوجوه الحسان التي تنظر إليه.

وتتوالى أوصاف الرافعي لهذا المشهد العظيم الذي لم يشعر به من قبل؛ لأن هذه ابنته البكر، فهي أول فرحة له بأبنائه، يقول :" ونصّ على العرش كرسيان يتوهج لون الـــذهب فوقهمـــا، ويكسوهما طراز أخضر تلمع نضارته بشرا، حتى لتحسب أنه هو أيضا قد نالته من هذه القلوب

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** ،ص33.

[2] المرجع نفسه، ج1،ص33.

الفرحة لمسة من فرحها الحي"[1]، وهذا التركيب جاء مؤلفا من سبعة أسانيد، يتحدث فيه عن المكان الذي يجلس فيه العروسان، وهما كرسيان يتوهج لون الذهب فوقهما، وكلمة يتوهج تبعث في النفس صورة ساطعة من الضياء واللمعان والإشراق، وليس هذا فحسب، بل يكسوهما طراز أخضر يبعث في النفوس التفاؤل والفرح تلمع نضارته بشرا وسعادة وراحة للنفس يحسبها الرآي كأنما نزعت من القلوب الفرحة التي تحيط بهما.

ويقول واصفا المصابيح فوق هذا العرش :" وتدلت على العرش قلائد المصابيح كأنها لؤلؤ تخلق في السماء لا في البحر، فجاء من النور لا من الدر، وجاء نورا من خاصته انه متى استضاء في جو العروس أضاء الجو والقلوب معا "[2]، ففي هذا الوصف جاء هذا التركيب من ثمانية أسانيد تصف المصابيح بأنوارها فوق العرش، فهي تتدلى كأنها لؤلؤ لم يخلق في الأرض أو البحر بل في السماء، فخلق من أنوار السماء وحمل نورا معناه في النفوس أن النور في هذا المكان متى استضاء أضاءت من حوله الأجواء والقلوب فرحا وطربا وإعجابا بما تراه.

ويقول الرافعي عن هذا اليوم الذي فرح فيه فرحا عظيما بزفاف ابنته :" إنّ يوما كيوم عرش الورد لا يكون من أربعة وعشرين ساعة بل من أربعة وعشرين فرحا لأنه من الأيام التي تجعل الوقت يتقدم في القلب لا في الزمن، ويكون بالعواطف لا بالساعات، ويتواتر على النفس بجديدها لا بقديمها"[3]، وهذا التركيب جاء مكونا من ستة أسانيد، يبين فيه الرافعي أن هذا اليوم لا يحكم عليه بالمدة الزمنية ولا يحصى بالساعات؛ لأن موطن هذا اليوم في القلب بما يحدثه من فرح وسرور لا بما يمضى من الوقت، ويكون بالمشاعر والأحاسيس والعواطف لا بالساعات، وهو يتواتر على نفسه بما يجعلها تتذكره وتحلم به لا بما ينساه وينطوي مع مرور الزمن.

هكذا يتضح أن الرفعي في مقالاته العاطفية والوصفية يجعل من تنهداته الطويلة ذات النفس العميق كلمات تطول وتمتدّ بمقدار ما يحب ويتخيل، ويجعل أنفاس شوقه وحبه مدادا تمتلئ به الصفحات التي يرسم على جبينها لوحة من الكلمات المركبة تنقل دفقات عواطفه وأحاسيسه

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** ، ص33.

[2] المرجع نفسه، ص33.

[3] المرجع نفسه، ص34 – 35.

المرهفة بصورة تشنف الآذان، وتسحر العيون، وتطرب القلوب إذا ما استطاع القارئ أن يسمعها ويتخيلها ويعي حقيقتها.

وفي مقالته "انتصار الحب"[1] يطالعنا الرافعي في بدايتها بقوله :" كل ما يكتب عن حبيبين لا يفهم منه بعض ما يفهم من رؤية وجه أحدهما ينظر إلى وجه الآخر"[2]، فالتركيب هنا بني من خمسة أسانيد، يبين فيه الرافعي أن المعول عليه في الحب هو النظر في وجه المحبوب كي تبدي الملامح حقيقة هذا الحب، وليست العبرة فيما يكتب عنهما؛ لأن كل ما يكتب عنهما لا يعني شيئا أمام النظر في وجوه المحبين. وبهذا يتضح أن الرافعي ينزع إلى التطويل في بناء تراكيبه في المواضيع التي تحتاج تفصيلا منه وتوضيحا، وكذلك في المواضيع الوجدانية تكون صورة صادقة عما في قلبه من المشاعر، وبقدر هذه المشاعر تطول الجملة أوتقصر.

وثمة أمر لا بدّ من الوقوف عنده بعد أن تعرفنا إلى أنماط الجملة الخبرية، وهو الوقوف عند الدلالات التي تنمّ عنها الجملة الخبرية في مقالات الرافعي، وهو الغاية من دراسة هذه الجمل، وفيما يأتي بيان لهذه الدلالات التي يدور حولها المبحث الثاني من هذه الدراسة.

ثانيا: جماليات استعمال الجملة الخبرية.

يأتي الحديث في هذا المبحث عن جماليات الجملة الخبرية؛ إذ لا غنى عنها، فالمقالة التي ينزع الرافعي إلى كتابتها هي المقالة البيانية، من هنا كان لا بدّ للبلاغة وفنونها من الحضور في هذه الدراسة، والوقوف عند أسرار الجمال فيها من خلال المقالة التي يكتبها الرافعي، وهنا أتوقف عند الجملة الخبرية، وهي الجملة التي تحتمل الصدق أو الكذب أو يمكن أن نصف قائلها بأنّه صادق أو كاذب، وقد تحدثت كتب البلاغة عنها كثيرا، ووقف مؤلفوها عندها مطولا، فهي عند حسين جمعة "كل كلام يحتمل الصدق أو الكذب لذاته أو باعتبار اعتقاد قائله أو باعتبار الواقع الحقيقي أو الفني".[3] والأقوال فيها كثيرة أكتفي منها بما استخلصه عبد العزيز عتيق عنها

---

[1] انظر: الرافعي: **وحي القلم**،ج3،ص148.

[2] المرجع نفسه، ص148.

[3] جمعة،حسين: **جمالية الخبر والإنشاء دراسة بلاغية جمالية نقدية**، دمشق : منشورات اتحاد الكتاب العرب،2005م. ص 30.

بقوله : "ما يصح أن يقال لقائله إنّه صادق فيه أو كاذب. فإن كان الكلام مطابقا للواقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا".[1]

ولا شكّ في أنّ الحديث عن الجملة الخبرية يطول، وقد أسهب البلاغيون في الحديث عنه في مصنفاتهم، وأبرز ما تناولوه في هذه المؤلفات المقصود بالجملة الخبرية، وهو ما أشرت إليه بإيجاز، وتحدثوا كذلك عن أضرب الخبر وأغراضه الحقيقية وفق مقتضى الظاهر وخلافا لمقتضى الظاهر، ثمّ الدلالات البلاغية للجملة الخبرية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وعند الأدباء والشعراء، وأكتفي في هذه الدراسة بالحديث عنها – أي هذه الدلالات البلاغية – لأن أضرب الخبر وأغراضه وفق مقتضى الظاهر وخلافا لمقتضى الظاهر مبثوثة في كتب البلاغيين كثيرا.

- **الدلالات البلاغية للأسلوب الخبري عند الرافعي.**

إنّ الغوص إلى أعماق الجمل الخبرية يكشف عن دلالات يصعب الوصول إليها عند النظر فيها نظرة عابرة، فالتوسع الدلالي للجملة الخبرية يكشف عما يختلج في قلب صاحبها من مشاعر، والرافعي يكتب المقالة البيانية بأسلوب يقوم على البراعة في اختيار الألفاظ والتعابير وانتقائها بما يخدم فكرته التي يريد أن يعبر عنها في المجالات المختلفة، وقد خرجت الجملة الخبرية عن أغراضها الحقيقية إلى أغراض أخرى، وهي الأغراض الفرعية للجملة الخبرية التي يبينها البلاغيون، والجملة الخبرية عند الرافعي يتمثل جمالها بهذه الأغراض الفرعية التي يدلّ عليها السياق الواردة فيه، وهذه الأغراض أجملها فيما يأتي:

1- الدعاء: وهو يلمح من خلال السياق الذي يرد فيه، وله صيغ كثيرة مثل: رحمك الله، أبقاك الله، حفظك الله، ولا شكّ في أن هذه الجمل تتضح فيها ملامح الجمال والإثارة بتركيبها القصير الموجز، وهي تعبر عن عاطفة وانفعال لدى المتكلم إزاء المخاطب،[2] ومن ذلك قوله على لسان إبليس في حواره مع شيخ يدعى أبا عامر: "وهل ترى –رحمك الله– أغرب وأعجب وأدعى إلى

[1] عتيق ،عبد العزيز: **علم المعاني**، بيروت. لبنان: منشورات دار النهضة العربية.د.ت، ص46.

[2] ينظر: حسين جمعة. **جمالية الخبر والإنشاء دراسة بلاغية جمالية نقدية**. ص66.

الهزء والسخرية من أن أعظم العقلاء الزهاد العباد هو في جملة معانيه حيوان ليس له إلا نظرة واحدة في كل شيء"،[1] فإبليس كما يتضح يستخدم أعذب العبارات حتى يكون قريباً من قلوب الناس ويألفوه وكأن له مشاعر يفيض قلبه بها لأجل غوايتهم.

2 – الإنكار: قد يلجأ المتكلم إلى التعبير عن رفضه لما يقوم به المخاطب، وينكر عليه أفعاله من خلال الأساليب الخبرية والأساليب الإنشائية على السواء؛ "فالنظر إلى ظاهر الآية الكريمة " إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير".[2] يكشف عن انزعاج من يسمع صوت الحمار وإنكاره له، لكن الغوص في أعماق النص يكشف شيئاً آخر، وهو إنكار رفع الصوت في بعض الحالات غير المواتية نفسياً ومكانياً"،[3] ومن ذلك قول الرافعي: "إنّ الجواب على نهضة أمة نهضة ثابتة لا يكون من الكلام وفنونه بل من مبدأ ثابت مستمر يعمل عمله في نفوس أهلها"،[4] فهو ينكر نداء من ينادي بالنهضة المزعومة في زمن غابت فيه القيم، وعمت فيه الرذائل وانتشر فيه الانحلال والبعد عما كان عليه أجدادنا السابقون، ويعيب أي نهضة إن لم تكن على مبدأ ثابت يعمل في نفوس أهله الخير والصلاح.

3 – التبكيت: "وهو التأنيب بل هو نمط من الاستنكار الشديد إلى حدّ المبالغة في الاستهجان وتقبيح فعل من يدل عليه مضمون الجملة الخبرية"،[5] كما في قول الرافعي: " أسقطت الأديان من فضائلها مبدأ إرضاء النفس في هواها، وأسقطه الناس من قواعد معاملاتهم بعضهم مع بعض، فلا يقوم به إلا الغشّ والمكر والخديعة"،[6] فهو يستهجن ويؤنب من يجعل همه إرضاء النفس؛ لأنّ قوام مرضاتها يتطلب من صاحبه التخلي عن كثير من الطباع البشرية، فالرافعي يرفض

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (إبليس يعلم)،ج2. ص 170.

[2] سورة لقمان. آية 16.

[3] جمعة، حسين: **جمالية الخبر والإنشاء**، ص44.

[4] الرافعي: **وحي القلم** (نهضة الأقطار العربية)،ج3. ص 164.

[5] جمعة، حسين: **جمالية الخبر والإنشاء**،ص46.

[6] االرافعي: **وحي القلم** (المشكلة1)،ج1. ص 313.

هذا المبدأ، ويبكت صاحبه محذراً إياه من سوء عاقبته، لأنه لا يكون ولا يتحقق إلا بالغشّ والمكر والخديعة.

4 – التوبيخ: ومن أمثلته عند الرافعي قوله في حديثه عن التمدّن في أوروبا: "اخترع لقتل دينية معاني المرأة، كلمة الأدب المكشوف، وانتهى إلى اختراع السرعة في الحبّ فاكتفى الرجل بزوجة ساعة، وإلى اختراع استقلال المرأة، فجاء بالذي اسمه (الأب) من الشارع، لتلقي بالذي اسمه (الابن) إلى الشارع"،[1] فهو يذمّ حياة المجتمع الأوروبيّ ومن يدعو إليها، إذ جاءت بكلّ ما هو مناف للأخلاق ومعاني الإنسانية، فأصبح الابن بلا أب معروف، وتجردّت فيه المرأة من كلّ معانيها باسم الأدب المكشوف، لذا يوبّخ من ينادي بهذا التمدن، ولا يعدّه من التقدم والرقيّ كما يظنّ أصحاب القلوب الضعيفة الذين ينادون به.

5 – التحذير: وهذا لا يكون بأسلوب التحذير المعروف بمكوناته المحذّر والمحذَّر والمحذَّر منه، وإنّما يلمح من خلال الجملة الخبرية والسياق الذي ترد فيه، ومن ذلك قول الرافعي على لسان رسول عبد الملك في حديثه مع سعيد بن المسيب –رحمه الله– يقول: "ما تفر من حتف إلا إلى حتف، ولا ترحمك الأنياب إلا بمخالبها"، ويخبره بقوله أيضاً "ههنا هشام بن إسماعيل عامل أمير المؤمنين إن دخلته الرحمة لك استوثق منك في الحديد، ورمى بك إلى دمشق، وهناك أمير المؤمنين، وما هو والله إلا أن يطعم لحمك السيف يعضّ بك عض الحياة في أنيابها السم"،[2] فقد عُرف عن أبي محمد بن المسيب جرأته وقوته في قول الحق أمام خصومه، لذا جاء رسول عبد الملك محذراً إياه من وقوفه ضد عبد الملك، وأنّ مصيره لو صار إليه القتل والتعذيب، فهو يحذره مما يعمل ومما يقول بهذه العبارات التي تحمل له الوعيد والتهديد وتحذره مما هو فيه.

6 – إظهار الضعف والعجز: ومن ذلك قوله: "هذه الغانية ألهبت في دمي جمراً من جهنم فيها عذاب الإحراق وليس فيها الإحراق نفسه كيلا ينتهي منها العذاب"،[3] فهو يعبر عن عجز من

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (احذري)،ج1. ص 252.

[2] المرجع نفسه (قصة زواج وفلسفة المهر)،ج1. ص 104.

[3] المرجع نفسه(القلب المسكين)،ج3. ص98.

ينظر إلى الغانيات الفاتنات وضعفه إذا ما أصارته إلى حبها، فيلقى بعدها العذاب المعجز لطول زمانه وكأنه لا ينتهي لأنه من جمر جهنم يستمدّ حره.

7 – التحسر والتوجع: إذ يبرز فيها القائل الحالة النفسية المريرة له أو لغيره على ما يعتريه من الحزن والأسى والهمّ وكدر العيش، وغيرها مما يمكن أن يعترض حياته، ومما خرج إلى هذا الغرض عند الرافعي قوله: "فقدت أمي وأنا غلام أحوج ما يكون القلب إلى الأم، فخشي عليَّ أبي أن أستكين لذلة فقدها فيكون في نشأتي الذل والضراعة"،[1] وقد جاء هذا القول على لسان رجل فاضل مهذب كما يصفه الرافعي، وقد عبّر القائل في هذه الكلمات القليلة عن معان كثيرة تبرز حسرته وأساه، وما اعترى حالته النفسية من الضيق، فرحيل الأم عن أبنائها يعني حياة يغلفها الموت أو موت تغلفه الحياة.

8 – الفخر: ومنه قول الرافعي: "يخيل إليّ دائماً أني رسول لغوي بعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه"،[2] فهو يتفاخر بقدرته على التصرف في اللغة والبيان كأنه رسول أنيطت به مسؤولية الدفاع عن القرآن ولغته وبيانه.

9 – الاستعطاف والاسترحام: وهو في كثير من الأحيان يكون بإبراز حالات الضعف البشري والاستكانة والتوسل في سؤال الرحمة من الله سبحانه، ومنه قول الرافعي: "اللهم غفراً، ثم ماذا بعد يا صديقي المجنون"،[3] فهو يبرز ضعفه البشري أمام ربه بعد أن عرض له صاحبه صورة امرأة ينطق جمالها فيها. ثم يكرر مرة أخرى قوله: "اللهمّ رحمة ... اللهم عفواً".[4]

10 – المدح: وقد يكون المدح إنشائياً أو خبرياً، وهو ما نحن بصدده، ويقوم على تعداد صفات الممدوح والثناء عليه بما يستحقه، ومنه قول الرافعي في حديثه عن أولئك القائمين على ثورة عام 1919م، يصفهم بقوله: "كانوا في معاني قلوبهم لا في غيرها، فلست تراهم إلا عظماء في

---

[1] الرافعي: وحي القلم (المشكلة 1)،ج1. ص 314.

[2] المرجع نفسه (فلسفة القصة ولماذا لا أكتب فيها)،ج3. ص 243.

[3] المصدر نفسه (القلب المسكين)،ج3. ص 98.

[4] المصدر نفسه (القلب المسكين)،ج3. ص99.

عظمة المبدأ الذي ينتصرون له، أقوياء في قوة الإيمان الذي يعملون به، أجلّاء في جلال الوطن الذي يحيون ويموتون في سبيله"،[1] فهؤلاء الثائرون تمتعوا بمزايا قلّ نظيرها في عصرهم عند غيرهم؛ فهم عظماء وأقوياء في إيمانهم وهم أجلاء، فغدا هؤلاء الأنسب لهذا العمل بصفاتهم، وغدت هذه الصفات هي الأنسب لمن يقوم بهذا العمل وهو التحرر من الأخلاق الفاسدة.

11- الحثّ على السعي والجدّ وعلى أيّ أمر محمود: ومن ذلك قوله سبحانه: "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة"،[2] وقوله أيضاً: "ولمن خاف مقام ربه جنتان"،[3] فالله سبحانه وتعالى يحثنا من خلال الآيتين الكريمتين على العمل والسعي لنشر الخير، والقيام بالأعمال الصالحة، والخوف منه سبحانه؛ لأنّ هناك أمرا عظيما وجزاءً حسنا ننالة إذا ما امتثلنا أوامره سبحانه وتعالى، ومن الأمثلة على هذا الغرض عند الرافعي قوله: "في جمال النفس يكون كل شيء جميلاً، إذ تلقي النفس عليه من ألوانها فتنقلب الدار الصغيرة قصراً لأنها في سعة النفس لا في مساحتها هي"،[4] فالدعوة إلى تقديم كل جميل حتى يظهر الوجود جميلاً واضحة في كلام الرافعي، فالنفس إذا قدمت في حياتها كل أمر محمود وسعت لذلك وجدّت، رأت كل صغير عظيماً في حياتها فلم تعد تبتئس منه أبداً.

وبعد الوقوف عند هذه الأغراض التي عبرت عنها الجملة الخبرية ولا سيما عند الأديب مصطفى الرافعي، نستطيع القول بأنها -أي الجملة الخبرية- لم تقف عند حد الشكل اللغوي والنسق الوظيفي للكلمات بل إنها جاءت مليئة بالطاقات العظيمة، واستطاعت أن ترسّخ الفكرة بما يجعل القارئ قانعاً بما يقرأ من خلال قوة الدلالة وعظم التأثير اللذين جاءت هذه الجملة محملة بهما. ولا ننسى ما قاله عبد العزيز عتيق: "إن المعاني التي يحتملها لفظ الخبر ويدلّ عليها لا حصر لها، وإنها أكثر من أن تستقصى"،[5]ولكنني أوردتُ أبرز الأغراض التي دلت

---

[1] الرافعي: وحي القلم (الأخلاق المحاربة)،ج2. ص 259

[2] سورة يونس. آية 26.

[3] سورة الرحمن. آية46.

[4] الرافعي: **وحي القلم** (جفي الربيع الأزرق خواطر مرسلة)، ج1. ص 40.

[5] عتيق، عبد العزيز: **علم المعاني**. ص68.

عليها الجملة الخبرية عند الأديب مصطفى الرافعي، وهذه الأغراض التي بيّنتها أوضحها من قبلُ على جمعة في كتابه في جمالية الخبر والإنشاء الذي تمت الإشارة إليه في غير موضع مما تقدّم ذكره.

ثالثا: التقديم والتأخير.

يتكون الكلام المفيد من مجموعة كلمات لا يمكن أن ننطق بها دفعة واحدة، بل لا بدّ من تقديم شيء وتأخير شيء آخر، ولا بدّ من الدقة وحسن الاختيار فيما يبدأ المتكلم كلامه به، لأنّ تقديم شيء من حقه التأخير أو العكس قد يغير المعنى أو يضفي عليه شيئا جديدا، وهذا التغيير الناجم عن التقديم أو التأخير قد يقوي المعنى في موطن أو يفسده في موطن آخر؛ لذا لا بدّ من معرفة أسرار هذا الأسلوب والأثر الدلالي الذي يحدثه تقديم جزء من أجزاء الجملة على غيره، "فتقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباطا في نظم الكلام وتأليفه، وإنما يكون عملا مقصودا يقتضيه غرض بلاغي أو داع من دواعيها"،[1] وهذا الأسلوب البديع غدا في عرف الدارسين فنا من الفنون التي تتميز بها اللغة العربية، وهو ما أورده أحد الباحثين بقوله:"إنّ فنّ التقديم والتأخير كان ولن يبرح وراءه الكثير من عبقرية الأسلوب وحيويته، فهو في الحقّ طاقة أسلوبية ذات معين لا ينضب، وفيه تتجلى إمكانات المبدع في الصياغة والتعبير".[2]

وقد عرض له النحويون والبلاغيون ووقفوا عند أسراره وفوائده، فمن اللغويين أقف عند الزركشي الذي يقول: "وهو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق"،[3] ومن البلاغيين أقف عند قول الجرجاني: "التقديم والتأخير باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه،

---

[1] الرافعي: **وحي القلم**. ص136.

[2] ويس، أحمد محمد: **جماليات التقديم والتأخير في الدرس البلاغي**، مجلة علامات في النقد الأدبي– السعودية، م7، ع29، 1998م.

[3] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، القاهرة: دار الحديث، 1427 هـ – 2006م.ص 770.

ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قُدّم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"،[1] ولا ريب في أن هذه الكلمات من عالم كالجرجاني تنمّ عن عظم التأثير الناجم عن التقديم والتأخير الذي يظهر براعة الأسلوب اللغوي في الوصول إلى الغايات.

"والتقديم والتأخير في الشعر مثلهما في النثر يتمان بإدراك ووعي ويهدفان إلى قول المعنى وصدق التعبير وجمال العبارة"،[2] ولا بدّ للكاتب أن يدرك تمام الإدراك أن العبارة المكتوبة ما هي إلا صورة تكشف عما يدور في ذهنه، وقد أشار إلى هذا المعنى الدكتور منير المسيري بقوله: "إن ترتيب الكلام اللفظي الذي يتم بوعي وإدراك إنما هو نتاج الترتيب الذهني"،[3] والتقديم والتأخير كما بين الجرجاني نوعان:[4]

– **الأول: تقديم على نية التأخير**، حيث تحتفظ الكلمات المتقدمة بوظيفتها النحوية داخل الجملة مهما كان ترتيبها؛ فيبقى الخبر خبراً والمفعول به في رتبته دون تغيير

– **الثاني: تقديم لا على نية التأخير**، وفيه تتغير وظيفة الكلمة إذا تقدمت على غيرها، وأكثر ما تبرز هذه الظاهرة في تقديم الخبر المعرفة على المبتدأ المعرفة، أو تقديم الفاعل على فعله.

أمّا عبد العزيز عتيق فقد بينّ أنّ للتقديم والـــاخير أشكالا غير هذه، فالأول عنده: يكون بتقديم المسند على المسند إليه والعكس، والثاني: يكون بتقديم متعلقات الفعل عليه، والثالث يكون مختصا بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك، وله صور كثيرة كتقديم الأكثر على الأقلّ، وتقديم السبب على المسبب،[5] لكنني في هذه الدراسة لا أقف عند هذه الأشكال أو تلك التي بينها الجرجاني، وإنمّا أبحث في دلالات هذا الأسلوب أو الفن كما يسميه الباحثون، فثمة

---

[1] الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، د.ت ص106.

[2] المسيري، منير محمود، **دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم دراسة تحليلية**، ط1، القاهرة: مكتبة وهبة،1426هـــ.–2005م. ص 43

[3] المسيري، منير محمود، **دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريمدراسةتحليلية**. ص49

[4] انظر: الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص106.

[5] انظر: عتيق، عبد العزيز: **علم المعاني**، ص136 – 144.

دلالات للتقديم والتأخير عند الرافعي فيما يقدمه لنا من براعته البيانية، وأبرز هذه الأغراض يمكن أن نجملها فيما يأتي:

1 – العناية والاهتمام، حيث يلجأ المتكلم إلى تقديم ما هو أهم في نظره على غيره من سائر الأمور، كما جاء على لسان الرافعي في حديثه عن فصل الربيع، يقول :"في الربيع تظهر ألوان الأرض على الأرض، وتظهر ألوان النفس على النفس، ويعود كلّ شيء يلتمع لأنّ الحياة كلها ينبض فيها عرق النور"،[1] إذ قدّم الرافعي شبه الجملة في الربيع على الفعل الذي تعلقت به عناية بهذا الفصل دون غيره من فصول السنة، واهماما به لما يظهر فيه من روعة وحسن في مظاهر الطبيعة.

2– السخرية والتهكم، وتكون بأن يقدم الأديب ما يوحي بسوء عمل من يتكلم عنه من خلال وصفه بما لا يتصف به تقليلاً لشأنه، وسخرية من سوء عمله، وفظاظة خلقه، وقبح طباعه، وهو كثير في كلام العرب، ومنه قول الرافعي على لسان أحدهم الملقّب بالجاحظ: "يكون قوم يأكلون الدنيا بألسنتهم كما تلحس الأرض االبقرة بلسانها"،[2] حيث يسخر القائل من قبيح صنع هؤلاء الذين يسعون للنيل بكلّ قواهم مما يتاح لهم، ولو لم يعد ذلك عليهم بالمنفعة كما لو لحست البقرة الأرض بتقديم المفعول به (الأرض) على الفاعل (البقرة)، إذ لا تلحس هذه البقرة شيئا آخر كالكلأ أو الماء أو الطعام المختلف، وإنما الأرض فقط الجرداء، بحيث لا يعود ذلك عليها بالمنافع، حالها في ذلك كحال هؤلاء الذين يمارسون أعمالا لا تليق بآدميتهم التي فطروا عليها.

3– التشويق للمتأخر: وهو غرض يعمد إليه الأسلوب القرآني والشعراء والأدباء كثيراً، إذ يحاول فيه المتكلم أن يجعل من يستمع إليه يشتاق لما سيأتي لاحقاً، من ذلك قول الرافعي: "في جمال النفس يكون كلّ شيء جميلا، إذ تلقي عليه النفس من ألوانها فتنقلب الدار الصغيرة قصرا لأنّها في سعة النفس لا في مساحتها هي"،[3] فهو يصدّر جملته بشبه الجملة (في جمال النفس..)

---

[1] الرافعي: **وحي القلم**(الربيع)،ج1. ص29.

[2] الرافعي، **وحي القلم** (صعاليك الصحافة)،ج3. ص178.

[3] المصدر نفسه (في الربيع الأزرق)،ج1. ص40.

تشويقا للسامع ولفتا لانتباهه حول ما سيقوله عن الجمال، وكيف يكون ساميا فالصغير يصبح عظيما عند من تكون نفسه جميلة في نظرتها وحركاتها وتطلعاتها، وكلّ ما يصدر عنها.

4 – **النص على عموم السلب أو شمول النفي،** ويكون ذلك بتقديم الألفاظ الدالة على العموم كلفظة كل أو جميع على أداة النفي كقولنا: كل مقصر لا يفلح في دنياه وآخرته، فالمعنى سلب الفلاح وعدم احتماله في الدنيا والآخرة لمن كان مقصراً، ومما يدلّ على ذلك عند الرافعي قوله:"لست أقول إنّ نهضة الشرق العربي لا أساس لها، فإنّ لها أساسا من حمية الشباب وعلم المتعلمين وجهل أوروبا الذي كشفته الحرب ، لكن هذا كله لا يحمل ثقل الزمن الممتدّ، ولا يكفي لأن يكون أساسا وطيدا يقوم عليه بناء عدّة قرون من الحضارة الشرقية العالية، بل ما أسرعه إلى الهدم والنقض، لو صدمته الأساليب اللينة من الدهاء الأوروبيّ على اختلافها"،[1] فهو بقوله (هذا كله لا يحمل ولا يكفي) يجعل النفي شاملا لكلّ ما يمكن أن يظنه الناس كفاية للنهضة، كحمية الشباب وعلم المتعلمين، وجهل أوروبا من خلال لفظة (كلّ) التي جاءت مسبوقة بحرف النفي لتشمل جميع هذه المقومات والأسس.

5 – **الاحتقار والإهانة:** كما نراه في قول الرافعي في حديثه عن الصحافة وأصحابها، إذ لا يرضى بما يقومون به من ممارسات وسلوكات مشينة تقوم على تغيير الحقائق لمصالحهم المادية، يقول:"ولا يقتل النبوغ شيء كالعمل في هذه الصحافة بطريقتها"،[2] فهو هنا يقدّم كلمة النبوغ الواقعة مفعولا به على كلمة شيء الواقعة فاعلا، ازدراء بما يقوم به أهل الصحافة الذين يقتلون النبوغ فيهم بهذه المهنة المضللة للحقائق قبل أن يقتلوا شيئا آخر في أنفسهم.

6– **الافتخار:** يقول في حديثه عن التفرقة بين الغرب والعرب :"نحن الشرقيين نمتاز على الأوروربيين بأننا أقرب منهم إلى قوانين الكون، ففي أنفسنا ضوابط قوية مثبتة إذا نحن أقررنا مدنيتهم فيها، وهي بطبيعتها لا تقبل إلا محاسن هذه المدنية سبقناهم وتركنا غبار أقدامنا في

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (نهضة الأقطار العربية)،ج3. ص164.

[2] المصدر نفسه (صعاليك الصحافة)،ج3. ص177.

وجوههم، وكنا الطبقة المصفّاة التي ينشدونها في إنسانيتهم الراهنة"[1] فالرافعي فيما سبق يقدّم الحديث عن الشرقين على الأوروبين، ويقدّم الاسم نحن الشرقين على الفعل نمتاز، وكذلك الضمير نحن على الفعل أقررنا فخرا بأهل الشرق، وما هم عليه من خلق رفيع يسمو بمحاسنه فوق كلّ محاسن الغربيين الذين يظنون أن مدنيتهم تجعلهم أسمى من الأمم الأخرى، ولا سيما الشرقيين.

7- **التبرُّك**، ويرتبط غالباً بالله سبحانه أو ملائكته وكتبه وأنبيائه، ومنه قولنا: اسم الله اهتديت به، فيمكن أن نقول: اهتديت باسم الله لكن لفظ الجلالة يبقى له أثر في نفس المتكلم أو السامع، لذا يلجأ المتكلم إلى الابتداء بذكره، ومنه ما عبّر الرافعي عنه بقوله "ففي رجاء الله واليوم الآخر يتسامى الإنسان فوق هذه الحياة الفانية فتمرّ همومها حوله ولا تصدمه"، حيث تقدمت شبه الجملة في رجاء الله تبركا باسمه جلّ في علاه، وبهذا الاسم الأعظم يصبح كلّ أمر عسير يسيرا، ولا تعود عند الإنسان هموم إذا ما شعر بالقرب منه سبحانه، فتمرّ من حوله الخطوب الجسام ولا يلقي لها بالا بل إنّها بمعية الله تعالى تصبح وسيلة يتقرب بها العبد إلى ربّه جلّ وعلا، من خلال صبره وثباته أوقات الشدائد والمحن.

8- **تعجيل المسرة:** ومنه في القرآن الكريم قوله سبحانه: "عفا الله عنك لم أذنت لهم"[2] فلو جاء التعبير القرآني لم أذنت لهم عفا الله عنك لما أدى الغرض نفسه، وما أعطى المعنى المقصود من الآية، فالتعبير القرآني جاء مصدّراً بالعفو لإذهاب أي خوف من قلب الرسول –صلى الله عليه وسلم– إذ لو لم يكن كذلك لجاءت الآية مصدرة بالعتاب الذي يثير الخوف والحزن في القلب، ولا شكّ في أن الآية الكريمة تبين عظمة النبي –صلى الله عليه وسلم– عند الله سبحانه وتعالى الذي لم يرد مبادرته بالعتاب بل بخطاب التلطف مع الأحباب[3]. ومما يدل على هذا الغرض عند الرافعي قوله في العيد: "زمن قصير ظريف ضاحك، تفرضه الأديان على الناس ليكون لهم بين

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (ثبات الأخلاق)،ج2. ص73.

[2] التوبة، آية 43.

[3] انظر: المسيري: دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم. ص50.

الحين والحين يوم طبيعي في هذه الحياة التي انتقلت عن طبيعتها"،[1] فالرافعي يريد أن يبادر من يقرأ أو يسمع لما يقوله بما يدلّ على الفرح والمسرّة، وكان من الطبيعي ألا يجعل الفعل مشتغلا بضمير يعود على اسم قبله ويعبّر عمّا أراد بقوله تفرض الأديان على الناس زمنا قصيرا ظريفا ضاحكا ويكمل جملته دون اشتغال الفعل بهذا الضمير العائد إلا أنّ الرافعي يريد أن تلامس الكلمات الدالة على المسرة سمع من يتلقى كلماته أولا ثمّ يخبر عن الأديان التي تفرضه على الناس.

9 – تعجيل المساءة أو التشاؤم: حيث يميل الكاتب إلى إثارة التشاؤم في نفس المتلقي بسبب ما يلقيه في ختام جملته، وكأنه يقول للقارئ إن هناك ما يسيئ ويجعل النفس كئيبة متشائمة، ومنه قول الرافعي في حديثه عن المترجمين الذي ينقلون لنا معنى المدنية في أوروبا: "أقول ولا أبالي : إننا ابتلينا في نهضتنا هذه بقوم من المترجمين احترفوا النقل من لغات أوروبا ولا عقل إلا عقل ما ينقلونه: فصنعتهم الترجمة من حيث يدرون أو لا يدرون صنعة تقليد محض ومتابعة مستعبدة، وأصبح عقلهم بحكم العادة والطبيعة إذا فكّر انجذب إلى ذلك الأصل لا يخرج عليه ولا يتحوّل عنه"،[2] فهو يومئ بقوله لا أبالي ولفظة ابتلينا اللتين استخدمهما في بداية الحديث إلى ذكر ما يدلّ على التشاؤم والمساءة ليذكر بعدها حال أولئك الذين غرّتهم المدنية الأوروبية من المترجمين، ويشنّع من صنعهم الذي يمارسونه حيث يجعلون الضارّ نافعا والباطل حقا والرذائل فضائل، كل هذا باسم المدنية الأوروبية، فعقول هؤلاء المترجمين تنطلق لتنجذب لهذه المدنية ولا تنادي إلا بها، وتجعلها مقدّمة على عادات المسلم وتقاليده وأخلاقه. ومن ذلك قوله أيضا "ويل يومئذ للمسلمين ويل يومئذ للمسلمين" حيث يعبر فيها عن تشاؤمه من موقف من لا همّ له ولا عناية عنده بأمر إخوانه الذين أصابتهم المحن، فلم تتحرك مشاعرهم ولم تتأثر قلوبهم، وما كان منهم إلا الجفاء والبعد عن الوقوف إلى جانب إخوانهم، فإن هذا كله يبعث في النفوس التشاؤم والمساءة مما يجعل النفس كئيبة.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم**،ج1(اجتلاء العيد)، ص23.

[2] المرجع نفسه ،ج2(ثبات الأخلاق)، ص74.

10 – **إفادة التخصيص**، ويكون ذلك بتقديم الفاعل الحقيقي على فعله المنفي أو تقديم شبه الجملة على الفعل الذي تتعلق به، ومن ذلك قوله :"فأما الإرادة القوية فلا تنقص الشرقيين"،[1] فهو هنا إنّما يريد أن يقول لنا إن الشرقيين قد تنقصهم بعض الأمور لنهضة بلادهم، أما الإرادة فهي لا تنقصنا البتة، وهي السلاح الأعظم الذي يمتلكه الشرقيون، فهو يقدمها على الفعل المنفي تخصيصا لها إيمانا منه بأنها راسخة متجذرة في النفوس الشرقية، وهذه الإرادة دون غيرها من العوامل تعدّ أساس النهضة وميزانها الأكبر، لكن الحالة القائمة لا تبشّر بخير رغم هذه الإرادة؛ لأن مساوئ الغرب تصبّ في العقول الشرقية صبّا، فلم يعد للأخلاق والدين أثر في حياتهم، إذ يقول معبرا عن هذا الأسى: "فلا الدين بقي فينا أخلاقا ولا الأخلاق بقيت فينا دينا"،[2] فهو يقّدم كلمتي الدين والأخلاق المسبوقتين بالنفي على الفعل بقي تخصيصا لهما وبيانا لدورهما، فيخصصهما لما لهما من أهمية في حياة المسلم، بل لا شيء يسمو بالإنسان مثل الدين والأخلاق، فهو بتقديم النفي عليهما وبتقديمهما على الفعل يشير إلى هذه الخصوصية، ويبين مدى الأثر الذي يترتب على وجودهما في حياة أبناء أمة الشرق المسلمة.

11 – **الترحم والشكوى**، ويلجأ إليه الأدباء والشعراء عندما يعبرون عن الظلم الذي يتعرضون له أو تتعرض له أمتهم، وبثّ مشاعر الحزن والأسى على الحال الذي صاروا إليه بعد أن كانوا سادة وقادة، ولا سيما عندما يحرمون مما يستحقون، ويحظى به غيرهم ممن لا يستحق، أو يكون أقل حاجة منهم، والأمثلة في كلام العرب وأشعارهم على ذلك كثيرة، وخصوصا في الأدب المعاصر الذي صارت فيه حياة العربي مرهونة بأيدي غيره، ومن ذلك قول الرافعي:"إنّ في شباب العرب شيخوخة الهمم والعزائم فالشباب يمتدّون في حياة الأمم وهم ينكمشون" ومنه أيضا قوله :" إنّ الأمر العظيم عند شباب العرب ألّا يحملوا أبدا تبيعة أمر عظيم"[3] ففي الجملة الأولى يقدّم الرافعي خبر الناسخ في شباب العرب على اسمه شيخوخة الهمم والعزائم تعبيرا عن الأسى والحزن على حالهم وليشكو أمرهم إليهم أولا وإلى غيرهم بعد ذلك، وفي الجملة الثانية يقدّم الظرف على خبر الناسخ شاكيا حال شباب الأمة الذين بات شعارهم الابتعاد عن تحمّل

---

[1] الرافعي: **وحي القلم**: ج3(نهضة الأقطار العربية)، ص164.

[2] المرجع نفسه. ص64.

[3] المرجع نفسه ، ج2، ص215

مسؤولياتهم التي ينبغي عليهم حملها وحمايتها مما تعرض له أمتهم في هذا الزمن الذي ضاع فيه كلّ شيء عظيم، وتاهت فيه العقول والقلوب.

12 – **صحة المقابلات**، وهو يفيد إبراز المعنى وجمال الصورة أو التعبير، وقد أكثر الرافعي من ذلك كثرة بالغة، والأمثلة عليها كثيرة ومتعددة، فكثيراً ما كان يبرز معانيه بكثرة المقابلات، ومنها ما قاله في حديثه عن النظرة إلى المدنية الغربية وكيفية التعامل معها، فهو يضع معايير لهذه النظرة معتمدا على الكلمات المتقابلة حيث جاء على لسانه : "فليس حقا علينا أن نأخذ سيئاتها من حسناتها، وحماقتها في حكمتها، وتزويرها من حقيقتها، وأن نسيغ منها الحلوة والمرّة، والناضجة والفجّة، وإنما نحن نحصلها ونقتبس منها ونرتجع منها الرجعة الحسنة، فلا نأخذ منها إلا الشيء الصالح مكان الشيء قد كان دونه عندنا وندع ما سوى ذلك"،[1] فما أراد الرافعي من هذه المقابلات إلا تعميق الصورة في ذهن من يتلقى كلماته، وإبراز الفكرة لتكون واضحة جليّة لمن أراد أن يأخذ من المدنية الغربية كلّ ما فيها، وإنّما على الإنسان أن يكون واعيا فيما يقول ويفعل ويتعرّف إلى المتناقضات ويأخذ خيرها ويترك ما دون ذلك؛ قلا يجمع بين القبيح والجميل، ولا يخلط العمل الصالح بالطالح، ولا يزيل الحدود بين الحقّ والباطل، وإنما يأخذ ذلك كله لأنه بات يعرف بالمدنية وهو ما يريد الرافعي أن يحذّر منه لئلا يلتبس على أهل الشرق شيء منه معتمدا على كثرة المقابلات التي تكشف الحقيقة وتجلّيها لكلّ عربي ومسلم.

هذه بعض الأغراض التي يؤديها التقديم والتأخير في العربية عموما، وفي مقالات الرافعي خصوصا، وثمة أغراض كثيرة لهذا الأسلوب أشار إليها البلاغيون في كتبهم، لكن ما ذكرته سابقا يمثل الأغراض البارزة لهذا الأسلوب عند الأديب مصطفى صادق الرافعي.

وإذا كان للجملة الخبرية هذه الأغراض التي أشرت إليها عند الحديث عن أغراض الجملة الخبرية، والتقديم والتأخير، فإنّ للجملة الإنشائية أثرا أيضا لا يقل عنها عند الرافعي؛ لذا كان لزاما أن أفرد لها بابا كاملا أتناول فيه الأساليب الإنشائية، وأكشف فيه عن الدلالات التي تشير إليها هذه الأساليب سواء أكانت هذه الدلالات حقيقية أم فرعية، وهو ما تناولته الدراسة في الفصل اللاحق وهو الفصل الثالث والأخير من فصولها.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (ثبات الأخلاق)،ج2،ص73.

الفصل الثالث

الأساليب الإنشائيةودلالاتها البلاغية

- الأساليب الإنشائية الطلبية.

1 - الاستفهام

2 - الأمر

3 - التمني

4 - النداء

- الأساليب الإنشائية غير الطلبية.

1 - المدح والذم

2 - القسم

3 - التعجب

الأساليب الإنشائية ودلالاتها البلاغية

القسم الأول:الأساليب الإنشائية الطلبية.

الإنشاء الطلبي "هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب"،[1] ومن أهم أساليبه الاستفهام والأمر والنهي، والتمني والنداء، ولست بصدد الوقوف عند الدراسات النظرية لهذه الأساليب، وإنما أتوقف عند استخدام الرافعي لها في "وحي القلم"، والأنماط التي جاءت عليها هذه الأساليب عنده، وأبرز الدلالات التي دلّت عليها، وكيفية استخدام الرافعي لها، ومدى حضورها عنده.

أولا: الاستفهام.

وهو "طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً بأداة خاصة"،[2] وهو عند ابن فارس "طلب خبر ما ليس عند المستخبر"،[3] وهو من أكثر الأساليب اللغوية استعمالاً؛ لأنّ الاتصال الكلامي يكون حواراً بين مستفهم ومجيب، والاستفهام طلب الفهم، ومن ثم فإن جملة الاستفهام جملة طلبية،[4] ولا شكّ في أن اللغة تستخدم وسائل عدة لطلب الاستفهام، منها استخدام الأدوات الخاصة به، أو عن طريق التنغيم والإشارات وغيرها، وما يهمنا هنا الأدوات المستخدمة عند الرافعي، وأنماط جملة الاستفهام، وأبرز دلالاتها البلاغية أو المعاني المجازية عنده، وفيما يأتي بيان لجملة الاستفهام وأنماطها ودلالاتها عند الرافعي.

أ. الاستفهام بالحروف، مع أن أحرف الاستفهام اثنان: (الهمزة وهل) إلا أنّها أكثر استخداما من الأسماء التي تفوقها عددا، وفيما يأتي بيان لاستخدام هذين الحرفين عند الرافعي:

---

[1] القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب: **الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع**، ط1،بيروت: دار الكتب العلمية،2003م-1424هـ. ص108.

[2] عتيق، عبد العزيز، **علم المعاني**،.ص 88.

[3] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **الصاحبي في فقه اللغة العربيةومسائلها وسنن العرب في كلامها**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م. ص 134.

[4] انظر: الراجحي،عبده: **التطبيق النحوي**، ط2، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1998م. ص299.

1 – الهمزة: يرى النحاة أن الهمزة أم باب الاستفهام، ويرى أكثرهم أنها الأداة الأصيلة فيه،[1] وهي من أكثر أدوات الاستفهام استعمالا عند الرافعي، حيث دخلت على الجملة الاسمية وعلى الجملة الفعلية على السواء، وفيما يأتي بيان لاستخدام الرافعي لها، والصور التي جاءت عليها عنده.

أ – دخولها على الجملة الفعلية ذات الفعل المثبت: ومن ذلك ما قاله مخاطبا فيه شباب العرب بعد أن آلت أحوالهم إلى ما آلت إليه من هلاك وويلات يقول:"أيجوع إخوانكم أيها المسلمون وأنتم تشبعون؟"[2]، فهو هنا يستنكر على شباب المسلمين العرب الرضوخ والوهن الذي جعل مشاعرهم لا تتحرك لنصرة إخوانهم في الأقطار المختلفة.

ومن ذلك قوله على لسان الشيطان:"أفتدري يا أبا عامر أنّي لا أعتري الحيوان قطّ؟"[3]، حيث جاء الاستفهام على لسان الشيطان لتقرير خبث فعاله بأنّه لا يمسّ إلا الآدمية، ولا يقترب من الحيوانات على اختلاف أشكالها؛ إنّ البشر وحدهم مكلفون بحمل رسالة الإسلام، وإنّما اتخذ الشيطان سبيل الغواية دأبا له، فما كان منه إلا أن اتجه بوساوسه وزخارفه للمنكرات والشهوات أمام ناظريّ الإنسان وليس أحد سواه.

ب– دخولها على الجملة الفعلية ذات الفعل المنفي: جاءت الجملة الفعلية بعد حرف الاستفهام منفيّة، من ذلك قوله:" ألا يستطيع إبليس القرن العشرين أن يخترع لذة مبتكرة"[4]، حيث جاء حرف الاستفهام الهمزة متبوعاً بجملة فعلية منفية، في حديثه عن أحد أبناء الأمراء الذين تركوا خلفهم المال والمتاع لأبنائهم، وكأن هؤلاء الأبناء لا يدعون مجالاً للهو إلا سلكوا طريقه، فهو هنا يعبر عن مقته وغضبه من هؤلاء الذين لا يأبهون لصرخات الضعفاء والمساكين وآهاتهم. وقد اتخذت الجملة المنفية مع همزة الاستفهام صورا أخرى منها:

---

[1] انظر: الأوسي، قيس إسماعيل: **أساليب اللطلب عند النحويين والبلاغيين**، بغداد: بيت الحكمة، 1988م.ص319

[2] الرافعي: **وحيالقلم** (يا شباب العرب)،ج2. ص225.

[3] المرجع نفسه (إبليس يعلم2)،ج2. ص169.

[4] المرجع نفسه (أحلام في قصر)، ج1، ص 77.

1 – الاستفهام بـــ(أما): "أما تترك طبعك في النكتة يا شيخ؟"[1] إذ جاء على لسان الحوذي لدى سؤاله عن اللقطاء، مَن هؤلاء؟ فقال: "هؤلاء هؤلاء يا أبا هاشم". فلمّا كانت الإجابة غامضة وفيها نوع من النكتة، أخذ أبو هاشم يحضّ المسؤول على ترك النكتة لا سيما في مثل هذه المواطن، فدخول الهمزة على (ما) فيه حضّ على ترك ما هو عليه من سجية قد عرف بها منذ عهد صاحبه به.

2 – الاستفهام بـــ(ألا): يقول الرافعي:"ألا ترى أن تلك الروايات توضع قصصا، ثم تقرأ فتبقى قصصا"[2]، فهو هنا يكلم قرّاءه ويحدثهم عن عدم رغبته في كتابة القصة، ويبين أنّ القصص المؤلفة ما هي إلا روايات معروفة عند الناس يغير فيها الكتاب شيئا ما، لكنها لا تلبث قليلا حتى تعود قصة، فالاستفهام هنا جاء لتنبيه المخاطبين إلى السرّ الكامن وراء عزوفه عن هذا الفنّ، وإن كان الرافعي كتب فيها إلا أن كتابته كانت قليلة عند مقارنتها بغيرها من الفنون وخصوصا فن المقالة.

ت – دخولها على الجملة الاسمية: يقول :"وظهر الشيطان زاهدا عابدا نقيا تقيا كأنه دين صحيح خلق بشرا، فصرخ فيه أبو عامر: عليك لعنة الله! أمعصية في ثوب طاعة؟"[3]، فهنا دخلت همزة الاستفهام على الجملة الاسمية ؛ إذ جاءت كلمة معصية مبتدأ رغم أنّها نكرة لوجود الاستفهام، وخبره شبه الجملة (في ثوب طاعة)، وقد جاء على لسان أبي عامر دالّا على تشنيعه من عمل ذاك الرجل الذي يتحدث باسم إبليس لسوء فعاله، الذي بدا أمام الناظرين إليه في أحسن صورة؛ لأنّ النفوس تألف الجمال وتهواه.

ث – دخولها على الجملة المنفية المنسوخة: ومن ذلك قوله:" أليس لجهنم حق في كبار أهل الفن كما للجنّة حق في نوابغه."[4] إذ دخلت همزة الاستفهام على الناسخ الذي يستخدم للنفي،

---

[1] الرافعي، **وحي القلم** (عربة اللقطاء)،ج1.ص294.

[2] المرجع نفسه (فلسفة القصة ولماذا لا أكتب فيها)،ج3. 234.

[3] المرجع نفسه (إبليس يعلّم 2، ج2.ص169.

[4] المرجع نفسه (حديث قطين)، ج1. ص47.

بحيث أفاد الاستفهام التصديق، وكان غرضه في سياقه التقرير والتأكيد على أن مصير أهل الفن من أصحاب الرذائل والفسوق جهنم، كما أن الجنة مصير الأتقياء من أهل الفنّ أيضاً.

ج – دخولها على حرف العطف: إذ جاء على لسان الشيطان قوله:"او لا ترى يا أبا عامر أنّ الحيلة محكمة في الداخل من الجسم أكثر مما هي محكمة في الخارج عنه، وأنّه لولا أنّ الباطن بهذا المعنى وهذا العمل لما كان لظاهر الوجود كله في الإنسان معنى ولا عمل"[1]، وهنا جاءت الهمزة قبل حرف العطف الواو خلافا لبقية أدوات الاستفهام، وقد جاء الاستفهام لتقرير حقيقة أن الوساوس إنّما تكون من داخل الإنسان، بحيث يعمل الإنسان عمله من الشر وهو على قناعة بما يفعله؛ لأن نفسه تزين له ذلك في داخلها، فلما تخرج إلى الظاهر والعلن يكون فرحا بصنعه الذي زينه له الشيطان، ونفسه التي استجابت لهذه الوساوس.

هذه أبرز الصور التي جاءت عليها همزة الاستفهام عند الرافعي، فيما اطّلعت عليه من نماذج، حيث كانت صاحبة الصدارة من بين أدوات الاستفهام الأخرى من حيث التكرار وكثرة والاستخدام.

2 – **هل:** "وهو حرف موضوع لطلب التصديق الإيجابي دون التصور ودون التصديق السلبي"[2]، وقد جاء استخدام (هل) عند الرافعي كثيرا، فهي تارة تدخل على الجملة الاسمية وتارة أخرى على الفعلية، وفيما يأتي بيان لهذه الصور التي جاءت عليها عنده:

أ – **ورودها مع الجملة الاسمية:** حيث جاءت (هل) مع الجملة الاسمية بصور متعددة، وفيما يأتي بيان لهذه الاستخدامات:

1 – ورودها مع الجملة الاسمية المصدرة باسم(مبتدأ): يقول :"هل كل الطباع كطبيعة بعض الناس تستطيع أن تعتلف قشور المدنية وتنصرف إلى مذاقها وسفاسفها؟"[3]، فهو يتحدّث عن أولئك

---

[1] الرافعي، **وحي القلم** (إبليس يعلم2)،ج2. ص169.

[2] ابن هشام، أبو محمد عبد الله بجمال الدين بن يوسف الأنصاري: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**،ج2. ص403.

[3] الرافعي: **وحي القلم**(النرأة والميراث)،ج3. ص374.

الذين آثروا أنفسهم وسفاسفها على الأخلاق السامية، وساروا خلف ما زعموه من مدنية، بحيث تجردوا بهذه الدعوى من كلّ شيء، فهو يعبّر عن دهشته واستغرابه منهم، لكنه ينفي أن يكون كلّ الناس قد جبلوا على هذه الطبيعة المنحرفة، وهذا يعني أنّ الاستفهام بـــ(هل) أدّى أكثر من معنى في آنٍ واحد، وما ذلك إلا دليل على قوة الأسلوب عند الرافعي وعظم تأثيره في تقديم المعنى الذي يرمي إليه.

2 – ورودها مع الجملة الاسمية المصدّرة بشبه جملة: يقول في حديثه عن النهضة العربية:"هل في الأرض نهضة ثابتة تقوم على غيرها؟"[1] جاء حرف الاستفهام (هل) وبعده شبه الجملة (في الأرض) الواقعة خبرا مقدما والمبتدأ مؤخر وهو كلمة (نهضة)، فهو هنا يشكّ في النهضة المزعومة لأنّها لا تقوم على أسس متينة وثابتة، وإنّما تعتمد على ثقافة الغرب ومعتقداته التي لا تتفق وتعاليم الإسلام وآدابه، وقد جاء الاستفهام هنا للنفي فلا يمكن أن يتحقق ذلك؛ لأنّ النهضة الثابتة لا بدّ أن يشيدها أبناء الأمة وفقا لتعاليم الدين والمبادئ الأخلاقية والقيم السامية في أيّ أمة من الأمم.

3 – ورودها مع إلا للحصر: إذ إنّ الرافعي يصف مجلة المقتطف بالجَدّ لعظم الدور الذي قامت به في نشر المعرفة والثقافة في أوساط الناس، ويقول متسائلا :"وهل الجد إلا أبوّة فيها أبوّة أخرى؟ وهل هو إلا عرش حيّ درجاته الجيل تحت الجيل؟ وهل هو إلا امتداد مسافاته العصر فوق العصر؟"[2]، فهو هنا يدلل على عظمة جريدة المقتطف التي كانت بمنزلة الجدّ، لها الدور الكبير في نشر ما يكتبه الأدباء، حيث يلجؤون إليها لنشر هذه الثقافة والوعي وكلّ ما تتضمنه الكتابات من معانٍ سامية وآداب رفيعة يطلّع عليها العامة والخاصة، من أهل الثقافة والفكر والاطّلاع.

4 – ورودها في جواب الشرط: قد تكون جواباً للشرط عند الرافعي من ذلك قوله:" إذا قيل إنّ نجماً دار في السماء أو قطع ما تقطعه النجوم من المسافات التي تُعجز الحساب، فهل في ذلك

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (نهضة الأقطار العربية)، ج3، ص165.

[2] المرجع نفسه (المقتطف والمتنبي)،ج3. ص349.

من عجب وهل فيه شكّ أو نظر أو تردد".[1] فهو هنا يريد إقناع القارئ بأن النبيّ محمد –صلى الله عليه وسلم– ما هو إلا نجم يهتدى به، لأن الله استعمل في سورة الإسراء كلمة ليل، وجلاء النجوم إنّما يكون ليلاً، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2]، وفي هذه الجملة نلاحظ أنّ جملة الاستفهام جاءت جواباً للشرط تأكيداً على عظمة محمد صلى الله عليه وسلم.

ب – ورودها مع الجملة الفعلية: واستخدامها مع الجملة الفعلية جاء بنسبة أقلّ من الجملة الاسمية، وقد جاء استخدامها مع الجملة الفعلية بصور متعددة أيضا:

1 – ورودها مع الفعل المضارع: يقول:" فهل يأكل الشيطان ويدّهن ويلبس ليكون له أن يجوع مع المؤمن ويعرى ويتشعّث ويغبرّ"،[3] فهنا دخلت (هل) على الجملة الفعلية المصدّرة بالفعل المضارع المثبت، وهو يتحدّث هنا عن الوسائل التي يستخدمها الشيطان، ومن يمثله من البشر الذين لم يكن للدين أثر في حياتهم من أجل غواية الآخرين، فالشيطان يظهر بصفات البشر وعاداتهم حتى يكون قريبا منهم ويألفوه فيما يقدّمه إليهم من وساوس وإغراءات، وقد جاء الاستفهام هنا للتعبير عن الدهشة والاستغراب مما يتخذه الشيطان من الوسائل للقيام بالغواية والضلال لمن يقع في حبائله.

2 – ورودها مع الفعل الماضي المبني للمعلوم: يقول الرافعي:"هل نسي الشرقيون أن لا حجّة للغرب في استعبادهم إلا أنّه يريد تمدينهم؟"[4]، فهو هنا يعبّر عن المأساة التي ألمّت بأمة العرب التي ما كان الغرب أن يستعبدهم لولا زعمه المدنية التي لم يرَ الشرقيون لها أثرا طيبا في حياتهم، ولم يجدوا فيها ما يمكنهم من الوصول إلى غاياتهم، فهو بهذا الاستفهام يريد أن ينبّه

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (فوق الآدمية الإسراء والمعراج)، ج2، ص30.

[2] سورة الإسراء، آية 1.

[3] الرافعي: **وحي القلم:** (إبليس يعلم)، ج2. ص167.

[4] المرجع نفسه (نهضة الأقطار العربية)،ج3. ص168

العرب وأمة الشرق عامة إلى الداء الذي يصيب قرائحهم السليمة، وينال من عزائمهم وما نشؤوا عليه من الفضائل والمبادئ.

3 – ورودها مع الفعل الماضي المبني للمجهول: في قوله: "هل خلقت روح البحر في جسمها المترجرج فشيء يعلو وشيء يهبط وشيء يثور ويضطرب"[1]، إذ جاء بعد حرف الاستفهام جملة فعلية مثبته فعلها ماضٍ مبني للمجهول، وهو هنا يتحدث عن الفاتنة التي ترقص في المسارح أمام أعين الآخرين، فتثير فيهم كل الغرائز، فيتجرد هؤلاء من أخلاقهم لذة بما يرون، والغرض من هذا الاستفهام الرامي إلى التصديق هو التعبير عن عظم الدهشة والاستغراب من تأثير هذه الفاتنة في نفوس من ينظر إليها.

ب– الاستفهام بالأسماء.

بعد تفحصي لمقالات الرافعي تبين لي أنّه استعمل أسماء الاستفهام (من، وما، وكيف، ومتى، وأين، وأي) بنسب متفاوتة وبأنماط مختلفة، ولأغراض متعددة أيضاً، فالرافعي في هذه المقالات استفهم بالحرف كما اتضح سابقاً، وكذلك استفهم بالأسماء والظروف، وهذا يتفق مع ما قاله النحاة من قبل، بأنه يُستفهم بالأسماء غير الظروف وبالظروف وبالحروف[2]. وقد تعددت الأنماط المستخدمة في الاستفهام عند الرافعي، وفيما يأتي بيان لهذه الأسماء والأنماط التي جاءت عليها عنده:

1 – الاستفهام بـــ(ما): وهي اسم استفهام لغير العاقل، وتدخل على الجملتين الاسمية والفعلية، وقد استعملها الرافعي في مقالته بكثرة؛ حيث شكلت مع الحرفين هل والهمزة الجزء الأكبر من جملة الاستفهام في وحي القلم، وفيما يأتي بيان لاستخدامها عنده.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (القلب المسكين4)، ج3،ص116.

[2] ينظر: الأنباري،عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله، **أسرار العربية**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ – 1997م. ص 193.

أ – **ورودها مع الجملة الاسمية:** يقول الرافعي في حديثه عن أولئك الذين لا يغضون أبصارهم :"ما الفرق بين سرقة لحم من دكّان قصّاب وبين سرقة لحم امرأة من دار أبيها أو زوجها أو مولاها"[1]،إذ جاءت (ما) في صدر الجملة، وقد جاء الاستفهام للتصور دالّا على التقرير والتأكيد بأن من لا يغضّ بصره وينظر إلى النساء كمن يسرق متاعاً من عند قصّاب، وفي هذا دلالة واضحة على إنكاره لما آلت إليه أمور الناس في عهده.

ب – ورودها مع الجملة الفعلية: جاء على لسان بائع الصحف قوله:" القراءة ما القراءة؟ وما أدراك ما القراءة؟"[2]، وقد جاء الاستفهام هنا للسخرية من القراء، في الفترة التي كتب فيها الرافعي كتابه "وحي القلم"، إذ أخذ يبحث عمّن يقرأ هذا الكتاب، فما كان من بائع الصحف إلا أن واجهه بهذا القول سخرية من أهل زمانه.

ت – الاستفهام بـــ(ماذا): يقول على لسان رئيس التحرير لإحدى الصحف مخاطباً شخصاً يدعى أبا عثمان: "ماذا دهاك يا أبا عثمان؟[3]، وواضح أن الاستفهام قد دلّ هنا على الدهشة والاستغراب.

ث – استخدامها مع حرف الجرّ (من): "فضحك إبليس. وقال الشيخ: ممّ ضحكت لعنك الله"[4]، حيث تحذف ألفها إذا سبقت بحرف جر، وقد جاء الاستفهام هنا بالمعنى الحقيقي له، وهو الاستعلام عن شيء ما، وهو هنا سبب الضحك الذي صدر عن إبليس.

ج – الاستفهام بـــ(ما بال): في حديثه عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب إغاثة اللهفان) يقول الرافعي:"ما بال هؤلاء الشبان لا يوردون في خطبهم أحاديث مع أنها كلمات القلوب، فلو أنّهم شرحوا للعامة هذا الحديث لأسرع العامّة إلى ما يحبه الله"[5]، وهي بمعنى ما شأن، وتفيد هذه الصيغة الإنكار غالبا، فهو يستنكر على الخطباء عدم ذكر الأحاديث النبوية

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (الانتحار5)، ج2. ص122.

[2] المرجع نفسه (صعاليك الصحافة 1)،ج3. ص179.

[3] المرجع نفسه (صعاليك الصحافه1)، ج3. ص 179.

[4] المرجع نفسه (إبليس يعلم)،ج2.ص169

[5] المرجع نفسه (قصة الأيدي المتوضئة)،ج2. ص233.

الشريفة في خطبهم؛ لأنها تتضمن أعظم المعاني وأبلغ الدلالات، ولا سيما الحديث (إن الله يحب إغاثة اللهفان)؛ لما فيه من الدلالات والإيحاءات التي تجعل المسلم يقبل على الله تعالى بكلّ قواه، وبكلّ ما يملك.

2 – الاستفهام بـــ(مَن): وهي تستخدم للاستعلام عن العاقل، وقد تدخل على الاسم أو الفعل، وتؤديّ جملة الاستفهام بـــ(من) أغراضا مجازية مختلفة، ومن أمثلة استخدامها عنده:

أ – ورودها مع الاسم: حيث ورد اسم الاستفهام (من) مع الاسم المعرب والمبني؛ ومن أمثلته قوله: "يقولون إن ّ الجامعة ليست محل الدين، ومن الذي يجهل أنّها بهذا صارت محلاً لفوضى الأخلاق"[1]، وقد جاء هذا القول في حديثه عن الجامعات والاختلاط الحاصل فيها والدعوات الهدّامة لنشر الرذيلة فيها، من خلال الادّعاء بأنها ليست محلا للدين والأخلاق، وقد جاء الاستفهام هنا للنفي؛ فلم يعد أحد يغفل عن كون هذه الدعوات نوعا من الفوضى والانحلال والابتعاد عن القيم الدينية والمبادئ السليمة.

ب – ورودها مع الفعل: استعمل الرافعي (من) مع الجملة الفعلية، ومن ذلك قوله:"من يدري أيّ رجل سيخرج من هذا الطفل؟ وأية امرأة ستكون من هذه الطفلة؟"[2]، وقد جاء الاستفهام هنا دالا على الاستبعاد؛ فهو يستبعد أن يكون أحد على دراية بالمولود الذي سيأتي به هذا اللقيط أو تلك اللقيطة في قابل الأزمان.

ت – دخول حرف الجرّ عليها: يقول الرافعي: "بمن ينهض إخواننا المجاهدون وبمن يصولون؟[3]، دخلت (من) الجارة على اسم الاستفهام الذي دخل على الجملة الفعلية، وهو هنا يتحدث عن ذوي الكفاءة الذين تسمو بهم بلادنا، فيأتي بالاستفهام لتنبيه الناس وتشويقهم أيضا، لأنّ الأمة لا تقوم إلا بمن يملك زمام هذا الأمر، ويكون كفؤا له.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (قنبلة بالبارود لا بالماء المقطر)، ج3. ص 154.

[2] المصدر نفسه (عربة اللقطاء)، ج1.ص294

[3] المصدر نفسة (قصة الأيدي المتوضئة)،ج2. ص234

4 –الاستفهام بـــ(أي): ويقول النحاة:"إن اسم الاستفهام (أي) يستخدم للعاقل ولغيره وللزمان والمكان ويحكم عليها بما تضاف إليه"،[1] ومع كثرة استخداماته إلا أنّ وروده عند الرافعي كان قليلا عند مقارنته بأسماء الاستفهام الأخرى، حيث استعمله الرافعي لغير العاقل يقول: "وأيّ شيء لا صبر عليه عند الرجل المؤمن الذي يعلم أنّ البلاء مال غير أنه لا يوضع في كيس بل في الجسم؟"،[2] وقد جاء الاستفهام للحث على الصبر؛ فالمؤمن الحق يصبر دائماً على كل ما يتعرض له، ولا يجزع من شيء في حياته، كما أن صبره لا ينفد مهما كان الخطب جسيما ومهما عصفت به الشدائد.

5 – الاستفهام بـــ(كيف): حيث استعمل الرافعي هذا الاسم كثيرا في مقالاته، وقد دلّ في أكثر استعمالاته على الدهشة والتعجب والاستغراب، وهذا الاسم يدخل على الجملة الفعلية والاسمية والمنسوخة أيضا.

أ – ورودها مع الاسم الصريح خبرا مقدما: ومن أمثلة استخدامه قوله: فإذا الفزع الأكبر لا ينساه من سمع به، فكيف الذي رآه بعينيه"،[3] وقد دلّ الاستفهام هنا على التهويل والتعظيم من يوم الفزع الأكبر الذي لا يمكن أن ينساه من سمع به، فهو يذكّر الغافلين بهول ذلك اليوم لعلهم يرتدعون عمّا هم فيه من المعاصي والآثام وما يقترفونه بحقّ أنفسهم.

ب – ورودها مع الفعل التام للدلالة على الحال: يقول الرافعي: "كيف يتصعلك المصري للأجنبي لو أنّ في المصري حقيقة القوة النفسية؟ أترى بارجة حربية تتصعلك لزورق صيد جاء يرتزق"[4].وواضح أن الاستفهام هنا للتصور، فهو يعبر عن التوبيخ والاستنكار لمن يتطلع إلى عادات الغرب وثقافتهم ونهضتهم المزعومة، ويترك دينه ومجده متناسياً الأخلاق التي جُبل عليها آباؤه وأجداده من قبل، ويصوّره بالبارجة التي تقترب نحو زورق لينقذها، وكأنه يريد أن

---

[1] الأنباري: **أسرار العربية**.ص193.

[2] الرافعي: **وحي القلم** (الانتحار1)، ص87.

[3] المصدر نفسه (الانتحار6)، ج2. ص 129.

[4] المصدر نفسه (الأخلاق المحاربة)، ج2. ص260.

يقول للمصري بأنه هو صاحب الخلق الذي ينبغي أن يكون مثالا لغيره وليس العكس، فهو بهذا التشبيه البليغ يسمو بالمصريّ، ويقلل من شأن أصحاب هذه الحضارة المزعومة.

وقد جاء بعدها الفعل الماضي التامّ ومن ذلك قوله:"كيف –لعمري– غفل الشرقيون عن أخلاق نارية حمراء يأكلهم بها الشرقيون أكلا لينضجوهم عليها ليكونوا أسهل مساغا وألين أخذا وأسرع في الهضم؟"،[1] وهو هنا يعبّر عن دهشته واستغرابه، كيف استطاع الغرب أن يخدع أمة الشرق فقبلوا منه أفكاره وثقافته بطريقة سريعة وليّنة!

6 – الاستفهام بـــ(كم): يقول: "لو سئلت ما الإسلام في معناه الاجتماعي؟ لسألت كم عدد المسلمين اليوم"[2]، فقد جاء التمييز محذوفا هنا وتقديره (فردا أو واحدا...الخ)، فهو يستخدم أسلوب الحكيم من خلال الإجابة على سؤال بسؤال آخر، وذلك لبيان أهمية المسلمين في إبراز معاني الحياة الاجتماعية أو الوطنية أو السياسية وغيرها.

7 – الاستفهام بـــ(متى وأين وبقية الظروف): استعمل الرافعي أسلوب الاستفهام أكثر من غيره من الأساليب الإنشائية المتنوعة، وقد استعمل أكثر أدوات الاستفهام الحروف والأسماء والظروف، فالظروف مثل (أين ومتى أيان وأنّى) تستخدم للاستخبار عن المكان والزمان، لكنّ الرافعي استعملها لدلالات مجازية كثيرة، وقد كان استخدامه لها متفاوتا، حيث استعمل (أين) أكثر من الظروف الأخرى، وبعدها في الاستعمال (متى)، أمّا بقية الظروف فلم أجد أمثلة لها عنده فيما اطّلعت عليه من خلال مقالاته الواردة في "وحي القلم".

أ – ورودها مع الجملة الاسمية خبرا مقدّما: ، ففي حديثه عن النهضة العربية المزعومة التي يرى الرافعي أنها تسمى نهضة مجازاً، وليس على وجه الحقيقة، يقول عن هذه النهضة:"لا تزال بيننا وبينها مثل هذا الموت الذي يفصل بيننا وبين سلفنا وأوليتنا، وإلا فأين الأخلاق الشرقية؟ وأين المزاج العقلي الصحيح لأمم الشرق؟ ثم أين المصلحون الذين لا يساومون بملك ولا إمارة ولا يطلبون بالإصلاح غرضاً من أغراض الدنيا أو باطلاً من زخرفها؟ ثمّ أين أولئك تجعلهم

[1] الرافعي: **وحي القلم** (استنوق الجمل)،ج1.ص200.

[2] المرجع نفسه (في محنة فلسطين)،ج2. ص227

مبادئهم العالية القوية أول ضحاياها، وتروي منهم عرق الثرى الذي يغتذي من بقايا الأجداد لتنبت به الأحفاد؟"[1]، فهو هنا يستخدم اسم الاستفهام (أين) ويكرره مراراً وهو هنا خبر تقدم وجوباً على المبتدأ بعده في كل جملة، ولا شكّ في أن اسم الاستفهام هنا يدل على المكان، وقد جاء به الرافعي للتصور، ولكنّ هذه الجمل الإنشائية خرجت لأغراض مجازية عنده وهي الدهشة والاستغراب من حال أمة الشرق. وألمه على ما صارت إليه البلاد في هذا الزمان الذي تغير فيه كلّ شيء، ما جعله يبحث عن تراث الأجداد لتتربى عليه الأجيال الصاعدة، وتروي ظمأها منه حتى تقوم لها قائمة، وتعود إلى سابق عهدها ومجدها الذي شيده الأجداد القدماء بعطائهم من العلم والمعرفة والتضحيات.

ب – ورودها مع الجملة الفعلية: يقول الرافعي: "ولعمري أين يجد العالم صوابه إلا ههنا" أي في المسجد، وليس الاستفهام هنا للاستعلام عن شيء وإنّما للتأكيد بأن المساجد هي الأجدر من بين الأماكن التي يجد فيها العلماء صلاحهم وسدادهم.

ج – ورودها مع الجملة المنسوخة خبرا للناسخ: لقد جاء على لسان أحد الشيوخ في حواره مع الشيطان قوله:" وتسخر مني لعنك الله؟ فمتى كنت تعلم الحقيقة والفضيلة؟"[2]، فهنا جاء الاستفهام دالّا على الاستبعاد، فالشيخ يستبعد أن يكون إبليس عارفا بالفضائل والحقائق، فهي لا تنبغي له وليست بمقدوره. أمّا أسماء الاستفهام (أنّى وأيان) فلم أجد لهما حضورا عند الرافعي فيما اطّلعت عليه من مقالاته الواردة في "وحي القلم".

وقبل أن أخلص إلى أهمّ النتائج حول الاستفهام، أشير إلى أن جملة الاستفهام عند الرافعي قد عبّرت عن معانٍ مجازية كثيرة، منها الدهشة والنفي والاستنكار والتوبيخ والتعجب والتقرير وغيرها، وفيما يأتي بيان لأبرز هذه الأغراض التي عبّرت عنها جملة الاستفهام عنده.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (نهضة الأقطار العربية)، ج3. ص163.

[2] المرجع نفسه (إبليس يعلم)،ج2.ص170.

1. **التنبيه:** يقول الرافعي: "أو ما علمت أن الله يحاسبك على أنك عاقل لا مجنون وقوي لا ضعيف، وقادر لا عاجز"[1]. فهو هنا ينبه المخاطب الذي يسرف في ارتكاب الذنوب والمعاصي إلى أن الحساب آتٍ لا محالة، وأنه يحاسب على ما أمدّه الله سبحانه به من قوة وعقل وقدرة، وليس كأنه مجنون أو ضعيف أو عاجز.
2. **النفي:** يقول:" هل الدين إلا فروض القوة على النفس"[2]، فهو هنا يريد النفي، لكن النفي مع الأداة (إلا) يفيد الحصر، فهو هنا يريد أن يقول إنّ الدين ما هو إلا فروض يجب أن يكون الإنسان مسيّراً فيها إذا أراد أن يفلح في دنياه وآخرته.
3. **الدهشة والاستغراب:**يقول الرافعي على لسان أحد الأمراء إذ دعا هذا الأمير الشيخ تقي الدين بن مجد الدين بن دقيق العيد[3] الذي كان يخاطب الناس جميعاً بقوله:" يا إنسان، فلم يلبّ الشيخ دعوته، فقال الأمير لمن حوله: " كيف يبيعنا هذا الشيخ وينادي علينا وينزلنا منزلة العبيد ويفسد محلنا من الناس ويبتذل أقدارنا ونحن ملوك الأرض"[4]، فهو هنا يعلن دهشته واستغرابه وإنكاره أيضاً لما قرع سمعه من كلام هذا الشيخ، وكأنّما أصبح الأمراء سلعة تباع بثمن بخس، فما كان من صاحب الإمارة والسلطة إلا أن يستشيط غضبا ومقتا مندهشا بما يتحدّث به الناس ويتداولونه فيما بينهم.
4. **التعجب:** يقول:" كيف يستوطئ المسلمون العجز، وفي أول دينهم تسخير الطبيعة"[5]، وقد قال في الموضع نفسه عن المسلمين: " كيف لا يحملون النور للعالم، وبينهم هذا الكائن النوراني الأعظم". فالرافعي هنا يعجب كل العجب من المسلمين الذين يصيبهم العجز بعد حادثة الإسراء والمعراج التي تسخرت فيها الطبيعة للنبي –صلى الله عليه وسلم– ويعجب منهم في عدم نشر النور للعالم وبينهم الكائن النوراني الذي لم يقتفِ أثره مقتفٍ إلا ارتفع شأنه وعلا صيته بين الخلائق.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** ، (الانتحار6)، ج2. ص130.

[2] المرجع نفسه (قنبلة بالبارود لا بالماء المقطر)، ج3. ص 153.

[3] في روايته لموقف العز بن عبد السلام من الأمراء.

[4] الرافعي: **وحي القلم** (أمراء للبيع)، ج3. ص52.

[5] المرجع نفسه (فوق الأدمية الإسراء والمعراج)، ج2. ص29.

5. **التهكم والسخرية:** وذلك فيما جاء على لسان عمرو أفندي الجاحظ الملقب بأديب الجريدة، عندما أراد الرافعي إهداء كتابه "وحي القلم" إلى من يحبّ القراءة، فقال الجاحظ للرافعي بعد أن سخر من الولاة والساسة، وكان الرافعي قد سأله عن القرّاء، فأجاب:" القراء ما القرّاء؟ وما ادراك ما القراء؟ وهل أساس أكثرهم إلا بلادة المدارس، وسخافة الحياة، وضعف الأخلاق، وكذب السياسة"؟[1] فهو هنا يسخر ويتهكم من القراء في عصره لأنهم نشؤوا في بلادة المدارس وسخافة الحياة، فلم يعد للثقافة والفكر شأن عندهم؛ لأنّهم تربّوا على هذه البلادة وهذه السخافة في المدارس التي أخرجتهم للدنيا وقد أصابهم الخور، وأصبحوا بذلك بعيدين عن عالم الفكر والثقافة والاطّلاع والمعرفة.

6. **الإنكار:** وجاء ذلك في حوار بين الرافعي ومهندس أعزب، عندما كان يحاوره الرافعي في موضوع العزب، فقال له العزب الذي كان يطلق عليه أرملة حكومة:" كيف تكلفني الزواج وتكرهني عليه؟ وتعنفني على العزوبة وتعينني بها"؟[2] فهذا العزب ينكر على من يطالبه بالزواج طلبته؛ لأن المال لا يتوافر بين يديه، حيث لم يعد بمقدوره أن يوفر المال لقلة الدخل العائد عليه من الوظيفة التي يعمل بها.

7. **التقرير:** من ذلك قوله:"أما تبتلى الشجرة الخضراء في بعض أوقاتها بمثل ما يبتلى به الإنسان؟"[3]، فهو يريد بهذا الاستفهام أن يقول لنا إنّ الإنسان يتعرّض للابتلاء لا محالة وإن كان متّزنا، حاله في ذلك حال الشجرة الخضراء التي يعتريها بعض الآفات التي تؤثر فيها، وإن كانت في ذروة نضرتها وعطائها، فهو بهذا الاستفهام يريد تقرير هذه الحقيقة وتأكيدها في النفوس.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (صعاليك الصحافة)، ج3. ص179.

[2] المرجع نفسه (أرملة حكومة)،ج1. ص208

[3] المرجع نفسه (الانتحار1)،ج2. ص88.

8. **التعظيم:** ومن ذلك قوله":"وما هي حكمة هذه الأمكنة التي تقام لعبادة الله؟"[1]، إذ جاء الاستفهام هنا بـــ(ما) للدلالة على التعظيم من شأن أماكن العبادة، وذلك في معرض توجيه الآخرين للإقبال على المساجد وإحيائها في زمن لم يعد لأماكن العبادة حضور في حياة الناس.

كما أنّ هناك عددا من الأغراض الأخرى للاستفهام عند البلاغيين، وقد وردت في مقالات الرافعي كثيرا، لكنني توقفت في هذه الدراسة عند أبرزها. وبعدُ، يمكن أن أسجل هذه الملاحظات حول جملة الاستفهام عند الرافعي:

1. استعمل الرافعي حرفي الاستفهام(الهمزة وهل) بكثرة، إذ جاء انتشارهما أكثر من الأسماء التي تستخدم في الاستفهام، وقد دخلت على الجمل الاسمية والفعلية مع أن استخدامه للهمزة كان أكثر من استخدامه لـــ(هل) فيما اطلّعت عليه من مقالات.
2. استعمل الرافعي أسماء الاستفهام، بنسب متفاوتة كان أكثرها شيوعاً (كيف وأين وما ومن) على الترتيب.
3. خرجت جملة الاستفهام عند الرافعي لأغراض مجازية كثيرة أبرزها النفي والتهكم والسخرية والإنكار والتعجب والدهشة والاستغراب.
4. من أكثر الأغراض المجازية لجملة الاستفهام عند الرافعي التقرير وقد جاء هذا المعنى مصاحبا للاستفهام بالهمزة وهل أيضا، دلالة على ثقته بنفسه واعتداده بها وسعة ثقافته وتمكنه من لغته وهذه الثقافة التي يتمتع بها.
5. لم يستخدم الرافعي أسماء الاستفهام (أيان وأنّى)، كما لاحظت قلة استخدامه للاسمين (كم وأي) مقارنة بأسماء الاستفهام الأخرى.

[1] الرافعي: **وحي القلم** (قرآن الفجر)، ج3. ص25.

ثانيا: الأمر.

الأمر هو "طلب الفعل استعلاءً"[1]، والمقصود بالاستعلاء أن ينظر الآمر لنفسه على أنه أعلى منزلة ممن يخاطبه، أو يوجه الأمر إليه سواء أكان أعلى منزلة في الواقع أم لا،[2] فهو بهذا أسلوب إنشائي طلبي يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، وله أربع صيغ كما يقول اللغويون تنوب كلّ منها مناب الأخرى في طلب أي فعل من الأفعال على وجه الاستعلاء والإلزام، وجدير بالذكر أن الرافعي استعمل هذه الصيغة بنسب متفاوتة أبيّنها فيما يأتي:

أ . صيغة فعل الأمر المجردة.

يقول: "علموا المتعلمين ليصيروا في الشرف والأمانة والعفّة كرجل جاهل مثلي، لا يرى للحياة كلها قيمة إذا كان فيها معنى العار، ويقدم عنقه للمشنقة حتى لا ينكسر رأسه للذل"[3]، ولم يأت الرافعي بفعل الأمر هنا على وجه الاستعلاء، وإنما خرج معنى الأمر إلى غرض مجازي وهو التمني؛ إذ يتمنى من الفئة الواعية أن تبث في الآخرين معاني العفة والأمانة وكل أشكال الصلاح.

وقد استعمل الرافعي هذه الصيغة بأشكال مختلفة، إذ جاءت عنده مسبوقة بحرف التنبيه (ألا) من ذلك قوله:"ألا قل للناس أيها الأمير إنّ لقبي هذا إنما هو تعبير الزمن عمّا كان لأجدادي من الحق في قتل الناس وامتهانهم"[4]، وقد جاء هذا القول على لسان أحد الناس الذين ضاقت بهم الحال، وطلب مساعدة من أحد أبناء الأمراء فلم يأبه له، ولم يقدم له ما أراد، وقد عبر القائل عن تحقيره للأمراء وإهانتهم كما يظهر السياق الذي ورد فيه هذا القول.

---

[1] الخطيب القزويني: **الإيضاح في علوم البلاغة**. ص 147.

[2] انظر: عتيق، عبد العزيز: **علم المعاني**، ص75.

[3] الرافعي: **وحي القلم** (عاصفة القدر)، ج3. ص94.

[4] الرافعي: **وحي القلم** (أحلام في قصر)، ج1، ص78.

وكثر استعمال فعل الأمر بعد النداء، يقول: "أيها الناس انطلقوا في الدنيا انطلاق الأطفال يوجدون حقيقتهم البريئة الضاحكة لا كما تصنعون، إذ تنطلقون انطلاقاً يوجد حقيقته المفترسة"[1]، نلاحظ هنا أن جملة الأمر جاءت مسبوقة بجملة النداء، ثم جاء فعل الأمر المتصل بواو الجماعة، وبعده مصدر الفعل لتأكيده، فهو يوجه السلوك الاجتماعي للناس من خلال حسن انطلاقهم في الدنيا، بحيث يبعث انطلاقهم فيها على البراءة، وليس على النيل من الآخرين واضطهادهم، إذ دلّ الأمر هنا على النصح والإرشاد.

كما أنّ هذه الصيغة لفعل الأمر كثر استخدامها عند الرافعي في جواب الشرط، ومن ذلك قوله: "وإذا وقع ما يسوءك أو يحزنك، فابحث فيه عن فكرته السامية، فقلّما يخلو منها بل قلما يجيء إلا بها."[2] نلاحظ أن فعل الأمر المتصل بالفاء الواقعة في جواب الشرط جاء جواباً لجملة الشرط المتقدمة عليه، ويتضح أنّ الخطاب موجه لعامة الناس من أجل تنبيههم إلى القيم المثلى، ونصحهم وإرشادهم إلى البحث عن الفضائل فيما يتعرضون له من اختبارات في دنياهم، إذ لا بدّ لكلّ محنة من منحة تتبعها إذا أحسن الناس تفكيرهم، واتجهوا الوجهة السليمة في شؤونهم المختلفة.

ب . لام الأمر+ الفعل المضارع+ متممات جملة الأمر.

في حديثه عن أبطال مصر وعظمائها من المقاتلين يقول:" فلتتمجد مصر بإنسانها البرقي الذي تخرج النار بيده من أعراض السحاب، وتفرقع في أصابعه هزّات الرعد"[3]، إذ جاء المضارع متصلا بلام الأمر، وهي هنا ساكنة لدخول الفاء عليها، وقد جاء الرافعي بالأمر هنا للافتخار والاعتزاز بأولئك المقاتلين من أبناء مصر الذين حملوا لواء الوطن، وحاولوا أن يرتقوا به في علياء المجد متفائلا بهم معتزا بقوتهم، إذ صورهم بالبرق الذي يضيء ما حوله تعبيرا عن الدور العظيم الذي يؤدونه خدمة لمجتمعهم وأمتهم.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (اجتلاء العيد)، ج1. ص25.

[2] المرجع نفسه (الانتحار2)، ج2.ص98.

[3] المرجع نفسه (أجنحة المدافع المصرية)،ج2. ص242.

ت . اسم فعل الأمر.

يقول الرافعي مخاطبا طيّاري مصر الذين يحلّقون في سمائها حماية لها من أعدائها:"ومتى هدرت الطيّارة هديرها فإنّما تقول للبطل منكم: هلمّ من عل إلى أعلى إلى أكثر علوّا إلى أقصى حدود الواجب على النفس، حين يأخذ الواجب الكلّ، وحين تعطي النفس الكلّ"[1]، إذ إنّ تركيب الأمر المكون من اسم الفعل (هلمّ) المبنيّ على الفتح وفاعله المستتر فيه وتقديره أنت، جاء للدلالة على الاعتزاز والفخر بهؤلاء الطيارين، والشعور بأعلى درجات السعادة من خلال الإسهاب في قوله: "إلى أعلى إلى أكثر علوا إلى أقصى حدود الواجب"، فما تكرار هذه المترادفات إلا دليل واضح على مدى الشعور بالفرحة التي تغمره حين يرى هؤلاء المقاتلين محلّقين في سماء الوطن دفاعا عنه من أدناه إلى أقصاه.

وبعد هذا العرض الموجز لأنماط جملة الأمر لا بدّ من الإشارة إلى بعض الدلالات المجازية التي خرجت إليها جملة الأمر عند الرافعي لتسجل بعدها أبرز الملاحظات حول هذا الأسلوب:

1. **الدعاء:** وقد جاء ذلك في الشعر الذي يرويه عن صبري الشاعر يقول(البحر الكامل):

يا ربّ أهّلني لفضـــــلك واكفني شطط العقـــــول وفتنة الأفكـــــــار
ومر الوجود يشفّ عنك لكي أرى غضب اللطيف ورحمة الجبّـــــــــار[2]

فالخطاب هنا موجه ممن هو أدنى منزلة وهو الشاعر إلى الله تعالى، وهنا يكون الغرض من الأمر الدعاء.

2. **الالتماس:** إذ أراد مالك بن دينار إخبار الناس عن نفسه بما لم يحيطوا به، قال أحد الحاضرين " فارعوه أسماعكم وأحضروه أفهامكم واستمعوا له"[3] فالواضح أن الخطاب موجّه من أحد

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (أجنحة المدافع المصرية)،ج2. ص245.

[2] المرجع نفسه (شعر صبري)،ج3. ص252.

[3] المرجع نفسه (بنته الصغيرة)، ج2. ص223.

الحاضرين إلى بقيتهم، فهو ليس أعلى منهم منزلة ولا أدنى؛ إذ إنهم جاؤوا للاستماع إليه، وليس بين أيدينا دليل على علو منزلة أحدهم عن الأخر، وإنما السياق يبين أنهم متساوون في أمر واحد وهو الاستماع إلى مالك بن دينار، لذا فإن الأمر هنا جاء للالتماس.

3. **التنبيه والتحذير:** يخاطب الرافعي المرأة الشرقية بقوله:" احذري تمدن أوروبا أن يجعل فضيلتك ثوباً يوسّع ويضيّق"، وقوله أيضاً:" احذري فنهم الاجتماعي الخبيث الذي يفرض على النساء في مجالس الرجال أن تؤدي أجسامهن ضريبة الفن"، ويقول أيضاً :" احذري وأنت النجم الذي أضاء منذ النبوّة، أن تقلدي هذه الشمعة التي أضاءت منذ قليل".[1] فهو هنا ينبه المرأة الشرقية إلى صواب الرأي، ويحذّرها من الوقوع فريسة للدعوات الهدّامة التي ينادي بها أصحاب التمدن المزعوم.
4. **التحضيض:** ففي تعليقه على الآية الكريمة ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ﴾[2] يقول:"اجعلوا وجهتكم إلى وقاية المجتمع لا إلى وقاية الفرد"[3]، فهو هنا يحضّ الولاة والساسة، ومن ثم المخاطبين من عامة الناس أن يجعلوا هدفهم حماية المجتمع كله وليس فقط الفرد وحده.
5. **النصح والإرشاد:** يقول الرافعي: "وإذا وقع ما يسوءك او يحزنك فابحث فيه عن فكرته السامية، فقلما يخلو منها بل قلما يجيء إلا بها.[4] كما تهدف هذه الجملة إلى الإقناع لاقترانها بأسلوب الشرط، وهو الغالب في الشرط أن يكون للتوضيح والإقناع.
6. **التشويق:**" قال الإمام للرجل: قم فتوضأ واسبغ الوضوء وسأعلمك أمراً تنتفع به في دينك ودنياك فأيقن في نفسك واعزم في خاطرك على أن في هذا الماء سراً روحانياً من أسرار الغيب

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (احذري)، ج1.ص 251-252.

[2] سورة البقرة، آية 179

[3] الرافعي: **وحي القلم** (كلمة مؤمنة في ردّ كلمة كافرة)،ج3.ص385.

[4] المرجع نفسه (الانتحار2)، ج2. ص98.

والحياة، وأنه رمز للسماء عندك"[1]. فقوله أمراً تنتفع به في دينك ودنياك، يجعله يتشوق إلى ما يسمعه من محدّثه.

هذه طائفة من الأغراض المجازية التي دلت عليها جملة الأمر عند الرافعي، إذ ليس كل فعل أمر غرضه الإجبار بل هناك أغراض كثيرة مجازية، وهذه الأمثلة صورة عنها أوضحتها بإيجاز لأهم هذه الأغراض. وبعد هذا العرض لأنماط جملة الأمر وأبرز الدلالات لاستخدامه عند الرافعي، يمكن أن تسجل بعض الملاحظات حول جملة الأمر عنده:

1. أورد الرافعي ثلاثا من الصيغ الدالة على الأمر؛ وهي فعل الأمر بكثرة، واسم الفعل بنسبة قليلة بينما جاء استخدامه للفعل المضارع المتصل بلام الأمر بنسبة أكثر من اسم الفعل.
2. لم يستخدم الرافعي المصدر للدلالة على الأمر دون الفعل، وإنما أورده مصحوباً بالفعل، ولم ترد هذه الصورة حسب اطلاعي إلا مرة واحده عنده فيما اطّلعت عليه.
3. أكثر صيغ الأمر عند الرافعي جاءت للالتماس ممن يتساوون في المنزلة نفسها.
4. استعمل الرافعي اسم فعل الأمر المرتجل؛ إذ لم يرد اسم الفعل المنقول عن شبه جملة، ولا اسم الفعل القياسي، ومن حيث الدلالة الزمنية لم يستخدم اسم الفعل المضارع أو الماضي عنده، وذلك حسب اطلاعي على مقالاته.
5. جملة فعل الأمر اتخذت عند الرافعي أشكالا مختلفة؛ إذ جاءت مسبوقة بحرف التنبيه (ألا)، أو بالنداء، أو جاءت جواباً للشرط بكثرة، وربما جاء النداء بين فعل الأمر ومتمماته.
6. خرج أسلوب الأمر عند الرافعي لأغراض بلاغية مجازية كما بينها البلاغيون في مصنفاتهم، فقد جاء الأمر عنده للدعاء وللنصح والإرشاد والالتماس والتنبيه والتحذير والتمني وغيرها.

[1] الرافعي: **وحي القلم** (الانتحار2)، ج2. ص92.

ثالثا: التمني.

التمني:"طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله، إما لكونه مستحيلاً والإنسان كثيراً ما يحبّ المستحيل ويطلبه، وإمّا لكونه ممكنا غير مطموع في نيله"[1]، فالتمني يحتاج إليه الإنسان دائما لحصول أمر مرغوب فيه أو لعدم حصول أمر لسوء عاقبته، واللفظ الذي يدل بأصل وضعه اللغوي على التمني هو ليت، وقد يتمنى بثلاثة ألفاظ أخرى لغرض بلاغيّ، وهذه هي هل ولعلّ ولو[2]. وبعد الاطلاع على مقالات الرافعي تبين أنه لم يكن مكثراً من أسلوب التمني، وإنما جاء هذا الأسلوب عفويا عنده، ومن خلال كلام ابن عتيق وأقوال البلاغيين يتبين لنا أنّ التمني على قسمين وهما: تمني الممكن وتمني المستحيل، والتفريق بينهما يقوم على معيار عقليّ، وقد جاء كلا النوعين عند الرافعي بنسب قليلة عند مقارنتهما بالأساليب الإنشائية الأخرى، وتعد (ليت) أم الباب عند البلاغيين في التمني، وقد استعملت أكثر من غيرها من الحروف في كلا نوعي التمني:

1 – تمني الممكن: ومن ذلك قوله في حديثه عن علماء الأمة : "ألا ليتهم يكتبون على أبواب الأزهر هذه الحكمة، سئل بعض العرب بم ساد فلان فيكم، قالوا: احتجنا إلى علمه واستغنى عن دنيانا"[3]، ، فهو يتمنى من علماء الأزهر كتابة هذه العبارة ذات المعنى الكبير، وذلك لشدة رغبته في حصول هذا الأمر في زمن عظّم فيه الناس دنياهم ونسوا مكانة العلم والعلماء.

وقد يأتي هذا النوع من التمني بالأداة "لو" وهي تستخدم في هذا الباب بنسبة أقل من (ليت ولعلّ)، إلا أنّها من الأدوات التي تستخدم للتمني عند البلاغيين، يقول الرافعي وهو يتحدّث عن أبناء المشرق العربي:" فلا جرم كان من السهل – لو رجعوا إلى أخلاق دينهم، وانتبذوا ما يصدّهم عنها– أن يؤلفوا من الشرق كلّه دولا متحدة يحسب لها الغرب حسابا ذا أرقام لا تنتهي"[4]، فهو هنا يتمنى أن يرجع أبناء المشرق العربي إلى االقيم المثلى التي يدعو إليها دينهم

---

[1] عبد العزيز عتيق: **علم المعاني**. ص112

[2] انظر: المصدر نفسه. ص113.

[3] الرافعي: وحي القلم (ساكنوا الثياب)، ج2، ص257.

[4] المرجع نفسه (نهضة الأقطار العربية)، ج3. ص166.

الحنيف، لكي يتمكنوا من بناء الوطن العظيم الذي يحسب له الغرب ألف حساب، كما أنّ (لو) جاءت هنا في باب الشرط، حيث لا بدّ لتحقيق الدولة المتحدة بطريق سهلة من العودة إلى المبادئ الأصيلة.

2 – تمني المستحيل: كثيرا ما تستخدم الأداتان (هل ولعلّ) لهذا النوع من التمني، وذلك **إذا أردنا** إظهار الأمنية المستحيلة بصورة الممكن الذي يصعب نيله، ومن أمثلة استعمالها لهذا الغرض الآية الكريمة "فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا"،[1]ولم أجد فيما اطّلعت عليه من مقالات الرافعي استعمالا للأداة (هل) لهذا الغرض، وإنّما استعملت الأداة لعلّ فيه، ولا شكّ في أنّ استخدامها للتمني أقل من ليت لأنها وضعت في الأصل للترجي، لكنّ البلاغيين جعلوها في باب التمني يقول الرافعي: "لعل السماء موحية إلى الأرض بلسانه –أي بلسان عطاء بن رباح– وحيا في هذه الضلالة التي عمت الناس وفتنتهم بالنساء والغناء"،[2] فهو يتمنى وحيا من السماء إلى الأرض على لسان عطاء بن رباح بان ينبه الناس ويحضّهم على ترك ما هم فيه من تعظيم النساء والغناء. فالوحي من السماء لا يكون إلا للأنبياء والرسل، ولا ينبغي لأحد ممن سواهم، لكنه لمّا حصل هذا الوحي من السماء مع الأنبياء يريد أن يظهره بصورة الممكن وإن كان مستحيلا.

واستعملت الأداة الأصلية في التمني (ليت) لهذا الغرض، يقول الرافعي:" ليتني كنت جاهلاً مغلقاً عقله، وكان قلبي مفتوحاً لأفراح الكون العظيم"،[3] والحديث في هذه الجملة عن شيء قد مضى ولا يمكن أن يعود، وهذا الوجه الذي يجعل التمني من المستحيل. وبعد هذا العرض يمكن أن نسجّل ما يأتي حول أسلوب التمني:

1. استعمل الرافعي للتمني الأدوات (ليت ولعلّ ولو) ولكن جاء استخدامه للأداة (ليت) أكثر من (لعلّ ولو)، وهذا يتفق مع ما أقرّه اللغويون من أن (ليت) أم هذا الباب.

---

[1] الأعراف، آية 53.

[2] الرافعي: **وحي القلم** (سموّ الحبّ)، ج1. ص93.

[3] المرجع نفسه (الانتحار4)، ج2. ص110.

2. لم يستخدم الأدوات الدالة على التمني (هل، لولا، لوما) وهي التي أشارت إليها كتب اللغويين، حسب اطّلاعي على المقالات الواردة في "وحي القلم".
3. استعمل الرافعي حرف التنبية (ألا) قبل أداة التمني، وهذه الصورة كان لها حضور واضح في جملة التمني عنده.

رابعا: النداء.

النداء: "طلب المنادي بأحد الحروف الثمانية، وحروف النداء الثمانية هي: الهمزة وأي مقصورتين وممدودتين، ويا، وأيا، وهيا ووا"،[1] وهذه الأدوات في الاستعمال نوعان الهمزة وأي لنداء القريب، والأدوات الأخرى لنداء البعيد، لكن يمكن إنزال البعيد منزلة القريب فينادى بالهمزة وأي إشارة إلى قربه من القلب وحضوره في الذهن، وقد ينزل القريب منزلة البعيد فينادى بغير الهمزة وأي إشارة إلى علو مرتبته أو انحطاط منزلته أو غفلته وشرود ذهنه"[2]، ويا أم الباب كما يقول هارون ويعلل ذلك بقوله:" لأنها تدخل في النداء الخاص، وفي النداء المشوب بالندبة، أو الاستغاثة أو التعجب، كما تتعين وحدها في نداء اسم الله تعالى، لبعد مكانه مع قربه الشديد منا ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إليه مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾.[3]

والبلاغيون يقولون :"إنّ النداء قد يخرج عن معناه الأصلي من نداء القريب أو البعيد إلى معان أخرى تستفاد من السياق ومن قرائن الأحوال كالإغراء والتحسر والزجر والندب والاختصاص والاستغاثة وغيرها"،[4] لكن هذه الدراسة تكتفي بالنماذج التي أوردها الرافعي للنداء ودلالات كلّ منها، إذ إنّ هذا الأسلوب جاء عنده بالأداة (يا) غالبا للأغراض البلاغية الأتية:

---

[1] هارون، عبد السلام: **الأساليب الإنشائية في النحو العربي**. بيروت: دار الجيل. 1974م. ص 136.

[2] انظر:عتيق، عبد العزيز، **علم المعاني**. ص115 –116.

[3] الرافعي: **وحي القلم** ، ص 137، وسورة ق، الآية 16.

[4] انظر: عتيق، عبد العزيز، علم المعاني.ص117 – 118.

1 – تعظيم المنادى وإعلاء شأنه، يقول الرافعي مخاطبا شباب الجامعة: "حيّاكم الله يا شباب الجامعة المصرية، لقد كتبتم الكلمات التي تصرخ منها الشياطين"[1]. فهو هنا يوجه النداء إلى شباب الجامعة الذين وقفوا في وجه الدعوات الهدامة التي تدعو إلى الاختلاط والسفور والتبرج، واستطاعوا ردّ هذه الأوهام من خلال ما خطّوه من الشعارات التي تحفظ للمرأة كرامتها من خلال التزامها بتعاليم الإسلام، وعدم الانصياع للوساوس الشيطانية التي أخذ الغرب ينشرها، ويشاركه في ذلك نفر من أبناء المجتمع المصري بترويج الشائعات.

2 – تنبيه المخاطب، يقول على لسان النبي " يا بنية لا تبكي فإن الله مانع أباك"، ولا شك في أن النبي صلى الله عليه وسلم من خلال هذا النداء يريد أن ينبه ابنته إلى أمر عظيم، وهو الامتناع عن البكاء لما ألمّ به، لأنّ من شأن الأنبياء أن يتعرضوا للابتلاءات التي تمحّص القلوب، ولا يخلو النداء في هذه الجملة من إعلاء شأن المخاطب.

3 – الاختصاص، يقول الرافعي:" أيتها النفس، إن إيمان أسلافنا معناه، أنّ الإسلام في المسلم".[2] فهو يريد أن يوجه الخطاب للنفس ويخصها بهذا النداء، لأنّ عليها أن تتنبه قبل كلّ شيء إلى أنّ المسلم أجدر من غيره بتحقيق مقاصد هذا الدين في نفسه، إذا ما عرف هذه المقاصد وأدرك أهميتها في حياته.

4 – التعجب، كقوله:" يا له من مجلس"،وذلك في حديثه عن مجلس من مجالس العلم في مساجد بلاده، وذلك حينما ينتظم الناس في صفوفهم داخل المسجد ويكونون على أتقى قلب رجل منهم، وقد كثر استعمال هذه الصيغة في مقالات الرافعي مقارنة مع غيرها من صور النداء وأغراضه.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (قنبلة بالبارود لا بالماء المقطر)، ج3، ص105.

[2] الرافعي: **وحي القلم** (الانتحار 5)، ج2.ص 122.

5 – الندبة، يقول الرافعي: "واكبدي أضنى الأسى كبدي"[1]، فقد جاء النداء هنا للندبة ، لأنه يبث شكواه وحسرته على ما ألمّ به من المآسي والويلات التي أخذت تفتك به في فترة من زمانه، ويندب الحظ الذي آلت إليه نفسه.

نلاحظ على جملة النداء عند الرافعي ما يأتي:

1– لم يستخدم الرافعي من أدوات النداء سوى ياء النداء و"وا" حسب اطّلاعي على مقالاته.

2– استعمل الرافعي أسلوب النداء بحذف الأداة وبذكرها وبتغيير طبيعة المنادى.

3 – جاء استخدام هذا الأسلوب عفويا وقليلا، فلم يستوف الصور التي تتحدث عنها كتب البلاغيين.

[1] الرافعي: **وحي القلم** (عربة اللقطاء)،ج1. س294.

القسم الثاني: الأساليب الإنشائية غير الطلبية.

أولا: أسلوب القسم. جاءت البنية التركيبية لجملة القسم في "وحي القلم" على النحو الآتي:

1 – فعل القسم + المقسم به + جواب القسم.

يقول الرافعي :" أما والله إنّه ليس العاشق هو العاشق ولكن هي الطبيعة، هي الطبيعة في العاشق"[1]، وهو هنا يريد أن يؤكّد أنّ الإنسان بما طبع عليه، وليس العشق عنده عفويا، إذ استخدم الواو مع لفظ الجلالة(الله) لتأكيد هذا المعنى، وجاءت جملة جواب القسم اسمية مؤكدة، وهو ما يتّفق مع ما تقرّه اللغة. وقد جاء القسم بالفعل أقسم المحذوف واستعملت معه الواو وهي من أكثر حروف القسم استعمالا، وهي حرف جرّ، وتتعلق مع مجرورها بفعل محذوف يقدّر بـــ(أقسم)، "وتدخل على كلّ محلوف به ظاهر، فتقول: والله لأكرمن)"[2]، ولا يليها الضمير وإنما الاسم الظاهر فقط.

ومن أمثلة هذه الصورة أيضا قوله: "تالله ما أعرف الوضوء بعد اليوم إلا ملامسة بين السماء والنفس، وما أعرف وقته من الروح إلا كساعة الفجر على النبات الأخضر"[3]، فالوضوء عنده يجعل النفس متصلة بالسماء، ليبين عظم الأثر الذي يحدثه تشويقا للسامع، وهو يمدّ روح صاحبه بمعنى الحياة كما تمدّ الطبيعة النبات الأخضر بحاجته من الغذاء في وقت الفجر، وقد جاء فعل القسم محذوفا أيضا لأنّ هذا الأصل فيه مع الحروف، لكن هنا جاء القسم بحرف التاء الذي دخل على اسم ظاهر وهو لفظ الجلالة، إذ لا يدخل هذا الحرف إلا على اسمه سبحانه نحو :تالله لأفعلنّ،[4] ولا تدخل على غيره من الأسماء والضمائر.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (ورقة ورد)،ج1. ص90.

[2] ابن عصفور: **شرح جمل الزجاجي**،ج1. ص551.

[3] الرافعي: **وحي القلم** (الانتحار2)، ج2.ص92

[4] انظر: ابن عصفور: **شرح جمل الزجاجي**.ج1.ص551.

2 – المقسم به + جواب القسم.

يقول: "لعمري إن قوة الشباب في الشباب أقوى من حكمة الشيوخ في الشيوخ"[1] فهو يريد أن يؤكد أنّ البناء والتغيير في المجتمعات لا يكون إلا من فئة الشباب، فهم بما لديهم من قوة يستطيعون أن يؤثروا أكثر من الشيوخ بحكمتهم، وهو يلجأ إلى القسم للإقناع والتوضيح.

3- جملة القسم معترضة والجواب محذوف.

يقول:"شهد العزب، –وربّ الكعبة– على نفسه أنه مبتلى بالعافية، مجنون بالعقل، مغلوب بالقوة، شقيّ بالسعادة، وشهدت الحياة عليه –وربّ البيت– أنه مجنون في الرجولة قاطع الطريق"،[2] فهو هنا يكرر أسلوب القسم مرتين في السياق نفسه ليؤكد أنّ العزب يرى نفسه في عدم إقبالها على الزواج بأنها في تمام عافيتها، وقوة عقلها بينما تراه الحياة بمن فيها أنّه خال من الرجولة، وقاطع للطريق، إذ لا تسلم النساء من نظره ومراقبته لهن إشباعا لغرائزه، وقد جاءت جملة القسم معترضة في هذا السياق.

4 – الاعتراض بين المقسم به وجواب القسم.

يقول: "وأيم الله يا فلانة لو جاز أن يؤكل لحم الآدمي لذبحت نفسي لتأكلي وتدري على الصبي"[3]، فهنا يريد المتكلّم من هذه الجملة أن يبيّن شدة عطفه على الصغير الذي لم يجد ما يسد رمقه، فيقسم على أنه لو جاز أن يقدم نفسه بعد ذبحها لما منع، فهو هنا يجعل جملة القسم مقترنة بالشرط، لكنّه خالف اللغويين، إذ لم يذكر جوابا للقسم وإنما فهم من جواب الشرط رغم أنّ القسم جاء متقدما عليه. وثمة ملاحظات يمكن أن نسجلّها على جملة القسم عند الرافعي:

1. استعمل الرافعي من حروف القسم حرفي (الواو والتاء) واستخدامه للواو كان أكثر انتشاراً، بينما لم أجد استخداما للباء عنده في هذا الباب.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (بين خروفين)، ج1. ص57.

[2] المرجع نفسه (أرملة حكومة)، ج1.ص207.

[3] المرجع نفسه (الانتحار6)، ج2. ص100.

2. جاءت جملة جواب القسم اسمية غالباً وكانت منسوخة مع وجود الجملة الفعلية لكن بنسبة أقل.
3. كثيرا ما اقترنت جملة القسم بالشرط عنده سالكا في ذلك مسالك اللغويين.
4. استعمل الرافعي جملة القسم معترضة في تراكيبه، وهي الأكثر انتشاراً بين جملة القسم عنده؛ إذ جاء جوابها محذوفاً دائماً عندما تكون معترضة.
5. استعمل النصوص الصريحة بالقسم مثل لعمري، أيم الله ولم يستخدم غيرها حسب اطلاعي.
6. لم أجد عنده أن المقسم به شبه جملة نص مشعر بالقسم مثل (في ذمتي) و(في عنقي).
7. وأخيراً جاء استعمال الرافعي للقسم لتأكيد المعاني التي يريد أن يبثها في نفوس قرّائه، وهذا هو الغرض الرئيسي للقسم في الاستخدام اللغوي، وربما جاء القسم للإقناع والتشويق أيضا.

ثانيا: أسلوبا المدح والذم.

وكلمة أسلوب تجعل المدح والذم عند الرافعي نادراً؛ لأنها تعني الالتزام بصيغة معينة وبألفاظ مخصوصة، وهي (نعم وحبذا) للمدح و(بئس ولا حبذا) للذم، والرافعي كثيراً ما كان يمدح أو يذم، لكن دون استعمال ألفاظ مخصوصة، لذا نجد الجملة الخبرية عنده عبّرت عن استحسانه لشيء ما أو عدم استحسانه له دون استخدام (نعم وحبذا وبئس ولا حبذا)، ولم أجد عنده من هذا الباب سوى التراكيب البسيطة والقليلة فيما اطلعت عليه من مقالات.

فمن أمثلة استخدامه أسلوب المدح قوله على لسان من سمّى نفسه السيد: " حبذا الإمارة ولو على الجارة" حيث جاء أسلوب المدح بالفعل (حبذا وفاعله) فقائل هذه العبارة يمتدح الإمارة، ويراها شيئا عظيما في حياته مهما كانت، حتى وإن كانت على جارته ليدلل بذلك على مدى حبّ الولاة والسادة للمناصب والمراتب.

أمّا أسلوب الذمّ فمن أمثلة استخدامه عند الرافعي قوله :"إنّ هذا الشرق حين يدعو إليه الغرب "يدعو لمن ضرّه أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير"[1] ،متأثرا بالنص القرآني[2] ثم

[1] الرافعي: **وحي القلم** (يا شباب العرب)،ج2. ص216

[2] سورة الحجّ. آية 13.

يقول: لبئس المولى إذا جاء بقوته وقوانينه، ولبئس العشير إذا جاء برذالته وأطماعه"[1]، فهو يذمّ الغرب بما يمكن أن يأتي به من قوانين لا تروق للمسلمين ولا تتفق وعاداتهم وأخلاقهم، أو الرذائل والأطماع التي لا يأتي إلا لتحقيقها رعاية لمصالحه التي لا تنفع الإسلام والمسلمين،

وخلاصة القول أنّ المدح والذم عند الرافعي جاء بالأسلوب الخبري، حيث خرجت الجملة الخبرية للتعبير عن المدح والذم في مقالاته المختلفة، وقليلا ما جاء بالأسلوب الإنشائي حيث لم يستخدم صيغة (لا حبّذا)، واكتفى باستعمال الألفاظ الأخرى مرة واحدة لكلّ منها فيما اطّلعت عليه من مقالاته الواردة في "وحي القلم".

ثالثا: أسلوب التعجب.

التعجب: "استعظام زيادة في وصف الفاعل خفي سببها، وخرج بها المتعجب منه عن نظائره أو قلّ نظيره"[2]، وله عبارات كثيرة، نحو قوله عزّ وجلّ:"كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم"[3]، وقولنا "سبحان الله إنّ المؤمن لا ينجس" و"لله درّه فارسا"[4]، ومنها ما يأتي بصيغة النداء مثل (يا له من ظالم)"[5]، لكنّ علماء اللغة وضعوا للتعجب صيغتين هما: (ما أفعل) و(أفعل بـــ)،[6] وهو ما يعرف بالتعجب القياسيّ، ولم يستعمل الرافعي منه إلا صيغة (ما أفعل)، من ذلك قوله::" ما أشبه هندسة البيان بهندسة الطبيعة التي تعمر النهر وترمي بالبحر وتقذف بالجبل الأشم"[7]، فالرافعي يعبر عن الإعجاب الشديد بهندسة البيان وهو هنا أراد أن يعظم شأن كلّ من يكتب الكتابة البيانية، فهو دائما يدعو إليها؛ لأنّ فيها تظهر براعة الكاتب وبها يمتاز عن غيره

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (يا شباب العرب)،ج2. ص216.

[2] ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن الإشبيلي: **شرح جمل الزجاجي**،ج2، تقديم: فواز الشعار،ط1، بيروت –لبنان: دار الكتب العلمية، 1419هـــ – 1998م. ص36.

[3] سورة البقرة، آية 28.

[4] ينظر: ابن هشام الأنصاري: **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**،ج1، تقديم وشرح إميل يعقوب. ص430.

[5] انظر: هارون، عبد السلام ، **الأساليب الإنشائية**، ص 93–94

[6] الراجحي،عبده: **التطبيق النحوي**. ص303.

[7] الرافعي: **وحي القلم** (البؤساء)، ج3. ص340.

من الكتاب، وهو يوجه هذا القول لمن يعبّر عن معانيه بأجمل صورة، ويقدّمها مزينة بالزخارف اللفظية، وبالأسلوب الذي يجعلها ذات قيمة سامية، بحيث تألفها أذن السامع وتستريح لها نفس المتلقي.

وتتكرر هذه الصورة عند الرافعي في معظم صيغ التعجب القياسي، يقول في موطن آخر: "وما أشبه فراغ الرجولة من المرأة بفراغ العقل من الذكاء، هذا هو العقل البليد، وتلك هي الرجولة البليدة"[1]، فهو يعقد موازنة بين العقل الخالي من الذكاء والمرأة التي تفقد معاني الرجولة، فهما سواء عنده، وهذا يبين أنّه لم يكن يتعجب استعظاما واستحسانا فحسب، وإنّما لاستقباح أمر ما كما اتّضح في هذا التركيب.

وربما تأتي جملة التعجب القياسي مسبوقة بحرف التنبية (ألا) يقول: "ألا ما أكمل هذه الإنسانية التي تثبت أن قوة الخلق هي درجة أرفع من الخلق نفسه"[2] فهو يبدأ جملة التعجب بحرف التنبيه (ألا) فبهذا الحرف يريد الرافعي أن يقول إن ما يتحدث عنه يجب أن يعيه كلّ إنسان؛ لأنه ينبغي أن يأخذ مكانه في النفوس كما تأخذ المبادئ موقعها فيها، فليس الشأن في معرفة الأخلاق فحسب، وإنما الشأن في قوتها في نفوس من يعرفها من خلال الحرص الشديد على التمسك فيها، بحيث تصبح سلوكا تجبل عليه النفوس. أمّا صيغة (أفعل بِ) فلم ترد في استعمالات الرافعي لأسلوب التعجب حسب اطّلاعي على مقالاته.

- التعجب السماعي (غير القياسي).

يقول الرافعي على لسان أبي هاشم:"سبحان الله، أما تترك طبعك في النكتة يا شيخ"[3]، فهو قد اعتاد على كثرة استخدام الشيخ للنكتة حتى في المواقف الجادّة، لذا فهو يتعجب من الشيخ ويحثه على ترك هذا الأسلوب، من خلال أسلوب التعجب السماعي بصيغة "سبحان الله"، ومن صور التعجب السماعي عند الرافعي استخدامه حرف النداء (يا)، وقد رأيته يكثر من هذا الاستعمال للدلالة على التعجب، وقد استعملها بأنماط مختلفة.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (الانتحار4)، ج2. ص110.

[2] المرجع نفسه (فلسفة قصة). ج2. ص28.

[3] المرجع نفسه (عربة اللقطاء)،ج1. ص293.

أ – **حرف نداء + اسم مقترن بلام الجر + شبه جملة** يقول:"يا لسحر الحب من سحر! كل ما في الطبيعة من جمال تظهره الطبيعة لعاشقها في إحدى صور الفهم، أما الحبيب الجميل فهو وحده الذي يظهر لعاشقه في كل صور الفهم"[1]، فهو يريد أن يبين عظمة سحر الحب وما يحدثه في نفوس المحبين، فبه يظهر كل ما في المحبوب على أحسن صورة، كمن ينظر إلى الطبيعة فلا يرى منها إلا ما يبعث على الإعجاب والحبّ الشديدين.

ب – حرف نداء + اسم مقترن بلام الجر وهو مضاف. يقول: يا لعباد الله يأتيهم اسم الأديب العظيم فلا يجدون له موضعاً في محليات الجريدة، ويأتيهم اسم الباشا أو البيك أو صاحب المنصب الكبير فبماذا تتشرف المحليات إلّا به"[2]، وقد جاءت الجملة إنشائية غير طلبية لأنه لم يقصد نداء عباد الله، وإنما يتعجب مندهشاً ومستغرباً من حال أولئك الذين يعظمون الباشا وأصحاب المناصب، ولا يولون عناية للأدباء في عصره، حيث غدت المناصب سببا من الأسباب التي يعلو بها شأن البشر، بينما لم يعد للأدب والأدباء قيمة في ذاك الزمن الذي يحيا فيه، فهو ينكر على أصحاب الجرائد ذلك، ويعجب من صنيعهم الذي يصنعونه في مهنتهم التي ينبغي أن تتغير سياستها في التعامل مع البشر، وأن تعطي كلّ ذي حقّ حقه مهما كان منصبه ورتبته بين بني قومه.

ت – يا + مصدر منصوب + جار ومجرور: يقول: "يا عجباً لرموز القدر في هذه القصة"[3]، إذ جاءت جملة التعجب مكونة من ياء النداء والمصدر المنصوب (عجباً) والجار والمجرور رموز القدر، وذلك تعقيباً على الحديث بين النبي –صلى الله عليه وسلم– وعداس الذي سأله النبي – صلى الله عليه وسلم– عن يونس بن متى وهو ابن بلده التي جاء منها. وبعد هذا العرض فإننا يمكن أن نسجل الملاحظات الآتية حول أسلوب التعجب عند الرافعي:

1. استعمل الرافعي أسلوب التعجب على ضربين: وهما القياسي والسماعي، وقد أكتفى حسب اطلاعي على صيغة واحدة للتعجب القياسي وهي (ما أفعل).
2. انتشار التعجب السماعي بصيغة ياء النداء؛ حيث كان له حضور واضح عند الرافعي بنسبة تقترب من التعجب القياسي.
3. استعمل حرف التنبيه (ألا) قبل صيغة التعجب، وهو كثيراً ما يستخدمها في الأساليب الإنشائية المختلفة.

---

[1] الرافعي: **وحي القلم** (القلب المسكين5)، ج3. ص119.

[2] المرجع نفسه (صعاليك الصحافة2)، ج3. ص184.

[3] المرجع نفسه (فلسفة قصة)ج2. ص28.

الخاتمة.

من خلال الدراسة التي تقدمت بها لفنّ المقالة عند الرافعي في كتابه "وحي القلم"، والتي تناولت فيها هذه المقالات بالدراسة والتحليل على المستويات الصرفي والنحوي والدلالي، وبينت الأبنية الصرفية المختلفة على اختلاف أشكالها واستعمالاتها، ثمّ وقفت عند على الجملة الخبرية بنمطيها الصغرى والكبرى، وبينت أهم الأغراض البلاغية لها، وتناولت ظاهرة التقديم والتأخير، وبينت أهم الأغراض البلاغية فيها، كما تناولت في هذه الدراسة الأساليب الإنشائية التي استعملها الرافعي في مقالاته، فبينت أنماط استعمال كلّ منها، وأهم الأغراض البلاغية التي عبر عنها كلّ أسلوب من هذه الأساليب، وبعد، يمكن إجمال النتائج التي توصلت إليها في النقاط الآتية:

1- اللغة التي كتب بها الرافعي مقالاته هي اللغة البيانية، وهذه اللغة أتاحت له أن يبرز شخصيته في مقالاته، وخاصة في المقالات الذاتية، فجاءت لغته موحية قوية في معانيها، مستمدة من لغة القرآن والحديث النبوي والشعر العربي، وجاءت عنده اللغة شاعرية مليئة بالإحساس المرهف.

2- لم يركّز الرافعي على نوع معين من المقالة الذاتية التي أكثر من كتابتها؛ فقد كتب المقالة الاجتماعية وركّز فيها على الزواج والعزوبة، والمقالة السياسية متحدثا عن نكبة فلسطين، والمقالة الدينية التي ركّز فيها على الأخلاق ومحاربة الفاسد منها، كما كتب مقالة السيرة وتناول شخصيات متنوعة، والمقالة الوصفية كمقالته بعنوان "الربيع" وغيرها كثير من ألوان المقالة الذاتية.

3- لدى دراسة الأبنية الصرفية تبيّن لي أن الأفعال تباينت في استعمالها عنده من حيث الدلالة الزمنية، فقد كثر استعمال الفعل المضارع في المقالات التي تناول فيها أمورا اجتماعية وقضايا تمسّ الواقع الذي يحياه وتحياه الأمة، بينما جاء الفعل الماضي كثيرا في المقالات التاريخية والتي تناولت قضايا من سابق عهده.

4- ثمة تفاوت واضح في استعمال الرافعي للمصادر الثلاثية وفوق الثلاثية؛ إذ جاء استعمال المصادر الثلاثية أكثر بثلاثة أضعاف من المصادر فوق الثلاثية تقريبا.

5- استخدم الرافعي المشتقات بنسب متفاوتة، ولم تكن صيغة فاعل عنده للدلالة على الحدث دائما بل إنها كثيرا جاءت للدلالة على المعاني الثابتة.

6- نوّع الرافعي في استعمال أبنية الجموع، إذ جاءت صيغ جموع الكثرة وصيغ جموع القلة بنسب متقاربة إلى حدّ ما.

7- ولدى تناول الجملة الخبرية وأنماطها تبين لي استعمال الرافعي للجمل بأنماطها كافة، وفي كلّ نمط من هذه الأنماط جاءت الجملة الرافعية بسيطة ومركبة من عدة أسانيد.

8- يميل الرافعي في بناء جمله إلى الإطالة في تركيبها، إذ امتدت جمله كثيرا واتّسعت بالعطف والنعت والإخبار والإضافة والشرط وغيرها، فبلغت الجملة الواحدة أكثر من عشرة أسانيد أحيانا.

9- استعمل الرافعي الجملة الخبرية لأغراض حقيقية ولأغراض بلاغية كثيرة عنده، أبرزها الدعاء والإنكار والتبكيت، والتوبيخ والتحذير، وإظهار الضعف والعجز، والاستعطاف والمدح والتفاخر، والحثّ على السعي وغيرها.

10- ثمة ظواهر تنتشر في مقالات الرافعي تصلح كلّ واحدة منها لتكون موضوعا كاملا للدراسة كالتجديد اللغوي، والحذف، والتقديم والتأخير التي وقفت عندها إيجازا للدراسة، وقد جاء التقديم والتأخير عنده لأغراض كثيرة ، كالتشويق للمتأخر والتبرك والنصّ على عموم السلب، والعناية والاهتمام،والسخرية والتهكم، وأغراض أخرى كثيرة لا تتسع لها الدراسة.

11- جاء استعمال الأسلوب الشرطي عند الرافعي كثيرا، وقد استعمل الشرط الجازم وغير الجازم، وجاء الشرط الجازم بالأنماط المختلفة لجملتي الشرط والجواب بين الماضي والمضارع والجملة الاسمية في الجواب، وقد استعمل له الحرف (إن) ومعظم الأسماء، كما استعمل أحرف الشرط غير الجازم وأسماءه المختلفة أيضا، وكان الغالب في استعمال الجملة الشرطية التوضيح والإقناع.

12- ولدى تناول الأساليب الإنشائية تبيّن لي أن الرافعي أكثر من استعمالها، وقد نوع فيها حسب الغرض الذي يريده، وجاء استعمال الأساليب الإنشائية الطلبية أكثر من الأساليب غير الطلبية، كما أنّ هناك تفاوتا بين أسلوب وآخر من هذه الأساليب.

13- نالت جملة الاستفهام نصيبا وافرا من الاستعمال؛ إذ استعملها الرافعي لدلالات حقيقية وأخرى بلاغية مثل التقرير والنفي والسخرية والإنكار وغيرها.

14- نوّع الرافعي في أشكال جملة الأمر؛ فقد جاءت بصيغة فعل الأمر وباللام (لام الأمر) وبصيغة اسم الفعل قليلا، وجاء الأمر كالاستفهام للأغراض الحقيقية، لكن أكثر استعمالاته جاءت لدلالات بلاغية كالدعاء والالتماس والتمني والنصح والإرشاد وغيرها.

15- استعمل الرافعي جملة التمني بنوعيه الممكن وغير الممكن، وأكثر استعمالاتها جاءت في المقالات الاجتماعية والسياسية، إذ استعمل لها أداة التمني(ليت) كما استعمل الأداتين (لعلّ ولو) بنسبة أقلّ منها.

16- على الرغم من كثرة استعمال الرافعي لأسلوب النداء، إلا أنّه لم يستعمل له سوى حرفين وهما ياء النداء التي تستعمل لنداء القريب والبعيد، و"وا" للندبة، وقد جاء المنادى عنده معرفا ومضافا ونكرة مقصودة.

17- عبّر الرافعي عن مدحه لما يستحسنه وذمّه لما لا يستحسنه بالجملة الخبرية كثيرا، إذ خرج معنى الخبر لدلالات جمالية وبلاغية منها المدح والذم؛ لذا لم يكن لهذا الأسلوب -أي المدح والذم- حضور واضح كباقي الأساليب، ومع ذلك استعمل الرافعي بعض صور هذا الأسلوب كالفعلين (نعم وبئس) لكن بنسبة قليلة جدا.

19- عمد الرافعي كثيرا إلى أسلوب القسم لتأكيد ما يراه جديرا بالقسم، واقترن كثيرا بأسلوب الشرط عنده.

20- استعمل الرافعي للتعبير عن استحسانه لما يراه عظيما أسلوب التعجب، وقد جاء عنده بالطرق القياسية وغير القياسية، أمّا القياسية فلم يستعمل لها سوى صيغة (ما أفعل)، في حين لم ترد صيغة (أفعل بـــ) فيما اطلعت عليه من مقالات.

21 - كان للتعجب غير القياسي (السماعي) حضور واضح عند الرافعي، وقد جاء ذلك باستعمال حرف النداء (يا) كثيرا، كما استعمل بعض الألفاظ الأخرى مثل (سبحان الله، لله دره) وغيرها.

22- لم يتناول كتاب الرافعي "وحي القلم" فن المقالة فقط، وإنّما وردت فيه بعض القصص القديمة، لكن الرافعي أعاد صياغتها بأسلوبه.

23 - تمكن الرافعي في كتاباته من الجمع بين المحافظة على اللغة وأسرارها، والتجديد في الأسلوب والموضوع والمفردات التي تشكل منها قاموسه اللغوي.

قائمة المصادر والمراجع

- **القران الكريم.**

- الإستراباذي. الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن:

أ . **شرح شافية ابن الحاجب.**ج1. تحقيق: محمد نور الحسن وآخرون. بيروت: دار الكتب العلمية. 1402هـ-1982م..

ب . **شرح كتاب الكافية في النحو.**ج2. ط2. بيروت : دار الكتب العلمية . 1979م.

- أبو إصبع، صالح و عبيد الله، محمد: **فنّ المقالة أصول نظرية تطبيقات نماذج.** ط1. عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع. 2002م.

- الأنباري،عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله. **أسرار العربية.** تحقيق محمد حسين شمس الدين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1418هـ - 1997م.

- الأندلسي، أبو حيان: **ارتشاف الضرب من لسان العرب.**ج4. تحقيق رجب عثمان محمد.ط1. القاهرة: مكتبة الخانجي. 1998م-1418هـ.

- أنيس، إبراهيم . **من أسرار اللغة.** ط6. الفاهرة:مطبعة الأنجلو المصرية.1978م.

- الأوسي، قيس إسماعيل: **أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين.** بغداد: بيت الحكمة. 1988م.

- بابان، ستار مصطفى فقي محمد: **فن المقالة والخاطرةفي أدب عبد المجيد لطفي.** ط1. عمان: دار جرير للنشر والتوزيع. 1433هـ - 2012م.

- باناعمة، عادل أحمد سالم: **بناء الجملة عند مصطفى صادق الرافعي من خلال كتابه أوراق الورد.** (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة أم القرى. السعودية.1421هـ.

-البدري، مصطفى نعمان حسين:

-**الإمام مصطفى صادق الرافعي**. بغداد: مطبعة دار البصري. 1387هـ - 1968م.

- **الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد**. ط1. بيروت : دار الجيل. عمان : دار عمار. 1411هـ - 1991م.

- الثعالبي، أبو منصور عبد الله بن محمد: **فقه اللغة وسر العربية**. بيروت: دار الفكر. 1997م.

- الجارم، علي وأمين، مصطفى أمين: **البلاغة الواضحة**..بيروت: المكتبة العلمية.

- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني:

أ . **دلائل الإعجاز**. قرأه وعلّق عليه محمود محمد شاكر. د.ت

ب .**الجمل**. تحقيق علي حيدر . 1392 هـ\1972م.

- جمعة، حسين: **جمالية الخبر والإنشاء دراسة بلاغية جمالية نقدية**. دمشق : منشورات اتحاد الكتاب العرب.2005م.

- ابن جني، أبو الفتح عثمان. **الخصائص**. ج1. تحقيق محمد علي النجار. ط3. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.1407هـ.

- حامد، أحمد حسن: **السكاكيني في النهضة الفكرية المعاصرة**. ط2. نابلس: مكتبة النجاح الحديثة. ومكتبة خالد ابن الوليد. 1997م.

- الحديثي، خديجة عبد الرزاق: **أبنية الصرف في كتاب سيبويه**. ط1. بغداد: مطبعة النهضة. 1965-1385هـ .

- الحديدي، عبد اللطيف محمد السيد: **فنّ المقال في ضوء النقد الأدبي**. ط1. 1417هـ - 1996م.

- تمام، حسان: **اللغة العربية مبناها ومعناها.** ط3. القاهرة :الهيئة المصرية العامة للكتاب . 1985م.

- حسن، عباس: **النحو الوافي.** ط3. مصر: دار المعارف.د.ت

- حسين، فاطمة السيد حسين. **أساليب التوكيد في أدب الرافعي دراسة نحوية دلالية.** (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة القاهرة. القاهرة – مصر. 2009م.

- حمادي، خميسة: **البنية اللغوية لقصيدة الكعبة الزهراء لبدوي الجبل دراسة دلالية.**(رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة الحاج لخضر باتنة. الجزائر. 2013- 2014م.

- الحملاوي، أحمد بن محمد بن أحمد: **شذا العرف في فن الصرف.** ط17. القاهرة: مطبعة مصطفى.1965م.

- الدروبي، محمد: **الصحافة والصحفي المعاصر**.ط1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. 1996م.

- الدسوقي، عمر: **مع الرافعي الكاتب.** القاهرة : مطبعة جامعة القاهرة . 1969.

- دعمس، أحمد داود عبد الله : **ديوان الحطيئة دراسة تركيبية وصرفية ودلالية.** (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة آل البيت. المفرق – الأردن. 1999م.

– الديري، مكارم: **الخصائص الأسلوبية في وحي القلم**، مجلة الأدب الإسلامي، الصعودية، م11،ع 43 و44، 2004م. ص51 – 59

- الراجحي، عبده:

أ . **التطبيق الصرفي.** بيروت: دار النهضة العريبية. 1983م.

ب . التطبيق النحوي. ط2. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. 1998م.

-الرافعي، مصطفى صادق:

أ – **إعجاز القرآن**. ط9. بيروت: دار الجيل. 1974م.

ب – **وحي القلم**.3مجلدات. راجعه درويش الجويدي، بيروت : المكتبة العصرية.د.ت

– الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى: **معاني الحروف**. تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي.ط2. جدة: دار الشروق. 1401هـ – 1981م.

-أبو رية، محمود: **من رسائل الرافعي**. ط2. مصر: دار المعارف.د.ت

– الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. **البرهان في علوم القرآن**. تحقيق أبي الفضل الدمياطي. القاهرة: دار الحديث. 1427 هـ – 2006م .

– زكي، المحاسني: **نظرات في أدبنا المعاصر**. القاهرة : دار القلم.1992م.

– زهدي، عبد الرؤوف وأبو زيد سامي: **فن المقالة**. ط1. الكويت: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع. 1428هـ – 2007م.

– السامرائي، فاضل صالح: **معاني الأبنية في العربية**. ط1. الأردن: دار عمار للنشر والتوزيع. 1981م.

– ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل البغدادي: **الأصول في النحو**.ج3.تحقيق عبد الحسين القتلي. ط3. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1417هـ – 1996م.

– أبو السعود، سلامة أبو السعود والقسطاوي. رمضان خميس: **الأدب العربي في مختلف العصور**. دسوق: العلم والإيمان للنشر والتوزيع.2007م.

– سميسم، علي: **المقالة العربية: وحي القلم الجزء الأول إنموذجا**، مجلة كلية التربية، بابل.ع4، 2009م ص 40 – 55

– سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان :**الكتاب** : تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي. 1966م.

–السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:

أ – **المزهر في علوم اللُغَة و أنواعها**. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . دار إحياء الكتب العربية.د.ت

ب – **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**. تحقيق عبد العال سالم مكرم .الكويت: دار البحوث العلمية.د.ت

– شاكر، عمر رشيد: **دلالة جموع القلة في الدرس اللغوي العربي**، مجلة أداب الفراهيدي، جامعة تكريت. العراق ،ص(192 – 276)، ع11،حزيران 2012م.

– شعبان، صلاح: **تصريف الأسماءفي اللغة العربية**. القاهرة: دار الثقافة العربية.د.ت

–الشكعة، مصطفى : **مصطفى صادق الرافعي كاتبا عربيًّا ومفكرًا إسلاميًّا**. ط3. الدار المصرية اللبنانية. 1999م.

– ضيف، شوقي: **في النقد الأدبي**. ط6. مصر: دار المعارف.

– عتيق، عبد العزيز: **علم المعاني**. بيروت. لبنان: منشورات دار النهضة العربية. د.ت.

– العريان، محمد سعيد: **حياة الرافعي**. ط3. مصر: المكتبة التجارية الكبرى. 1955م.

– ابن عصفور، أبو الحسن عليّ بن مؤمن الإشبيلي:

أ . **شرح جمل الزجاجي**.ج2. تقديم فواز الشعار.ط1. بيروت –لبنان: دار الكتب العلمية. 1419هـ – 1998م.

ب . **الممتع في التصريف.** ج1. تحقيق فخر الدين قباوة. ط1. بيروت–لبنان: دار المعرفة. 1407هـ - 1987م.

–ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله:

أ . **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك.** تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . ط2. بيروت : دار الفكر . 1985م.

ب . **شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك.** شرحه وعلّق على مسائله نوري حسن حامد المسلاتي، ط1، بيروت: دار ابن حزم، 1430هـ–2009م.

– أبو عودة، عودة خليل: **بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين.** ط1. عمان: دار البشيير.1411هـ. 1991م .

– عوضين، إبراهيم: **في الأدب العربي المعاصر.** ج1. ط1. القاهرة: دار السعادة. 1976م.

– الغلاييني.، مصطفى: **جامع الدروس العربية.** ط29. راجع هذه الطبعة ونقحها محمد أسعد النادري. صيدا: المكتبة العصرية.1984م.

– الفاخوري، حنا: **الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث.**ط1. بيروت– لبنان: دار الجيل. 1986م.

– ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. **الصاحبي في فقه اللغةالعربيةومسائلها وسنن العرب في كلامها.** ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1997م.

– قادري، كمال. **التركيب النحوي في الآيات المدنية في القرآن الكريم** . (رسالة ماجستير). جامعة حلب. 1409هـ.

– قباوة، فخر الدين: **تصريف الأسماء والأفعال.** ط2. بيروت: مكتبة المعارف. 1408هـ - 1988م.

- القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب: **الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع**. ط1.بيروت: دار الكتب العلمية.2003م-1424هـ.

- ابن كمال باشا، شمس الدين أحمد بن سليمان: **أسرار النحو**. تحقيق الدكتور أحمد حسن حامد. ط2. عمان: دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع. 1422هـ - 2002م.

- الماضي، شكري وأبو الشعر. هند: **فنّ المقالة في الأردن**. عمان: منشورات جامعة آل البيت. 1421هـ - 2000م.

- ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله الطائي الأندلسي: **شرح التسهيل**. تحقيق د. عبد الرحمن السيد و د. محمد بدوي المختون. ط1. هجر للطباعة والنشر: الجيزة. مصر .1410هـ - 1990م.

- المُبَرِّد، أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمُبَرِّد: **المقتضب**. تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة. بيروت : عالم الكتب . 1963م.

- محمد، إبراهيم عبد الباسط عبد الرؤوف : **التراكيب اللغوية للجملة الخبرية في شعر علي بن الجهم دراسة تركيبية دلالية**. جامعة الزقازيق. مصر. (رسالة ماجستير). 2006م.

- محمد، عوض محمد: **فن المقالة الأدبية**. القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب. 1996م.

- محمود، زكي نجيب: **جنة العبيط**. ط2. الإسكندرية: دار الشروق.1402هـ - 1982م.

- مسلم، أمين عبد الغفار : **اسم المفعول في ديوان زهير بن أبي سلمى**. مجلة الدراسات العربية. جامعة المنيا.

- المسيري، منير محمود. **دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريمدراسةتحليلية**. ط1. القاهرة: مكتبة وهبة.1426هـ.-2005م.

– المقدسي، أنيس: **الفنون الأدبية و أعلامها في النهضة العربية الحديثة** .ط6، بيروت: دار العلّم للملايين.2000م.

–ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم :**لسان العرب**. ط3. بيروت: دار صادر.1994م.

– نجم، محمد يوسف: **فنّ المقالة**. ط4. بيروت: دار الثقافة. 1996م.

–النّحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل: **معاني القرآن الكريم**. تحقيق محمد علي الصابوني. ط1. مكة المكرمة : مركز إحياء التراث. 1988م.

– نور الدين، عصام: **أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب**. ط1. بيروت: دار الفكر. 1418هـ– 1997م.

– هارون، عبد السلام : **الأساليب الإنشائية في النحو العربي**. بيروت: دار الجيل. 1974م.

– ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف:

أ . **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**.تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ط6. بيروت : دار الندوة الجديدة .1980م.

ب . **شرح شذور الذهب**. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.د.ت

ج . **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. ج1. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. صيدا – بيروت : المكتبة العصرية للطباعة والنشر. 1411هـ – 1991م.

– ياقوت، محمد سليمان : **علم الجمال اللغوي (المعاني. البيان. البديع)**. ط1. مصر: دار المعرفة الجامعية. 1995م.

–يعقوب، إميل بديع . **معجم الأوزان الصرفيّة. ط2**. بيروت: عالم الكتب. 1996م.

- ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي. **شرح المفصل للزمخشري**.ج1- ج8. تقديم الدكتور إميل بديع يعقوب. ط1. بيروت لبنان : دار الكتب العلمية 1422هـ -2001م

An- Najah National University

Faculty of Graduate Studies

Mustafa Al-Rafi's essays
A linguistic and semantic study "Wahi AL-qalam " as a model

Prepared by
Moneer Ayed Mahmoud Al-saleh

Supervised By

Prof. Ahmad Hasan Hamed

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arabic Language and Liteature, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University- Nablus ,Palestine.

2016

Mustafa Al-Rafi's essays
A linguistic and semantic study "Wahi AL-qalam " as a model
Prepared by
Moneer Ayed Mahmoud Al-saleh
Supervised by

Prof. Ahmad Hasan Hamed

Abstract

In this study, the researcher dealt with the art of the article of Al- Rafii and he highlighted his proficiency in this art through his book "Wahi Al Qalam ". The researcher determined his style and his language in writing, then he performed a linguistic study which includes the morphological, syntactic and semantic levels, indicating the technical ability of Al- Rafii in employing the intellectual and the linguistic heritage in his articles.This study consists of an introduction ,preface and three chapters .

In the introduction, the researcher talked about the importance of the study, the reasons behind choosing it, its previous studies and its approach that follows, then the he outlined the content of this study.

In the preface, the researcher talked about Al-Rafii revealing his birth, upbringing, his knowledge ,and his literary work .In addition to that, his distinguished books and otherbooks related to him. And he talked about art of the article in a theoretical study by focusing on several issues such as, its meaning for Arab and Western scholars, its origin, its evolution, the factors of this evolution, its types, its scholars and other things related to the art of the article.

In the first chapter of this study dealt with the morphological structures by gathering them in tables, and then studying the results of each table. The study focused on different connotations of the structure of nouns and verbs

which reveals the abstract and the additional ones, the active and the passive verbs, as well as the transitive and intransitive verbs, and the impact of all this in the performance of the intended meanings and the structure of derivatives, all types of plurals, and various sources and how to employ them in the service of meanings associated with the contexts contained.

The second chapter talked about the compositional construction of the sentence and its extension as he focused on the long sentences, and the short ones .The researcher pinpointed the negative and the affirmative sentences and the stressing ones as well as the patterns of each of them, he also revealed its implications according to different contexts, then he shed light on a phenomenon which is considered to be one of the most prominent linguistic phenomena which is worth studying , the phenomenon of submission and delays, and the most prominent connotations associated with it.

The third chapter, the researcher dealt with the constructional sentences and their patterns, revealing the impact of the linguistic context in guiding the semantics through the methods cited in the articles , such as , the questioning, the command, the prohibition,the call and the oath , and the methods of praise and slander

In the conclusion, the researcher talked about the most important results that have been accessed in each chapter of this study.